



أحمد عبد الله الدامغ

الجزء الخامس



مركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة
قسم الدراسات والبحوث والنشر
الرياض ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م



ح احمد عبدالله الدامغ، ١٤٢٤ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الدامغ ، احمد بن عبدالله
الادب المثمن / احمد بن عبدالله الدامغ - الرياض، ١٤٢٤ هـ
١٦ مج. ، ٣٣٦ ص ، ١٧ X ٢٤ سم
ردمك: ٥-٣٣١-١٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
٣-٣٣٢-١٠-٩٩٦٠ (ج ١)
١- الادب العربي - مجموعات أ- العنوان
ديوي ٨١٠،٨ ١٤٢٤/٢٧٧٣

رقم الإيداع: ١٤٢٤/٢٧٧٣
ردمك: ٥-٣٣١-١٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
٣-٣٣٢-١٠-٩٩٦٠ (ج ١)

المملكة العربية السعودية ص.ب ٩٣٩٢٧ الرياض ١١٦٨٣ هاتف ٤٨٧٠٥١٣
فاكس ٤٨٧١٤٢٧ / ٢٦
الموقع على الأنترنت
www.albabtain-center.com
البريد الألكتروني:
E-mail: info@albabtain-center.com



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أيها القارئ العزيز؛ هذا هو الجزء الخامس من كتابي «الأدب المثمن» أعرضه بين يديك، وإن كان لي ما أقوله في هذه المقدمة؛ فإن فترة تحضيري لهذا الجزء هي فترة من أصعب الفترات التي مر بها عالمنا العربي والدولي معاً، حيث غزا النظام العراقي بزعامة رئيسه صدام حسين دولة الكويت واحتلها في يوم الخميس ١١ محرم، عام ١٤١١هـ، الموافق ٢ أغسطس عام ١٩٩٠م. وقد وصفه جميع السياسيين ورجال الفكر الذين تسابقوا في عرض ذلك الحدث على صفحات الجرائد والمجلات، بأنه غزو غاشم واعتداء لم يسبق له مثيل في التاريخ القديم والحديث، وأنحوا باللائمة على صدام حسين، بل إن منهم من وصفه بالجنون.

ولقد كان من الطبيعي أن يؤثّر هذا الحدث على نشاطي؛ بل إنه صرفني عن الاستمرار في مواصلة منهجي الذي ارتسمته لتأليف هذا الكتاب فجردت قلمي أصف ذلك الحدث، وأقول رأيي في موضوعات أخضعتها لمنهج تأليفي الذي أشرت إليه في مقدمة الجزء الأول؛ فصح لي أن أذيل هذا الجزء بما كتبته عن ذلك الحدث، هذا وأرجو من الله أن يجنب أمتنا العربية والإسلامية كل مكروهٍ أنه سميع مجيب.

المؤلف: أحمد عبد الله الدامغ
ص.ب ٤٠١٣٨ الرياض ١١٤٩٩



هبوط الأبوين الأولين

قل أن نجد امرءاً لا يعرف قصة خلق آدم عليه الصلاة والسلام، وما حصل له مع إبليس اللعين، وكيفية هبوطه الأرض هو وزوجه حوّاء، وإبليس.

فآدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى من طينة من الأرض كما في الآية ٥٥ من سورة طه: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾، علمه الأسماء كلها ونهاه هو وزوجه عن الأكل من شجرة معينة من أشجار الجنة امتحاناً لهما فأغواهما الشيطان بقوله لهما كما في الآيات ١٩ ـ ٢٤ من سورة الأعراف: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ وفي سياق هذه الآيات الكريمات ملخص وافٍ، وواضح لقصة آدم مع إبليس الذي بدأ معاداته لآدم برفض السجود له حينما أمر الله الملائكة بما فيهم إبليس أن يسجدوا لآدم.

قال تعالى في سورة البقرة آية ٣٤: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾، ولكن الله سبحانه وتعالى تاب على آدم من ذلك العصيان.

قال تعالى في سورة البقرة آية ٣٧: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

ثم أهبط الله سبحانه وتعالى آدماً وزوجه وإبليس إلى الأرض، وشرع لآدم وذريته الشرائع التي تكفل لهما نظام حياتهم على الأرض وتحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة، وحذرهم من إبليس، وبيّن لهم ما يحمله من عداوة لهما، وما قطعه على نفسه من عهد على استمرار إغواء بني آدم.

قال تعالى على لسانه في سورة الأعراف من آية ١٦ ـ ١٨: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾. ولقد تبارى شعراء الشعر القصصي في نظم القصص التي ورد ذكرها في الكتب السماوية، فنظم في هذا المضمار الشاعر الجاهلي عدي بن زيد جزءاً من قصة خلق آدم وهبوطه الأرض ومعاداة إبليس له في قصيدة، منها قوله:

قضى لستة أيام خليقته
وكان آخرها الإنسان من مدر

لم ينهه ربه عن غير واحدةٍ
من شجر طيب إن شم أو ثمر

فاغتاظ إبليس من بغي ومن حسد
فأنطق الحية الرقطاء بالغدر

سعى الرجيم إلى حوّا بوسوسةٍ
غوت بها وغوى معها أبو البشر

تعمدا للتي عن أكلها نُهيا
فبان عُريهما في الوقت للنظر

وأرجع اللّه إبليس الرجيم إلى
نار تلهب بالسعر وبالشرر

وعاقب اللّه حوّا بالذي فعلت
بالطلق والذل والأحزان والفكر

وأهبطوا بمعاصيهم وكلّهم
نائي المحلى فقيد العين والأثر

ooooo

ماذا تعني الساعة في نظر المتأمل؟!!

والسواد الأعظم من الناس يضع الساعة الآلية في معصمه ليستفهم منها عن الوقت الذي هو فيه، فيجد الإجابة الفورية الصحيحة في الحركة شبه الصامتة التي تعمل بها عقاربها وفقاً لحركة الزمن المتناهية في الدقة، وهذه الساعة الآلية هي في نظر المتأمل في حركتها تعني شيئاً آخر وبعداً ثانياً غير الذي يفهم منه ضبط الوقت.

ولهذا فإن الناس بالنسبة إلى النظر إلى الساعة فئات: فئة تعرف بها في أي وقت هي، ضحىً أو ظهراً، أو مغرباً أو عشاءً.

وفئة تستشف من التأمل فيها فلسفة منطقية، تطبق في أسلوب تحليلي حركات عقارب الساعة على مفهوم حياة الإنسان ونظام حركته اليومية.

وفئة تذهب بعيداً في فلسفة الواقع إلى عمق التحليل فتشبّه أيام العمر بالثواني، وأشهره بالدقائق، وسنواته بالساعات؛ لتصل إلى نتيجة تعني أن دوران عقارب الساعة يرمز إلى انطواء العمر وتكديس السنوات المستهلكة واستقبال سنوات جديدة بمفهوم يختلف في تفسير الحياة عن المفهوم الذي انقضت به سنوات الشباب وأصبحت ركاماً، تتنزه في منعطفاته الذكريات.

والشاعر العراقي علي الشرقي أقام مقارنة بين حركة عقارب الساعة الآلية، وواقع الحياة التي يقطعها الإنسان بحركة جسدية تشبه في واقعها حركة الساعة التي تتدرج بعمر الإنسان حتى نهايته.

يقول من قصيدة له بهذا المعنى:

إن النكات السود في ساعتي
والعقرب الدائر حول النكات

أحصت حياتي نكتة نكتة
بالضبط فالساعة رمز الحياة

ويشبّه الخطوط التي تمثل الثواني والدقائق والساعات، بأيام العمر فيقول:

تلك الخطوط السود أيامنا
دارت عليها هذه الدائرات

ويمثّل حركة الساعة بتدفق الدم في سائر أنحاء الجسم وشعيراته، ودقاتها بدقات القلب، وسكتتها بسكتة الموت:

دورتها في نبضها مثلما
الدورة في عروقنا النابضات

دقات قلب المرء دقاتها
والسكتة السكتة عند الممات

تجري إلى غاية لم تدر في
أي الثواني تقف الجاريات

مسخرات مثل أعضائنا
أعضاؤها مشغولة شاغلات

مدبّر الأوقات في جريها
دل على مدبّر الكائنات

○○○○○

من وسائل اجتياز الصراط

والعدة لاجتياز الصراط تتمثل بصالح الأعمال التي يكتسبها المرء ما دام في زمن المهلة.

وعلى المرء الراغب في جنب الله، والخائف من عذاب الله، والراجي لرحمة الله أن لا يحتقر من الأعمال أصغرها؛ بل عليه أن يعمل، ويعمل، ويعمل، حتى يكون له رصيد ينجيه من النار المحتم على بني الإنسان ورودها.

قيل: إن أبا ميسرة رضي الله عنه كان يقول إذا أوى إلى فراشه: يا ليت أمي لم تلدني؛ ثم يبكي. فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أُخبرنا أنّا واردوها، ولم نُخبر أنّا صادرون عنها.

وبكى عبد الله بن رواحة وقال: آية أنزلت ينبئني فيها ربي، أني وارد جهنم، ولم ينبئني أني صادر عنها؛ فذلك الذي أبكاني.

وقال الحسن: كيف لا يحزن المؤمن وقد حدث عن الله أنه وارد جهنم، ولم ينبئه بأنه صادرٌ عنها.

وهذه كلها إشارات إلى نص الآيتين الكريمتين ٧١، ٧٢ من سورة مريم: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾.

ويروى أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: لا يطمئن قلب المؤمن، ولا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم. والتوبة الصادقة والاتجاه إلى الله بقلب مفعم بالإيمان وسيلة من وسائل عبور الصراط؛



لأن الله سبحانه وتعالى يقبل التوبة عن عباده، بل يفرح بتوبة عبده.

شعراً:

قف على الباب طالباً
وذر الدمع ساكبا

وتوسل إليه وارجع
عن الذنب تائبا

تلق من حسن صنعه
عند ذاك العجائبا

لا تخف أن ترد عن
كرم اللّه خائبا

فهو يجزي على اليسيـ
ـر ويعطي الرغائبا

شرف المرء بالتقى
فاجعل الصدق صاحبا

واخش أن يراك ربـ
ـك للذنب راكبا

إن للدهر أسهماً
للرزايا صوائبا

○○○○○

المعلم شمعة تحترق

والمعلم الذي ينطبق عليه معنى كلمة (المعلم) ما هو إلّا شمعة تبدد الظلام وتنير الحياة.

وإذا قسنا نفاد عمر المعلم وانقضائه في تعليم الأحداث، وأردنا تشبيه تصرم حياته في التعليم واستهلاك أيامه بشيء مما نشاهده على الطبيعة؛ فليس شيء أشبه به في تلك الحالة إلا الشمعة التي تبعث الضياء إلى الناس، وتجلو بساطع نورها حلكة الجهل وديجوره، وتطرد الظلام من كل مكان باحتراقها.

والحقيقة أن المعلم المتضلع الذي يكون قياساً في المثالية، في الأداء والتعليم، ما هو إلا عبارة عن وعاء لا وكاء له، فكل يمد يده إليه ويتذوقه ويستطعم من طيب ما حواه من غذاءٍ فكري وروحي.

والمعلم الناجح هو أشبه ما يكون بالشجرة الطيبة التي لا تمنع قاطفاً من ثمارها الطيبة الحلوة المذاق الثابتة المنفعة.. ولهذا نرى أنه لما قال الشاعر أحمد شوقي قصيدته التي خص بها المعلم، والتي منها قوله:

قم للمعلم وفِّه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا

طارت بها الركبان كما يقولون، وتناقلتها الرواة وذلك لصدق معانيها، وسمو مكانة من تعنيه وتتحدث عنه وعن دوره في المجتمع؛ فعارضها كثير من الشعراء حيث استعذبوا كلماتها وجمال صياغتها وقوة تأثيرها على الأذن.



ولعل أشهر القصائد معارضةً لها واتساعاً بعدم الموافقة على النص، هي قصيدة إبراهيم طوقان الذي راح يعدد ويفصّل المراحل التي يمر بها عمر المعلم وما يناله من تأثير نفسي وصحي وعقلي من جراء تعليم الصبية وملازمته لهم. من تلك القصيدة التي عارض بها إبراهيم طوقان قصيدة شوقي.. قوله:

شوقي يقول وما درى بمصيبتي
قم للمعلم وفِّه التبجيلا

اقعد فديتك هل يكون مبجلا
من كان للنشئ الصغار خليلا

ويكاد يفلقني الأمير بقوله
كاد المعلم أن يكون رسولا

لو جرّب التعليم شوقي ساعةً
لقضى الحياة شقاوةً وخمولا

حسب المعلم غمة وكآبةً
مرآى الدفاتر بكرةً وأصيلا

مئة على مئة إذا هي صلحت
وجد العمى نحو العيون سبيلا[1]

ويختم هذه المعارضة الطريفة التي بلغت أربعة عشر بيتاً بقوله:

يا من يريد الانتحار وجدته
إن المعلم لا يعيش طويلا

○○○○○

(١) حصل أخذ ورد ونقد حول قوله: صلحت ورؤى أن صحتها، لو قال: «صححت».

كعب بن زهير يحصل على تصريح بقول الشعر

ذكر أبو الفرج الأصفهاني في كتاب «الأغاني» عن حماد الراوية أن كعب بن زهير بدأ يقول الشعر فنهاه زهير مخافة أن يكون لم يستمكن شعره فيروى له ما لا خير فيه؛ فكان يضربه في ذلك، فلما طال عليه في ذلك أخذه فحبسه، ثم قال: والذي أحلف به لا يبلغني أنك قلت بيتاً إلا نكّلت بك، فبلغه أنه يقول الشعر فغضب زهير، فضربه ضرباً مبرحاً ثم ركب ناقته وأردفه، وهو يريد أن يعنته (يختبره) ليعلم ما عنده من الشعر، فقال زهير حين برز من الحي منشداً:

وإني لتعديني على الهمّ جسرة
تخب بوصال صروم وتعنق[1]

ثم ضرب كعباً وقال: أجزيا لكع. فقال كعب مجيزاً:

كبنيانة القرئي موضع رحلها
وآثار نسعيها من الدف أبلق[2]

فقال زهير:

على لاحب مثل المجرة خلته
إذا ما علا نشزاً من الأرض مهرق[3]

ثم ضربه وقال أجز. فقال:

---

(١) الجسره: الناقة العظيمة.

(٢) القرائي: منسوب إلى القرية. وقد شبه هذه الناقة ببنيان القرى.

(٣) النشز: المرتفع من الأرض، ولاحب: واضح.

منير هداه ليله كنهاره

جميع إذا يعلو الحزونة أخرق[1]

قال: ثم بدأ زهير في وصف النعام وترك حركة القاف بتعسفه بذلك ليعلم ما عنده، فقال:

وظل بوعساء الكثيب كأنه

خباء على صقبي بوان مروق[2]

بوان: عمود من أعمدة البيت. فقال كعب:

تراخى به حب الضحاء وقد رأى

سماوة قشراء الوظيفين عوهق[3]

فقال زهير:

تَحنُّ إلى مثل الحبابير جثّم

لدى منتج من قيضها المتفلق

الحبابير: جمع حبارى، ويجمع أيضاً على حبارات. فقال كعب:

تحطم عنها قيضها عن خراطم

وعن حدق كالنبخ لم يتفتق

النبخ: الجدري: شبه عيون أولاد النعام به.

قال: فأخذ زهير بيده، وقال: قد أذنت لك في قول الشعر يا بني..

وشعر هكذا يقع بين شاعرين يسمى الأنفاذ، وهو نوع من التمليط.

---

(١) منير: يعني الطريق.

(٢) الوعساء: الرملة.

(٣) العوهق: الطويل.

تحاور بين اللص وأبي جعفر

الشعراء هم أكثر الناس اختصاصاً بالمداعبات والتقاولات، والمحاورات، وهذا شيء بالنسبة لهم يكاد يكون طبيعياً.. فطبيعتهم تجعلهم أقرب الناس إلى المداعبة، وأعشق الناس للمحاورة.. والذي له صلة بكتب التراث ودواوين الشعر يجد فيها من المناظرات الشعرية الشيء الكثير.. من ذلك ما جرى بين أبي جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي.. وبين الشاعر ابن سيد المشهور باللص[1] (هكذا عرفه التلمساني في كتابه) «نفح الطيب» من تحاور بدأه أبو جعفر فقال:

سقتني والأفق برد

بنجوم الليل معلم

فقال ابن سيد:

وبساط النهر منها

وهو فضيّ مدرهم

فقال أبو جعفر:

ورواق الليل مرخى

والشذا بالروض قد نم

فقال ابن سيد:

---

(١) اللص هو أبو العباس أحمد بن سعيد الأشبيلي، عالم نحوي، ولقب باللص لإغارته على أشعار الناس. (نفح الطيب ج٤).

والندى في الزهر منثو
ر على عقد منظم

فقال أبو جعفر:

والصبا جرت على ميْـ
ـت الطلى كف ابن مريم

فقال ابن سيد:

كان مبهوتاً فلما
نفحت فيه تكلم

فقال أبو جعفر:

وكأن الكأس والقهـ
ـوة دينار ودرهم

فقال ابن سيد:

وبدا الدف يناغي الـ
ـعود والمزمار هيم

ولهذه المحاورة بقية على ص ١٩٩ جـ٤، «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب».

○○○○○

محاورة عبيد بن الأبرص لامرئ القيس

المحاورة الفورية التي تحدث أحياناً بين شاعرين أو أكثر، تدل دلالة واضحة: على وجود نزعة ذكاء ويقظة ذهن مستمرة لدى الشاعر.. والتحاور البديهي، وأقصد بالبديهي الذي يتم بداهة وبلا تحضير مسبق. والبديهة تعد ميزة يمتاز بها الشاعر عن غيره من الشعراء الذين يرسمون خيوط القصيدة، ويحددون أهدافها ومراميها، ثم يبدؤون في بناء أبياتها بيتاً بيتاً، ثم بعد استكمالها يعيدون النظر في معناها وشكلها وإطارها العام، فيغيرون ويبدلون ما لم يوافق وحدة البناء أو لا يتفق في معناه مع الغرض الذي أنشئت من أجله؛ وأعود إلى موضوع البداهة التي هي أقل من الارتجال فأقول: إنها سرعة استجابة الخاطرة ولعل أقرب مثل نسوقه في ذلك ونعتبره نموذجاً لما جرى بين الشعراء في هذا المضمار هو التحاور بين عبيد بن الأبرص وامرئ القيس. والذي كان البادئ به عبيد بن الأبرص وذلك بقوله:

ما حبة ميتة أحيت بميتتها
درداء ما أنبتت سنا وإضراسا

فقال امرؤ القيس:

تلك الشعيرة تسقى في سنابلها
فأخرجت بعد طول المكث أكداسا

فقال عبيد:

ما السود والبيض والأسماء واحدة
لا يستطيع لهن الناس تمساسا



فقال امرؤ القيس:

تلك السحاب إذا الرحمٰن أرسلها
روى بها من محول الأرض أيباسا

فقال عبيد:

ما القاطعات لأرض لا أنيس بها
تأتي سراعا وما ترجعن أنكاسا

فقال امرؤ القيس:

تلك الرياح إذا ذهبت عواصفها
كفى بأذيالها للتراب كناسا

فقال عبيد:

ما الفاجعات جهاراً في علانية
أشد من فيلق مملوءة باسا

فقال امرؤ القيس:

تلك المنايا فما يبقين من أحد
يكفتن حمقى وما يبقين أكياسا

○ ○ ○ ○ ○

شيء من زهد الحسن البصري

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد: حدثت أن راهبين دخلا البصرة من ناحية الشام فنظرا إلى الحسن البصري، فقال أحدهم لصاحبه: مل بنا إلى هذا الذي كأن سمته المسيح فعدلا إليه؛ فألفياه مفترشاً بذقنه ظاهر كفه، وهو يقول: يا عجباً لقوم قد أمروا بالزاد، وأذنوا بالرحيل.. وأقام أولهم على آخرهم فليت شعري ما الذي ينتظرون؟.

إنه تساؤل يستمتع بتكراره الحسن البصري رحمه الله، وهو في مفهومه يحمل النائم على اليقظة، والكسول على الجد، والعامل على المثابرة، والغافل على التأمل والتدبر... بل إن الحسن البصري يقول للناس بهذا التساؤل: اعملوا وحصلوا في هذا اليوم الذي فيه عمل ولا فيه حساب.

والشعراء لهم دور فعال في انتهاج نهج الحسن البصري في تزهيد الناس بالدنيا وتذكيرهم بأيام الله.. والوقوف في يوم الحشر ذلك اليوم الذي: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾، ومن تلك المساهمات الشعرية في هذا الحقل الديني ما قاله أبو العتاهية:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
خلوت ولكن قل عليّ رقيب

ولا تحسبن اللّه يغفل ما مضى
ولا أنَّ ما يخفى عليه يغيب



وما قاله صالح بن عبد القدوس:

ذهب الشباب فما له من عودة
وأتى المشيب فأين منه المهرب

وغرور دنياك التي تسعى لها
دار حقيقتها متاع يذهب

تباً لدار لا يدوم نعيمها
ومشيدها عما قليل يخرب

فعليك تقوى فلازمها كي تفز
إن التقي هو البهي الأهيب

واعمل بطاعته تنل فيه الرضا
إن المطيع له، لديه مقرب

واقنع ففي بعض القناعة راحة
واليأس عما فات فهو المطلب

○○○○○

أصحاب الجنة

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف: ٤٤].

وفي سورة الأعراف أيضاً، آية ٥٠ قال جل من قائل: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾.

ونلاحظ أن في الآيتين المتقدمتين إجابة صحيحة متبادلة بين الفريقين، فريق الجنة وفريق النار، كلها تحقق أنهم وجدوا ما وعدهم ربهم حقاً وصدقاً.. وتشرئبّ نفوس أهل النار، إلى الماء، والرزق الذي لقيه أهل الجنة في الجنة فيطلبون منهم المدد ولكن الجواب يكون قاسياً وعنيفاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

والجنة هي الدار التي يضرع المؤمن إلى الله سبحانه وتعالى بالفوز بها: وهي جائزة رب العالمين لعباده المؤمنين الذين جعلوا الدنيا ممراً وطريقاً مؤدية إليها.

والمؤمن الصادق الإيمان يشتاق شوقاً عظيماً إلى الجنة، ويستبشر حينما يقرأ وصفها في الكتاب المطهر الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وذلك كقوله تعالى في سورة العنكبوت آية ٥٨: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

وكقوله تعالى في سورة النحل آية ٣٠ - ٣١: ﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ



﴿اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾﴾.

والطامعون في جنب الله هم الذين يشمرون عن سواعدهم، ويمضون في سباق لطلب رضوان الله بنفوس مطمئنة راضية بالرجوع إلى ربها لتفوز بالنعيم المقيم، ولقد قرأت قصيدة طويلة جداً لعبد الرحمٰن خليف عضو المجلس الإسلامي الأعلى بتونس ذكر فيها الشيء الكثير من صفات الجنة، منها قوله:

أما الجزاء بدار الخلد فهو على
مقدار أنعام فضل اللّه إحسانا

الوصف يعجز عن تصوير أيسرهم
إذ كل وصف له يكسوه نقصانا

ما أسعد المؤمنين المتقين إذا
سيقوا لها زمراً في الوفد ركبانا

دار السلام لهم دار تحيتهم
فيها سلام فيكسو الجو رضوانا

لا يهرمون بها إذ ما بها نصب
ولا لغوب وهم يحيون إخوانا

ثيابهم سندس خضر وإستبرق
وبالأساور يغدو المرء مزدانا

على الأرائك في النعمى متكؤو
ن من تحتهم جرت الأنهار تهتان

في كل حين لطيف العطر يغمرهم
والقطف داني الجنى قد مال أغصانا

أهل النار

نعوذ بالله من النار وما يقرّب إليها من قول أو فعل أو عمل. اللهم لا تجعلنا من أهلها ولا من أصحابها، وارحمنا رحمةً تنجينا منها وتحول بيننا وبينها. ولقد توعّد الله سبحانه وتعالى من جحد وكفر بأنعم الله بالعقوبة بالنار، فقال تعالى في سورة الحج آية ٧٢: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾.

وقال تعالى في سورة الأنعام آية ١٢٨: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

وقال تعالى في سورة آل عمران آية ١٥١: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾.

وقال تعالى في سورة فصّلت آية ٢٧ ـ ٢٨: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

وقال تعالى في سورة غافر آية ٧٠، ٧١، ٧٢: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾.



ولقد ورد ذكر النار في القرآن الكريم في أكثر من مائة وأربعين موضعاً.

وللشعراء الإسلاميين مساهمة فعالة في ذكر النار والتخويف منها، فمن قصيدة طويلة للشاعر عبد الرحمٰن خليف عضو المجلس الإسلامي الأعلى بالجمهورية التونسية قوله:

وفي السلاسل والأغلال كم أمم
تتابعت في لظى شيباً وشبانا

ويل لهم من بلاء كان يرصدهم
في الحشر إذا سحبوا صم وعميانا

وفي الجحيم أقاموا كلما نضجت
جلودهم بدلت للنار أزمانا

وفي بطونهم الزقوم ملتهب
كالمهل يغلي فيطفو الحر بركانا

إن يستغيثوا يغاثوا ظامئين بما
يشوي الوجوه جزاءاً ليس عدوانا

يا ويحهم كلما نادوا أو اصطرخوا
من حر ما زادهم في الكرب أحزانا

أما أتاكم نذير؟ قال خازنها
قالوا: بلى. قال: ذوقوا اليوم ما حانا

جاءتكم الرسل تترى فاستخف بها
ساداتكم وأبوْ للحق إذعانا

○○○○○

لو كان غنياً لشنفت أصوات أولاده الآذان

ولا أدري ما الذي حدا بالشاعر العراقي أحمد الصافي النجفي إلى مهاجمة الفقير في قصيدة له عنوانها: «جوار الفقير»؛ مهاجمة شديدة لا مبرر لها، حيث طالبه بفعل أشياء، الفقر يمنعه منها، والقل يقف حائلاً دون تحقيقها، وإذا لم يكن قد قصد بها لفت النظر والتنبه إلى حالة الفقير، وإنما قصده أن يجعل من الفقر سبباً من الأسباب التي يصدر عنها إيذاء الناس، فإن التعليق على هذا لا يخرج عن القول بأن النجفي بدلاً من أن يضع نفسه موضع المدافع عن الفقير، والمطالب بمد يد العون له من قبل الأغنياء راح يصب عليه جام غضبه كما يقولون.. وينتقده انتقاداً حاداً مشوباً بالسخرية التي تحرض على نبذه وعدم مجاورته.. وذلك بقوله:

جاور غنياً تنتفع بنظافة
وبمنظر والصخب منه مؤقت
واحذر جوارك للفقير فعنده
ديك يصيح.. ورادي.. لا يسكت

ومع ما يعاني منه الفقير من حياة صعبة، نرى النجفي يزيد الطين بلة كما يقولون؛ فيصفه بأنه بلاء على نفسه ولجاره، وأنه إذا لغا لا يصمت.

إن الفقير هو البلاء لنفسه
ولجاره وإذا لغا لا يصمت

ثم ليت النجفي اكتفى بوصفه بهذه الصفة، وإنما مضى في سرد

الحياة الاجتماعية لذلك الفقير بأسلوب ساخر، أقل ما فيه تعييره بكثرة الأولاد الذين يحدثون بطبيعة الحال ضجة وحركة في منزلهم.. من تلك السخرية التي تنافي الدعوة للأخذ بيد الفقير كما أسلفت، وتحارب الإكثار من النسل الذي حث عليه ديننا الإسلامي.

إنـــتـــاجـــه الأولاد غـــايـــة هـــمّـــه
أســـتـــاذهـــم طـــرق وذوق مـــيـــت

تـجـد الـحـروب مـقـامـة فـي داره
فـالـحـرب تـولـد فـي فـنـاه وتـنـبـت

مـا إن تـفـارق صـوتـه وخـيـالـه
فـكـأنـه هـمّ بـقـلـبـك مـثـبـت

ثم يتصور أنه حتى وإن هرب من مجورته؛ فإن سمعه يبقى في خوف من ذلك الضجيج الناتج عن كثرة الأصوات المتواجدة في بيت ذلك الفقير.. ولهذا فإنه قد تولّد لديه بغضاً له لا يألفه الشعر الذي كثيراً ما يكون أداة حادة.

تجرح كل مكروه ومبغض:

حـتـى مـتـى تـهـرب لـتـنـسـى صـوتـه
أحـسـسـت سـمـعـك خـائـفـاً يـتـلـفـت

حـتـى قـريـضـي لا يـسـيـر بـوصـفـه
بـغـضـاً لـه. وإذا تـقـيـد يـفـلـت

○○○○○

الاستدراج بالشعر من تجار هدايا الكلام!!!

استهل الشاعر طانويس عبده إحدى قصائده التي حواها ديوانه «ديوان طانيوس عبده»، والتي جعل عنوانها: «هدية العام من تاجر كلام» بقوله:

أتـريـديـن مـثـلـمـا قـد حـوى
ثـغـرك هـذا مـن لـؤلـؤ الأسـنـان

وقد انطلق طانيوس في تلك القصيدة طالباً من محبوبته تحديد نوع الهدية التي ترغب في إهدائها لها بمناسبة عيد رأس السنة، وقد أكثر من استعراض أصناف الهدايا وذكر أسمائها.

أتـريـديـنـهـا لآلـي أم مـن
وهـج الـشـمـس أم ورود الـجـنـان

كل هذه العروض ومحبوبته صامتة لا تتكلم، وخيال الشاعر ما زال يستنطقها ليسمع منها ما ترضى به من الهدايا المتعددة الأنواع فيسارع إلى جلبها لها.. لكنه فاجأ قارئ تلك القصيدة بقول:

لـم تـرق هـذه الـهـبـات لـديـهـا
وهي ترجو من حكمها بقطع لساني

فـقـضـت أنـنـي بـخـيـل وأنـي
لـجـديـر بـالـحـبـس فـي هـمـيـانـي

ثم قالت وقد خطت خطوة نحو
ي ولـكـنـنـي لـبـثـت مـكـانـي



ترى ماذا قالت له؟، لقد كشفت عن كذب الشعراء وعن أساليبهم الاستدراجية التي لا تثمر في كثير من الأحيان والمناسبات إلا بالعنت والخسران.. وأنها مكتفية بمن كان قد أهداها قلبه.. لا بمن أطلق لسانه بقول لا يبقى له أثر في النفس بسبب زيفه ومجانبته للصدق.

حسب هذا اللسان جوداً فقد نلت
به اليوم فوق ما قد كفاني

والذي بات قلبه لي فما يهد
ي إذا كان قلبه أهداني

ثم جعلها تعطف القول نحو الشعر ذاته لتؤكد بأنه مناقض للصدق وأنه هو والصدق لا يجتمعان في حالة واحدة مهما بلغت عذوبة لفظه ورقة وصفه؛ يقول على لسانها:

قبح الشعر إنه بات والصد
ق نقيضين ليس يجتمعان

وكأنما هو بذلك يذكر المقولة التي تصف الشعر بأن أعذبه ما كان أكذبه.

○○○○○

تأثير العيون

والعيون في بعض الأحيان تكاد تكون سلاحاً فاتكاً له حدان، أحدهما يتعامل معه العشاق، وأهل الهوى؛ والشعراء هم الذين يرون في العيون مادة قوية التأثير على التغزل، وبحراً واسعاً وعميقاً تجول فيه زوارق العذريين من العشاق وغيرهم. أما الحد الثاني فهو السلاح الذي يرسل إشارات العداوة وينطق بالكيد والغيظ ويبدي علامات الحقد والجفا.

ولهذا فإن العين تعرف من نظرات العين المقابلة لها أهي تضمر عداوة وبغضاء لها؟ أم أنها تبدي تودداً وتسامحاً وتعطفاً ورغبة في التقرب إليها؟، وإذا كانت العين التي تنظر شزراً كما يقولون، وتظهر حنقاً، هي عين من إذا قال فعل فإن ألحاظها تكاد تكون قاتلة، ونظراتها مخيفة؛ لأن المقابل لها إذا ما قرأ فيها سورة الغضب وهو في نفس الوقت جبان أخذت فرائصه ترتعد خوفاً فينتابه الذعر والخوف من رؤيتها؛ ولأحمد الصافي النجفي وقفة تصورية لتلك العيون.

وقد أودع تلك الوقفة في قصيدة عنوانها: «العيون المريبة» وقد أشار إلى أن ما يريب منها هو تحسسها للأشياء من حولها بشيء من الازدراء الممزوج بمحاولة الإفصاح عن مثالب المقابل لها، يقول:

سأنتاي عن عيون ... مشحونة بالظنون

مسجلات جزافاً ... تحركي وسكوني



تقيسني ذارعات
يا للحظ كل شؤوني

مقيداتٌ لفكري
مكسرات شجوني

مبدلاتٌ لرأيي
بالشك بعد اليقين

مبعداتٌ لعقلي
مقربات جنوني

أعيش منها كأني
في قالب من عيون

هذا لعمري سجنٌ
يفوق كل السجون

○ ○ ○ ○ ○

عبادة الأصنام

والدين الإسلامي حرم عبادة الأصنام، ونبي الله إبراهيم كسرها وجعلها جذاذاً إلا واحداً منها وهو أكبرها ليكون موضع الجدل والحجة الدامغة لإبراهيم حيث قال: اسألوه عمن كسر أصحابه إن كنتم تعتقدون أنها تدرك وأنها تجلب لكم الخير ليقول لكم: كسرها فلان. قال تعالى في سورة الأنبياء من الآية ٥٧ ـ ٦٧ على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۝٥٧ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۝٥٩ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ۝٦٠ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۝٦١ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۝٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ۝٦٣ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ۝٦٤ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ۝٦٥ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾.

وجاء محمد ﷺ فحطم جميع الأصنام وأضاف إلى تحريمها تحريم اقتناء الصور، بجميع أشكالها خوفاً من الرجعة إلى تعظيمها وتقديسها وجعلها وثناً يعبد كما كانت بداية عبادة الأصنام، والحقيقة أن الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي شنّ حرباً توحيدية على رفض الخرافات التي لا يقبلها العقل ولا يثبت منها بواقع الفعل نفع، فصار المسلم بالتخلص منها: نقياً تقياً صافياً، لا تشوب أفعاله وأعماله شائبة، وبهذا النهج العقيدي السليم حصن المسلم نفسه وارتفع بها عن مزالق الشبهة وجنبها مهاوي السوء، وإشراك البدع وأنقذها من

الضلالات. وطالما أن الاستشهاد بالشعر شرط في تأليف هذا الكتاب، فإنه من الأجدر أن أختار قصيدة حول هذا الموضوع لأقتطف منها ثمانية أبيات فقط وذلك وفقاً لشرطي في التأليف، والقصيدة التي بين يدي هي قصيدة للشاعر أحمد الصافي النجفي انتقيتها من ديوانه «الشلال»، حيث قد رسم فيها صورة إيمانية رائعة، منها قوله:

تغاضيت عن رسم العظيم بغرفتي
وأبعدته عني فكنت حكيما

يكلفني تعظيمه حين لا أرى
سوى النفس والله العظيم عظيما

ومنها قوله:

إلهي مقيم في فنائي وغرفتي
أأرضى شريكاً للإله قسيما

إلهي أنى سرت فهو مرافقي
مكون نفسي رازقاً وكريما

ومنها قوله:

لقد حرم التصوير قدماً لأننا
عبدنا تماثيلاً لنا ورسوما

وما الرسم معبوداً سوى وثنية
حديثاً بها ضل الورى وقديما

فهل من نبي للإله يعيدنا
ويترك تمثال العظيم حطيما

عجبت من الإنسان يعبد مثله
ويترك رباً خالقاً ورحيما

ليلى الأخيلية في مجلس الحجاج

دخلت ليلى الأخيلية في يوم من الأيام على الحجاج في مجلسه، فأخذت تتحدث بطلاقة وفصاحة، فالتفت الحجاج إلى جلسائه فقال: أتدرون من هذه؟ قالوا: لا، والله أيها الأمير إلا أنا لم نر قط أفصح لساناً ولا أحسن محاورة ولا أملح وجهاً، ولا أرصن شعراً منها، فقال: هذه ليلى الأخيلية التي مات توبة الخفاجي من حبها، ثم التفت إليها وقال: أنشدينا يا ليلى بعض ما قال فيك توبة، فقالت: نعم أيها الأمير هو الذي يقول:

حمامة بطن الواديين ترنمي
سقاكي من الغر الغوادي مطيرها

أبيني لنا لا زال ريشك ناعم
ولا زلت في خضراء غصن نضيرها

وكنت إذا ما زرت ليلى تبرقعت
فقد رابني منها الغداة سفورها

وقد رابني منها صدودٌ رأيته
وإعراضها عن حاجتي وبسورها

وأشرف بالقور اليفاع لعلني
أرى نار ليلى أو يراني بصيرها

يقول رجال: لا يضيرك نأيها
بلى كل ما شفّى النفوس يضيرها

بلى قد يضير العين أن تكثر البكاء
ويـمـنـع مـنـهـا نـومـهـا وسـرورهـا

وقـد زعـمـت لـيـلـى بـأنـي فـاجـر
لـنفسي تقواها أو عـلـيـها فجورها

فقال الحجاج: يا ليلى ما الذي رابه من سفورك؟ فقالت: أيها الأمير، كان يُلمّ بي كثيراً فأرسل إليّ يوماً، إني آتيك، وفطن الحي، فرصدوا له. فلما آتاني سفرت عن وجهي فعلم أن ذلك لشرّ، فلم يزد على التلسم والرجوع. فقال: لله درك؛ فهل رأيت منه شيئاً تكرهينه؟ فقالت: لا والله الذي أسأله أن يصلحك ما رأيت منه شيئاً حتى فرق الموت بيني وبينه. ثم قال لها: سلي يا ليلي تُعْطي. قالت: أَعْطِ فمثلك أعطى فأحسن. قال: لك عشرون. قالت: زد، فمثلك زاد فأجمل. قال: لك أربعون. قالت: زد، فمثلك زاد فأكمل. قال: لك ثمانون. قالت: زد، فمثلك زاد فتممّ. قال: لك مائة، واعلمي أنها غنم. قالت: معاذ الله أيها الأمير، أنت أجود جوداً، وأمجد مجداً، وأورى زنداً، من أن تجعلها غنماً. قال: فما هي؟ ويحك يا ليلى؟ قالت: مائة من الإبل برعاتها. فأمر لها بها. ثم قال: ألكي حاجة بعدها؟. قالت: تدفع إليّ النابغة الجعدي. قال: قد فعلتْ. وقد كانت تهجوه ويهجوها، فبلغ النابغة ذلك. فخرج هارباً عائذاً بعبد الملك؛ فاتبعته إلى الشام. فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخرسان، فاتبعته على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة. فماتت بقومس، ويقال: بحلوان. وقومس كما قال الشارح: صقع بين خراسان وبلاد الجبل.

○○○○○

دلالة نيسان وأثره

ونيسان اسم للشهر السابع من الأشهر السريانية، وهو يقع في فصل الربيع من كل عام، ويقابله من الأشهر الرومانية (إبريل)، وقد سمي إبريل باسم معبودة تسمى (إبريل)، يعتقدون أنها تتولى فتح الأزهار، أما نيسان فإنه بحلوله ترف بشائر الدفء وينصرم حبل الشتاء وفيه تأخذ الأرض زينتها وزخرفها، حيث يكتسى كل عود قد جرده الصقيع من لونه، وعَرّاه البرد من أوراقه.

وفيه أيضاً تأخذ أغصان الأشجار في التسامق والتطاول فيشتاق للتغني على ذؤابتها الطير، أما الإنسان فتغمره البهجة في شهر نيسان حينما يرى المنظر الربيعي الذي يجلب السرور إلى النفس، ويوثق التفاؤل بالحياة؛ فيرسم الفنان التشكيلي على لوحته ما تراه عينه من جمال الطبيعة الذي يمد ريشته بزرقة السماء الملبدة بالغيوم، وبخضرة الأرض المرصعة بألوان الزهور.

أما الشاعر فإنه يستلهم وحي شعره من تلك الصورة، فيحول ما يراه إلى أبيات عذبة فيها وصف بديع، وتصوير يولد في نفس قارئها عشق الطبيعة.

ولقد كان لنيسان نصيب في ألسنة الشعراء، ولا عجب في ذلك إذ له نصيبٌ وافر من فصل الربيع كما أسلفت، من أولئك الشعراء الذين ذكروا نيسان في أشعارهم الشاعر السوري محمد محمود البزم؛ فمن قصيدة له عنوانها: «نيسان» يقول:

أنيسان ما أيّارُ منك بمرقبٍ

ولا دمعُك اللألاء يرويه ساكبه



ولكن دمعاً يملأ الكون بهجةً

يجود بها آذار سمحاً سحائبه

إذا ما بكى واستضحك البرق مغضباً

تباشرت الدنيا وأرعد ناحبه

وهيأ للنيروز أسباب زهوه

فهبت له الأرواح نشوى تواكبه

ويقول:

أنيسان خذ ما شئت في الفخر أو فدع

فأنت سليل الحق يشقى مغالبه

ويقول:

وصِنْوَك آيارٌ وما أنت كافر

شكور لمعطاء توالىٰ مواهبه

ويقول:

وقد داعبوا نيسان بالكذب بدعة

فطاعت إلى ما يشتهون مداعبه

على أنه ما كان في الشرق كاذب

ولكنه في الغرب يمدح كاذبه

○ ○ ○ ○ ○

من المراثي التي قيلت على قبر عمرو الدوسي

ذكر أبو علي القالي في كتاب «الأمالي»، أنه لما مات عمرو بن حُمَمَة الدوسي (وكان أحد من تتحاكم إليه العرب) مرّ بقبره ثلاثة نفر من أهل يثرب قادمين من الشام وهم، الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد أبو كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه النبي ﷺ، وعتيل بن قيس بن هَيْشَة بن أمية بن معاوية، وحاطب بن قيس بن هيشة الذي كانت بسببه حرب حاطب. فعقروا رواحلهم على قبره، وأخذ كل منهم يرثيه بقصيدة. أذكر أبياتاً من قصيدة حاطب وذلك وفقاً لشرطي الذي اشترطته في تأليف هذا الكتاب وهو الالتزام بأن لا تزيد ولا تنقص شواهد أي موضوع عن ثمانية أبيات، يقول حاطب في قصيدته:

سلام على القبر الذي ضم أعظماً
تحوم المعالي حوله فتسلم

سلام عليه كلما ذرّ شارق
وما امْتَدّ قطْعٌ من دجى الليل مظلم

فيا قبر عمرو جاد أرضاً تعطّفَتْ
عليك مُلِثٌّ دائم القطر مرزم

تضمنت جسماً طاب حياً وميتاً
فأنت بما ضُمّنْتَ في الأرض مُعْلم

فلو نطقت أرض لقال ترابها
إلى قبر عمرو الأزد حلّ التكرم

ومنها قوله:

فلا يبعدنك اللّه حياً وميتاً
فقد كنت نور الخطب والخطب مظلم

وقد كنت تُمْضِي الحكم غير مُهَلهل
إذا غال في القول الأبَلُّ الغشَمْشَم

ويختمها بقوله:

لقد هدّم العلياء موتك جانباً
وكان قديماً ركنها لا يهدم

والأبَلُّ: الظلوم..

○○○○○

الزبير أحد كتاب الوحي
وأول من سل سيفاً في سبيل الله

ذكر الإخباريون كابن كثير في كتابه «البداية والنهاية»، أن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، كان من كتاب الوحي وكان أول من سل سيفاً في سبيل الله.. وهو من كبار تجار الصحابة، وهو حواري رسول الله ﷺ وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهم، وهو زوج أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه. وروى ابن عساكر بإسناد عن عتيق قال: أسلم الزبير قديماً رضي الله عنه وهو ابن ست عشرة سنة، ويقال: ابن ثمان سنين، وهاجر الهجرتين، وشهد المشاهد كلها وهو أول من سل سيفاً في سبيل الله، وقد شهد اليرموك، وكان أفضل من شهدها، واخترق يومئذ صفوف الروم من أولهم إلى آخرهم مرتين، ويخرج من الجانب الآخر سالماً، وجمع له رسول الله يوم الخندق أبويه، وقال: «إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير». توفي يوم الجمل وذلك أنه كرّ راجعاً عن القتال فلحقه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابي، ورجل ثالث يقال له: نقيع التيميون، بمكان يقال له: وادي السباع؛ فبدر إليه عمرو بن جرموز وهو نائم فقتله، وذلك في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وله من العمر يومئذ سبع وستين سنة، وقد خلف رضي الله عنه تركة عظيمة فأوصى من ذلك بالثلث بعد إخراج ألفي ألفِ ومائتي ألف دينار وقسم الباقي على ورثته فنال كل امرأة من نسائه وكن أربعاً ألف ألف، ومائتا ألف، وبذا يكون مجموع ما تركه تسعة وخمسين ألف ألف، وثمانمائة ألف

خلاف الأراضي والعقارات. وذكر ابن الأثير في «الغابة»: أنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، وكان يتصدق بذلك كله. قال حسان بن ثابت مادحاً إياه:

أقام على عهد النبي وهديه
حواريه والقول بالفضل يعدل

أقام على منهاجه وطريقه
يوالي ولي الحق، والحق أعدل

هو الفارس المشهور والبطل الذي
يصول إذا ما كان يوم محجل

وإن امرأً كانت صفية أمه
ومن أسد في بيته لمرسل

له من رسول اللّه قربى قريبة
ومن نصرة الإسلام مجد مؤثل

فكم كربة ذب الزبير بسيفه
عن المصطفى واللّه يعطي ويجزل

إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها
بأبيض سياف إلى الموت يرفل

فما مثله فيهم ولا كان قبله
وليس يكون الدهر ما دام يذبل

○○○○○

حسان يرد على هند بنت عتبة

في كتب السير جاء: أن هند بنت عتبة بن ربيعة أم معاوية وزوجة أبي سفيان، كانت امرأة لها نفس وأنفة، وقد كانت قبل إسلامها تؤلب على المسلمين وقد فعلت ما فعلت بسيدنا حمزة يوم أحد.

يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لحسان: يا ابن الفريعة لو سمعت ما تقول هند، ورأيت أشرها قائمة على صخرة ترتجز وتذكر ما صنعت بحمزة. فقال حسان اسمعني: أكفيكموها. فأسمعه قولها:

نحن جزيناكم بيوم بدر
والحرب بعد الحرب ذات سعر

ما كان من عتبة لي من صبر
ولا أخي وعمه وبكر

شفيت نفسي وقضيت نذري
شفيت وحشي غليل صدري

فشكر وحشي على عمري
حتى ترم أعظمي في قبري

فكان رد حسان رضي الله عنه عليها:

أشرت لكاع وكان عادتها
لؤم إذا أشرت مع الكفر

لعن الإله وزوجها معها
هند الهنود طويلة البظر

أخْـرَجْـتِ مـرقـصـة إلـى أحـد
فـي الـقـوم مـعـنـقـة عـلـى بـكـر

بـكـر ثـفـال لا حـراك بـه
لا عـن مـعـاتـبـة ولا زجـر

والقصيدة طويلة.

وقد أسلمت هند عام الفتح بعد إسلام زوجها ولما أخذ رسول الله ﷺ البيعة على النساء. تلك البيعة التي من شروطها أن لا يسرقن ولا يزنين. قالت له هند: وهل تزن المرأة وتسرق يا رسول الله؟، فلما قال ﷺ: «ولا يقتلن أولادهن». قالت بجرأتها المعهودة: قد ربيناهم صغاراً وقتلتهم أنت ببدر كباراً. وقد توفيت هند في خلافة عمر رضي الله عنه.

○○○○○

حسان بن ثابت يهاجي زوجته

جاء في «ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه»: أنه كان قد تزوج امرأة من أسلم، فولدت له غلاماً فقال يهجوها:

غلامٌ أتاه اللؤم من شطر خاله
له جانب وافٍ وآخر أكشم[1]

فقالت تجيبه:

غلامٌ أتاه اللؤم من نحو عمه
ومن خير أعراق ابن حسان أسلم

وبنظرة عابرة على هذا التهاجي نلمس أن كفة الميزان شبه متعادلة بين حسان وزوجه، من حيث تقاذف المسؤولية وتحديد الجهة التي كان لها عرق، وركيزة في خلق وأخلاق ذلك الغلام الذي لا ذنب له.

والذي تجدر الإشارة إليه هو أنه لو طال ذلك التهاجي وامتد وبلغ في النفوس مبلغه لظهر من حسان كلام غير ذلك ولجأ بأسلوب هجائي ربما يستل ولده منه أو يجعله منصوفاً؛ أي: نصف مهجو، وهو ما ينسبه إلى أمه وأخواله.

ونصف ممدوح، وهو ما ينسبه إليه. ولكن التهاجي لم يطل وتوقف عند ذلك فيما أعلم.

أما أسلوب حسان رضي الله عنه في الهجاء فهو قاسي وموجع

(١) الأكشم: الناقص في جسمه وحسبه.

جداً. فجرحه لا يندمل وثلمه لا يسد. ولو تصفحنا ديوانه لوجدناه قد نال من المشركين ومن قريش نيلاً مؤلماً.

وكيف لا يكون كذلك والرسول ﷺ قد أوصاه باتخاذ ذلك الأسلوب؛ ليسكت به شعراء قريش الذي يؤذون النبي وصحابته ويرجمونه بساقط القول.

فمن القصائد الهجائية قوله في بني المغيرة:

هلا منعتم من المخزاة أمكم
عند الثنية من عمرو بن يحموم

أسلمتموها فباتت غير طاهرة
ماء الرجال على الفخدين كالموم[1]

بنو المغيرة فحش في نديهم
توارثوا الجهل بعد الكفر واللوم

وقوله رضي الله عنه لمخرمة بن المطلب، وأبي صيفي بن هشام:

إذا ذكرت عقيلة بالمخازي
تقنع من مخازيها اللئام

أبو صيفي الذي قد كان منها
ومخرمة الدعي المستهام

إذا شُتموا بأمهم تولوا
سراعاً ما يبين لهم كلام

○ ○ ○ ○ ○

(١) الموم: الشمع، واحدته مومه، شبه به مني الرجال.

عرابة الذي مدحه الشماخ بن ضرار

ذكر الأصبهاني في كتاب «الأغاني» نسبه فقال: هو عرابة بن أوس بن قيظي بن عمرو.. أنهى نسبه إلى الخزرج. وقيل هو: عرابة بن أوس بن مالك الأوسي. وذكر الأصبهاني من رواية الطبري، أن أوس بن قيظي أبو عرابة كان من المنافقين الذين شهدوا أحداً مع رسول الله، وهو الذي قال: إن بيوتنا عورة. وأخوه مرفع بن قيظي الأعمى الذي حثا في وجه رسول الله التراب لما خرج إلى أحد، وقد مرّ في حائطه وقال له: إن كنت نبياً فما أحل الله لك أن تدخل في حائطي. فضربه سعد بن زيد الأشهل بقوس فشجعه وأراد أن يقتله. فقال النبي: «دعوه فإنه أعمى القلب، أعمى البصر». وفي رواية للأحمص: أن معاوية قال لعرابة: بأي شيء سدت قومك؟ فقال: أعفو عن جاهلهم وأعطي سائلهم وأسعى في حاجاتهم؛ فمن فعل كما أفعل فهو مثلي، ومن قصر عنه فأنا خير منه ومن زاد فهو خير مني. قال: وقد انقرض عقب عرابة فلم يبق منهم أحد.

وفي «الكامل» للمبرد، أن سبب ارتفاع عرابة: أنه قدم من سفر، فجمعه الطريق والشماخ بن ضرار المري فتحادثا فقال له عرابة: ما الذي أقدمك المدينة؟ قال: لأمتار: «لأشتري منها طعاماً»؛ فملأ له عرابة رواحله براً وتمراً وأتحفه بغير ذلك. فقال الشماخ قصيدة مدحه فيها، منها قوله:

إذا ما الصبح شق الليل عنه
أشق كمفرق الرأس الدهين



رأيت عرابة الأوسى يسمو
إلى الخيرات منقطع القرين
أفاد محامداً وأفاد مجداً
فليس كجامد لجز ضنين
إذا ما راية رفعت لمجد
تلقاها عرابة باليمين
ومثل سراة قومك لم يجاروا
إلى ربع الرهان ولا الثمين
رماح رُدَيّنَةٍ وبحار لج
غواربها تقاذف بالسفين
ندى لعطائك الجزل المرجى
رجاء المخلفات من الظنون
غداة وجدت بحرك غير نَزّرٍ
مشارعه ولا كدر العيون

○○○○○

سبحان من عنت الوجوه لوجهه

إن خلوة الشاعر بنفسه وانقطاعه عن العالم المادي، يمثل جرعة إلهامية تجعله يقلب طرفه في الآفاق ليرى عظمة صنع الله، وما فيها من دقة وإحكام في كل شي حوله؛ جبلاً كان أو بحراً؛ مخلوقاً متحركاً أو جماداً صامتاً؛ شجراً أخضر. أو ماء جارياً؛ إنساناً ناطقاً أو حيواناً أعجمياً: فيكون لتجلياته انطلاقات ولخواطره تجليات يطرزها ببديع العبارات الشعرية تطريزاً يقف منه القارئ وقفةً روحية؛ بل يحلق في أجوائها بأجنحة إيمانية بعيدة عن كثير من أغراض الشعر المتمثلة في الغزل أو المديح أو الهجاء أو غير ذلك.. فيقرأ ابتهالات وتسابيح تدل على صلة الشاعر بربه.

والنظم الابتهالي والشعر التسبيحي لا يأتي إلا من لسان شاعر للتوحيد في قلبه مكان.. ولهذا فإن الابتهالات والتسابيح الشعرية تعد نبعاً صافياً يجري في روضة إسلامية يانعة.

والمسلم يجد في قراءة الشعر الابتهالي والتسبيحي متعة روحية؛ بل طمأنينة فكرية وأنساً نفسياً.

لنعش مع ثمانية أبيات أقتطفها من قصيدة طويلة في الابتهال إلى الله لأحمد البرعي، والتي منها قوله:

قف بالخضوع وناد ربك يا هو
إن الكريم يجيب من ناداه

واطلب بطاعته رضاه فلم يزل
بالجود يرضي طالبين رضاه



واسأله مسألة وفضلاً إنه
مبسوطتان لسائليه يداه

ومنها قوله:

ملك تدين له الملوك ويلتجي
يوم القيامة فقرهم بغناه

هو أول هو آخر هو ظاهر
هو باطن ليس العيون تراه

حجبته أسرار الجلال فدونه
تقف الظنون وتخرس الأفواه

ومنها قوله:

وإليه أذعنت العقول فآمنت
بالغيب تؤثر حبها إياه

سبحان من عنت الوجوه لوجهه
وله سجودٌ أوجهٌ وجباه

○ ○ ○ ○ ○

ضياع الشِعر والشُعور

ويحلو لبعض الشعراء التعامل بأسلوب الجد والهزل في آنٍ واحد في كثير من الموضوعات التي لها مساس بالحياة الاجتماعية اليومية، وهذا يعد إدراكاً منهم بأن مزج أسلوب الجد بشيء من النكتة، يجعل الموضوع الذي يتناولونه مؤثراً في نفس القارئ بصورة تعطي الموضوع الذي يعرضونه صفة الأهمية.

وقد يؤاخذون على كثرة استعمال الألفاظ العامية.. لكن الذي يشفع لهم في ذلك ويخفف عليهم وطأة النقد في هذا المجال هو تعليلهم بأن قصدهم من ذلك هو مخاطبة العامة، والنزول إلى مستويات فهمهم العلمي عن طريق حشد العبارات العامية التي ترغب العامة في محاولة فهم ما يعرض عليهم من مشكلات يعايشونها بأنفسهم.. هذا فضلاً عن أن النكتة مطلوب توفرها بالقدر المعقول الذي لا تطغى معه على جوهر الموضوع الذي تتخلله، وتكون فيه بمثابة الملح للطعام، علماً بأنه ليس في مقدور كل شاعر أن يمزج الجد بشيء من الهزل فيما يعرضه من مشكلات اجتماعية في قصائده.. وإنما هذا الأسلوب يعد ميزة يمتاز بها بعض الشعراء عن غيرهم.. ولا أريد أن أستعرض أسماء الشعراء الذي لهم في هذا المنهج قدم ثابت. بقدر ما أنا مشير إلى واحد منهم هو الشاعر التونسي حسين الجزيري الذي تمكن من التفنن في صنعة ذلك الأسلوب، وها هو ذا يصنع قصيدة عنوانها «شعر اليوم»، وفيها أظهر الجزيري براعته في إدخال الكلمة العامية الضاحكة ذات الهدف الذي حاول به السمو بالشعر. اسمعه وهو يقول من تلك القصيدة:



ما بين موقف بقالٍ وجزار
ضاع الشعور فلم أظفر بأشعاري

واختل ما كان من ميزان (فاعلتن)
ما بين ميزان فحام وخضار

إن القوافي عصت أمري وما بقيت
طوعي سوى (قفة) يسعى بها الشاري

ومنها قوله:

ماذا تريدون من شعري الذي نفدت
عروضه عند صناع ونجار

ماذا تريدون من أبيات من نفدت
من بيته كل أفواح وأبزار

أأقرض الشعر ليلاً؟ أم أميل إلى
من يقرض المال ديناراً بدينار

ومنها قوله:

سقيا لأيام شعر كان ينهضنا
لقرضه خلو أفهام وأفكار

فاليوم أصبح كل الرأي منقسماً
ما بين موقف بقال وجزار

○○○○○

حسان بن ثابت يخشى أن يسرق بيته

ونحن نقرأ عن السطو على ممتلكات الأفراد والأمم التي سبقتنا، ونسمع بين الحين والآخر في عصرنا هذا عن التعديات على حقوق الغير، لكننا لو تجاوزنا واقع حدوث السطو على الأشياء العينية ذات القيمة المادية، ورحنا نبحث في معنى شمولية السطو لوجدنا أن هناك سطواً على التراث الأدبي وأن هناك تعدياً على الممتلك الأدبي للفرد المعاصر.

ولعل الشعر هو المادة الدسمة التي يجرأ عليها المتشاعرون.. فكم نسمع من حدوث سرقات أدبية معظمها من الشعر!!.. فما أجرأ بعض الشعراء حينما ينسب لنفسه شعراً ليس له.

أما الرواة فإنهم كثيراً ما يملكون شعراً لغير شاعره، وقولاً لغير قائله وذلك بنسبتهم كثيراً من الأعمال إلى غير أصحابها الحقيقيين، ولهذا برزت عبارة تقول: (وما آفة الأخبار إلا رواتها).

ولنا أن نتساءل عن السطو الأدبي هل كان قديماً أم حديثاً؟. والإجابة على ذلك تشير إلى: أنه كان قدياً وجاهلياً، بدليل قصة بيت الشاعر حسان بن ثابت الذي يقول فيه:

رب حلم أضاعه عدم المال

وجهل غطى عليه النعيم

يقول محقق «ديوان حسان بن ثابت» في تعليقه على هذا البيت:

ويحكى أن حسان صاح قبل النبوة فقال: يا بني قيلة، فجاءه



الأنصار يهرعون إليه وقالوا: ما دهاك؟ قال: قلت الساعة بيتاً، خشيت أن أموت فيدعيه غيري.. قالوا: هاته؛ فأنشدهم البيت.

وهو؛ وأعني بذلك البيت المتقدم ضمن أبيات قصيدة تبلغ اثنين وعشرين بيتاً موجودة في «ديوان حسان رضي الله عنه»، منها قوله:

منع النوم بالعشاء الهموم
وخيال إذا تغور النجوم

من حبيب أصاب قلبك منه
سقم فهو داخل مكتوم

يا لقومي هل يقتل المرء مثلي
واهن البطن والعظام سؤم

همها العطر والفراش ويعلو
هالجين ولؤلؤ منظوم

لو يدب حولي من ولد الذر
عليها لأندبتها الكلوم

لم تفقها شمس النهار بشيء
غير أن الشباب ليس يدوم

أما البيت الذي يلي البيت المتقدم الذي خشي حسان من السطو عليه من قبل الشعراء؛ فهو قوله:

ما أبالي أنب بالحزن تيس
أم لحاني بظهر غيب لئيم

○○○○○

مساهمة الشعراء في نقل أحداث الساعة

ولست الوحيد الذي يقول: إن الشعراء يساهمون في نقل أحداث الساعة، وإنما هناك الكثير من الناس الذي يهتمون بتتبع ما يحدث في العالم من متغيرات سياسية تفرضها القوة ذات المصلحة.. والشعراء هم في مقدمة المهتمين بالأحداث بل إن منهم من يتابع الأحداث في كل مكان، ويرصد في أشعاره ما يخالج نفسه عن مسببات تلك الأحداث، سواء كانت سياسية يمتطي فرسانها صهوات الحرب الباردة، والمقاولات الكلامية التي لا تصل إلى درجة الغليان الذي يحرك زناد الحرب الفعلية وينطق أفواه المدافع.. أو كانت حرباً شعواء وقودها الناس الأبرياء الذين لا ناقة لهم فيها ولا جمل، ومن تلك الأحداث التي هذه صفتها نال وطننا العربي والإسلامي نصيباً كبيراً من كلتا الحالتين؛ بل إنه كان حظه من الأخير أوفر.

ولو رجعنا إلى البحث عن الأسباب والمسببات التي تكون وراء اندلاع أي حدث سياسي أو استنطقنا الحربين الباردة والساخنة، لوجدنا أن العنصر الوحيد الذي يشعل الفتيل بين القوى الوطنية ويجعلها في تناحر وتدابر واقتتال، هي القوى العظمى التي تعرف في عصرنا هذا بالقوى الصناعية.. لأنها بإثارتها للفتن داخل أي وطن عربي أو إسلامي يستهدف أمرين في آنٍ واحد.. الأول منهما إضعاف القوى وتشتيت الرأي حتى لا يكون هناك صوت يدعو إلى البناء الفكري والمهني والاقتصادي، وإنما يكون: عوز وجهل وعجز وفقر مدقع يفرض عل صاحبه الاقتراض والاستدانة من تلك القوى العظمى التي تحكم بقروضها وديونها قبضتها وتضع بكل بساطة الأغلال في الأعناق.

والثاني أن تجعل الوطن العربي الإسلامي سوقاً عامرة لبيع أسلحتها، التي لا يجدون أمكنة لتخزينها بالإضافة إلى اختبار تلك الأسلحة ومعرفة مدى فعاليتها.

وما يحدث في لبنان هو صورة من صور أفاعيل القوى العظمى في مجتمعنا العربي.. فلقد أصبح لبنان شيعاً وفئات يقتل بعضها بعضاً.. ومع أن الكتاب والشعراء قد رسموا الصورة التي آل إليها لبنان العربي إلا أن الضمير لم يستيقظ ولم تحركه مئات القصائد.. لكن التاريخ سيحمد أولئك الشعراء ويشيد ببوحهم بما يخالج ضمائرهم.. وأحدث قصيدة قرأتها عند كتابتي لهذا الموضوع هي القصيدة التي نشرتها جريدة «عكاظ» في عددها ٨٧٧٩، وتاريخ ١٤١١/١/١٠ هجرية، للشاعر حسن صيرفي وكانت ذلك تحت عنوان: «بيروت»، ومن هذه القصيدة قوله:

بيروت كيف تعثر العملاق
ودماء أهلي فيك كيف تراق

نظروا إليك وأنت ترقي للعلا
فتطايرت في أفقك الأوهاق

جذبتك من فوق الحصان حبالهم
ورمتك في أسر العناد يساق

طرقوا على أبواب كل ضغينة
فتفتحت وتعذر الإغلاق

ومنها قوله:

بالعلم والأموال كنت طليعة
فيها فخيف شعاعك البراق

خدعوك وأسفا عليك إلى متى
ومتى تغرك هذه الأبواق

فمتى تعود إلى صوابك يا ترى
ومتى يعود لأهله العملاق

لبنان يا ثغر العروبة إننا
كنا وما زلنا لك العشاق

OOOOO

أصحاب المقامات

والرواج الذي حققته المقامات منذ إنشائها جعل أصحاب المقدرة الكلامية، والفصاحة اللسانية يقبلون على المزيد من تأليفها.

ولقد ذكر عيسى سابا في تقديمه لمقامات الحريري تقريراً شبه إحصائي عن المقامات التي ألفت، فقال: ومن الذين تناولوا هذا الفن عدا ابن فارس، وبديع الزمان، والحريري، ابن الأشتركوني المتوفى سنة ٣٥٨ هجرية ـ ٩٦٧م، وسماها المقامات (السرقطية)، وهي خمسون مقامة أنشأها بقرطبة من بلاد الأندلس، ولزم في نثرها لزوم ما لا يلزم، وحدث فيها المنذر بن حمام عن السائب بن تمام، ومقامات الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ ـ ١١٤٣م، ثم مقامات أحمد بن الأعظم الرازي، وهي اثنتا عشرة مقامة كتبها سنة ٦٣٠ هجرية ـ ١٢٣٢م، وجعل راويها القعقاع بن زنباع، والمقامات الزينبية لزين الدين بن صقيل الجزري المتوفى سنة ٧٠١ هجرية ـ ١٣٠١م، وهي خمسون مقامة عارض بها مقامات الحريري ونسبها إلى أبي نصر المصري، وعزا روايتها إلى القاسم بن جريسان الدمشقي ثم مقامات السيوطي وهي تكاد تكون رسائل.. وغيرهم.. قال: وكلهم أخفقوا في تقليد الحريري ولم يستقم ذلك إلا للشيخ ناصيف اليازجي في مقاماته (مجمع البحرين)، ولأن كان بديع الزمان مبدع المقامات، فالحريري مجودها ومروض جماحها والقابض على ناصيتها، والمخترع لشتى ضروب الكدية والاحتيال فيها.

وفي المقامة البصرية من مقامات الحريري، وهي المقامة الأخيرة من مقاماته الخمسين. قال الحريري على لسان أبي زيد الشخصية



الوهمية التي ينتهي إليها ما يحكيه الحارث بن همام، وهو الشخصية الوهمية الثانية التي روى عنها مقاماته.. فمما حكاه الحارث بن همام عن أبي زيد في المقامة الأخيرة قوله: فادعوا إلى الله بتوفيقي للمتاب، والإعداد للمآب، فإنه رفيع الدرجات مجيب الدعوات، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات؛ ثم أنشد:

أستغفر اللّه من ذنوب
أفرطت فيهن واعتديت

كم خضتُ بحر الضلال جهلاً
ورحت في الغي واغتديت

وكم أطعت الهوى اغتراراً
واختلت واغتلت وافتريت

وكم خلعت العذار ركضاً
إلى المعاصي وما ونيت

وكم تناهيت في التخطي
إلى الخطايا وما انتهيت

فليتني كنت قبل هذا
نسياً ولم أجن ما جنيت

فالموت للمجرمين خير
من المساعي التي سعيت

يا رب عفواً فأنت أهل
للعفو عني وإن عصيت

○○○○○

من هو الطفيلي؟!

والتطفل فيما يبدو لي أن مفهومه في البداية كان مأخوذاً من تصرفات الطفل الذي لا يدرك مفهوم أدب المجالسة والمحادثة لعدم النضوج الفكري لديه، ثم اتسع ذلك المفهوم فاحتمل تعبيرات أخرى شملت ما يعرف بالتطفل الذي يندرج تحته تدخل المرء فيما لا يعنيه، ولهذا فنحن نسمع بعض الناس ينعت بعضهم بالتطفل.

والتطفل ينسب إلى طفيل بن دلال الهلالي.. قال الحسن بن مسعود اليوسي المولود في مدينة فاس حوالي عام ١٠٤٠هـ، والمتوفى في ١٥ ذي الحجة سنة ١١٠٢م: واعلم أن الطفيلي، وهو من يغشى الناس ابتغاء الأكل من غير استدعاء ولا سؤال، منسوب إلى طفيل بن دلال الهلالي، وكان بالكوفة؛ فكان إذا سمع بطعام أتاه من غير أن يدعى إليه.. فما فاته عرس قط، فقيل له: طفيل الأعراس. فكان كل من فعل فعله ينسب إليه فيقال طفيلي. ويقال: إنه لما حضرته الوفاة دعا ابنه عبد الحميد ليعهد إليه بهذه الحرفة فقال له: يا بني إذا دخلت عرساً فلا تلتفت التفات المريب.. وتخير المجلس.. فإن كان العرس كثير الزحام فأمر وانه وامض لشأنك، ولا تنظر في وجوه الناس ليظن أهل الرجل أنك من أهل المرأة، ويظن أهل المرأة أنك من أهل الرجل.. فإن كان البواب فظاً وقحافاً ابدأ به وأمره وانهه من غير عنف؛ ثم أنشأ يقول قصيدة، منها قوله:

لا تـجـزعـن مـن الـقـريـب

ولا مـن الـرجـل الـبـعـيـد

وادخـــل كـــأنـــك طـــابـــخ
بـيـديـك مـغـرفـة الـثـريـد

مـتـدلـيـاً فـوق الـطـعـام
تـدل الـبـازي الـصـيـود

لـتـلـف مـا فـوق الـمـوائـد
كـلـهـا لـف الـفـهـود

وقوله:

والـعـرس لا يـخـلـو مـن
الـوزيـنـج لـلـرطـب الـعـتـيـد

فـإذا أتـيـت بـه حـويـت
مـحـاسـن الـجـام الـجـديـد

قيل: ثم أغمي عليه عند ذكر اللوزينج، فلما أفاق بعد ساعة قال:

وتـنـقّـلـن عـلـى الـمـوائـد
مـثـل شـيـطـان مـريـد

ثم يختمها بقوله لابنه عبد الحميد أنه إذا ما قبل هذا النصح، أو تلك الوصية بالأصح، فإنه سينعم: واعلم بأنك إن قبلت نعمت يا عبد الحميد.

○ ○ ○ ○ ○

هند بنت مانع!!

وعن أولاد الشعراء وما لهم من حظ في تخليد أسمائهم.. سبقت مني الإشارة في عدة موضوعات تقدمت في الأجزاء السابقة لهذا الجزء من هذا الكتاب «الأدب المثمن»، ففي الجزء الثالث وتحت عنوان: «براءة الطفل سر مفتاح محبته»، كتبت موضوعاً استوحيته من قصيدة للشاعر عبد الله باشراحيل.. وفي الجزء الرابع كتب تحت عنوان: «التاريخ يخلد أسماء أبناء الشعراء»، موضوعاً استلهمت فكرته من قصيدة لمعالي الدكتور غازي عبد الرحمٰن القصيبي.. وفي نفس الجزء الرابع كتبت موضوعاً تحت عنوان: «قلب أب»، وهو حصيلة قراءتي قصيدة للشاعر عبد الرحمٰن صالح العشماوي.. وتدفعني إلى معاودة الكتابة عن أبناء الشعراء قصيدة للشاعر معالي الدكتور مانع سعيد العتيبة.. حيث صور فيها حياة ابنته (هند)، وأيام طفولتها وما تلاقيه من حنان أبوي.. ويلاقيه هو من سرور وبهجة حينما تداعبه ببراءتها.. لاعبة من حوله حيناً وملقية بنفسها فوق صدره حيناً آخر؛ بل مستنطقة بتلك الحركات الحنان الأبوي الذي ما فوقه حنان آخر. وذلك في مشهد يصور متعة النفس، ويرصد متابعة العين التي تلاحق حركات الطفل كما تلاحق وردة متفتحة على رأس غصن تميل به الرياح الهادئة، والنسمات المحملة برطوبة الطل يمنة ويسرة.

ومعالي الدكتور مانع سعيد العتيبة خص ابنته (هند) بقصيدة طويلة بلغت نحواً من ستة وثلاثين بيتاً، منها قوله:

يا هند أشعر بالحنين
لك يا ابنتي في كل حين



فإذا ارتحلت فأنت في

فكري وقلبي ترحلين

وإذا أقمت فأنت عن

عيني لا تتغيبين

وأكاد أركض عندما

ألقاك نحوي تسرعين

وترددين: أبي، أبي

وتهللين وتضحكين

تلقين رأسك فوق صد

ري ثم لا تتحركين

ومنها قوله:

يا هند إنك بسمتي

في وجه أحزان السنين

وسعادتي في عالم

يشقي نفوس الملهمين

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أنني قد كتبت في الجزء الرابع من كتابي الذي سبقت الإشارة إليه موضوعاً تحت عنوان: «البنون زينة الحياة الدنيا»، وقد استوحيته من قصيدة للشاعر علي الشرقي.

○ ○ ○ ○ ○

أعياد الميلاد

والنصارى هم الذين يقدسون ميلاد المسيح ابن مريم عليه السلام، وهم الذين جعلوا منه مناسبة تقام فيها الاحتفالات والمظاهر والمهرجانات التي تعدها الكنائس في كل مكان يكون لها فيه تواجد ونشاط ديني.

واحتفالات أعياد الميلاد ليست بدعة حديثة يطرون فيها المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام إطراءاً يبلغون فيه تقديسه وتأليهه، وإنما هي بدعة قديمة توارثتها أجيالهم إلى يومنا هذا.

ولقد حرص الباحثون على تحديد بداية ممارسة هذه البدعة؛ فذكر صاحب كتاب «كناشة النوادر» الأستاذ عبد السلام محمد هارون ما نصه: وجدت الاحتفال بأعياد الميلاد قديماً قبل سنة ٢٠٩، وعلى صورة رائعة غير ما نشهده اليوم.

وذكر أن المبرد قال: كان سعيد بن سلم إذا استقبل السنة التي يستقبل فيها عدد سنيه، أعتق نسمة، وتصدق بعشرة آلاف درهم؛ فقيل لمديني: إن سعيد بن سلم يشتري نفسه من ربه بعشرة آلاف درهم. فقال المديني: إذن لا يبيعه. وكانت وفاة سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي سنة ٢٠٩، كما في النجوم الزاهرة. وقد نظن أن الاحتفال بعيد ميلاد المسيح بدعة حديثة، وفي الحق أنه بدعة قديمة جداً.. ففي كتاب «التحف والهدايا للخالديين»: كتب الحسين بن الضحاك إلى أحمد بن يوسف الكاتب ليلة عيد الميلاد يستهدي شمعاً:

وليلة ميلاد عيسى المسيح

قد طالبتني بميثاقها



فهذي قدوري على نارها
وفاكهتي ملء أطباقها

وبنت الدنان فقد أبرزت
من الخدر تجلى لعشاقها

فكن مهدياً لي فدتك النفوس
فجودك ممسك إرماقها

نظائر صفراً غدت فتنة
بلطف أنامل حذاقها

ومثل الأفاعي إذا ألهبت
وللروم زرقة أحداقها

ولم أر من قبلها أنفساً
تذيب الجسوم بإحراقها

وإن مرضت لم يكن برؤها
بشيء سوى ضرب أعناقها

وكانت وفاة أحمد بن يوسف الكاتب وزير المأمون سنة ٢١٣هـ.

○○○○○

حديث الإفك

وحديث الإفك الذي نص عليه القرآن الكريم كان يدور حول إلصاق التهمة الشنيعة بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكاد ذلك الحديث المأفوك أن يؤثر على زوجها رسول الله ﷺ، فقد جفاها فترة إلى أن نزلت براءتها من السماء، وأخزى الله الذين أرادوا أن تشيع الفاحشة في واحدة من نساء النبي.. وملخص حديث الإفك: هو أن عائشة كانت مع رسول الله ﷺ في إحدى غزواته. فأذن للجيش بالرحيل..

وكانت عائشة قد ذهبت إلى قضاء الحاجة بعيداً عن المكان الذي به الجيش ولما عادت إلى الرحل لمست صدرها فوجدت أن عقدها قد انقطع فقفلت راجعة إلى مكان تخلّيها تلتمسه وفي ذلك الأثناء سار الرحل فلما عادت لم تجد في المكان أحداً، وأقامت ليلتها.. فلما علم صفوان بن المعطل السلمي بذلك رجع يلتمسها فوجدها نائمة، فأخذ يسترجع وأناخ مطيته وأركبها، فأخذ بعضهم يتحدث بما لا يليق ومكانة مسلمة وزوج الرسول ﷺ. وكان من الذين أشاعوا حديث الإفك، حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش.. وروي أن عبد الله بن أبي سلول الخبيث هو الذي ابتدأ حديث الإفك بقوله أخزاه الله: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها.

وما كان لعائشة رضي الله عنها علم بما يقال عنها إلا أنها فقدت شيئاً من لطف رسول الله ﷺ حينما اشتكت من مرض ألمّ بها بعد عودتها.. لكنها علمت بعد ذلك من أم مسطح الذي هو أحد الذين

أشاعوا حديث الإفك.. قالت عائشة رضي الله عنها: فلما علمت ازددت مرضاً على مرضي وطلبت إلى رسول الله ﷺ الذهاب إلى بيت أبوي فأذن لي ﷺ.. وهناك أخذت أبكي.. ثم وصفت بقاءها في بيت أبويها في كلام طويل ذكره الطبري وغيره من المفسرين.. ثم جاءها رسول الله ﷺ وهي في بيت أبويها يستجوبها فاحتارت في الأمر؛ لأن نفيها غير مصدق، والإقرار بما لم ترتكبه فيه ما فيه من سوء يلحق بها؛ لكن الله سبحانه وتعالى لطف بها وأنزل على رسوله آيات فيها براءتها، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١].

ويذكر الرواة أن عائشة قالت شعراً في ذلك. وقد ذكر صاحب كتاب «صفاء العاشقين في مدح سيد المرسلين»: أن الشيخ عبد الرحيم السيوطي قد شطر أبيات قصيدتها على النحو التالي، وذكر القصيدة التي منها هذه الأبيات:

وتكلم الله العظيم بحجتي
لنزاهتي عن سائر العصيان

فنزاهتي بشهادة المختار
وبراءتي في محكم القرآن

والله شرفني وعظم حرمتي
في محكم التنزيل والفرقان

والله نزهني وأظهر عصمتي
وعلى لسان نبيه براني

والله في القرآن قد لعن الذي
ذكر القبيح بإفكه ورماني

واللّه طهرني وأهلك كل من
بعد البراءة بالقبيح رماني

واللّه وبخ كل من أراد تنقصي
وأهانه بالذل والخذلان

واللّه دمر من تكلم بالخنى
إفكاً وقبح نفسه في شان

○○○○○

الحج معجزة التجمعات في العالم أجمع

تهب الأقلام في كل مناسبة، منطلقة في الحديث عما تحمله تلك المناسبة من خصائص، وتبرز في ذلك الأقلام ذات القدرة على العرض والمقدرة على الغوص في عمق المناسبة.. والحج الذي يتكرر في كل سنة هو واحد من المناسبات التي يوليها الكتاب والعلماء اهتماماً بالغاً.

وتكاد تنصب بعض أقوالهم على معجزة الجمع الذي يقوم في يوم واحد وهو اليوم التاسع من شهر ذي الحجة وعلى صعيد واحد، وهو صعيد عرفات بمكة المكرمة حيث تنعدم في ذلك اليوم وفي ذلك المكان جميع الفوارق والمظاهر التي كانت تميز بعض الناس عن بعضهم. ومن نماذج ما كتب عن مناسبة حج عام ١٤١٠هـ، ما نشرته جريدة «المدينة المنورة» في عددها ٨٤٥٤، الأحد ١٦ ذي الحجة، بقلم الشيخ أبي تراب الظاهري.. منه قوله: فكان الحج جامعة شعوب إسلامية تمثل فيها الطبقات المختلفة تمثيلاً صادقاً صحيحاً، لا تبالي بفوارق عاداتها، ولا باختلاف طبيعاتها، ولا بتعدد لغاتها، ولا بتباين قومياتها، فهم كلهم متحدون يرجعون إلى مبادئ متحدة.. ويتفقون على تأدية مناسك متحدة ويتحدون فيما بينهم كل اتحاد.. ومنه قوله:

والحج منظمة واسعة أوجدها الإسلام، تضم رجالاً يغدون من كل فج عميق، تلوح في اجتماعاتهم الجمعية العمومية على نظام رائع يتسامى في عرفات، وينبعث من سنة سار بها الخليل عليه السلام، فتقادم عهد الحفاظ عليها.. وهو مجتمع كبير لبني الدنيا من أهل الدين الأغر يتلاقون فيه.. فتتلاقى أفكارهم ويجتمعون فيه لتتهادى عواطفهم،



ويأتلفون فيتعرفون على الاتجاهات، ويعالجون المشاكل ويصبون إلى توحيد الكلمة، وجمع الشمل، وترتيب الصفوف، وتسوية الأجناس وتنافي المشاحنات وتثبيت المشاكلة.. وتبدو فكرة تحقيق الوحدة واضحة في تشريع هذه الشعيرة الخالدة إذا اكتنهنا حكمتها، فيجب على الحاج أن يضع هذا المعنى نصب عينيه ليحقق بعمله هدف الحج السامي.

ويشارك الشعراء في نقل هذه الصورة بنفس الإحساس الذي يمازج قلم الكاتب.. ومن نماذج شعر هذه المناسبة.. هذه الأبيات من قصيدة نشرتها مجلة «الفيصل» في عددها ١٦٢، ذي الحجة سنة ١٤١٠هـ، للشاعر محسن عبد المعطي عبد ربه، ومنها قوله:

ويبدو تآخينا بموسم حجنا
ونسعى جميعاً دون أي تجمل

تساوى جميع الناس في خير موقف
فأيسرهم مثل الفقير المهلهل

وكبر كل المسلمين بفرحة
ونادوا بصوت خاشع ومجلجل

فنحن عباد يحتوينا تألف
فيا رب أكرمهم ويا رب نول

تعاهدت الأجناس من سائر الدنا
ووحدتنا في الدين خير موصل

حب وإيثار ونبل ووحدة
وذاك جدير بالنجاح المؤجل

فلبيك رب العرش في كل لحظة
ولبيك يا رحمن عند التبتل

مساءلة الأرض

والقرآن الكريم يقدم لنا الدليل في أوضح صورة على أن الله قد خلق الإنسان من الأرض.. قال تعالى في سورة طه آية ٥٥: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾.

وقال تعالى في سورة السجدة آية ٧: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾، وقال تعالى في سورة المؤمنون آية ١٢: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

ومن مفهوم هذا النص القرآني الكريم نعلم وبصورة استيقانية أننا من طينة هذه الأرض خلقنا، وليس من غيرها؛ لأن الإعادة المتمثلة في القبر تنتهي باختلاط الرفات بالتراب اختلاطاً يصبح به شيئاً من جزئياته وهذا واقع يستدل عليه من المشاهدة، كما أنه حقيقة قاطعة على أن الأرض التي خلقنا منها هي الأرض التي نحن عليها الآن، ومنطوق العوامل التحليلية يؤكد أن جزئيات التراب التي اختلط بها رفات موتانا تتحول إلى مواد غذائية في صورة سنابل وثمار وفواكه وما إلى ذلك مما تنبته الأرض ويتغذى بترابها ومائها، وهذه المواد الغذائية منها ما يحوله الجسم إلى حيوانات منوية، وجينات تتحول عن طريق التلاقح أو التزاوج إلى أجنة في بطون الأمهات، ثم تخرج أطفالاً تمضي مع الحياة إلى أن تعود إلى الأرض جثثاً هامدة فتختلط بالتراب المختلط بجزئيات رفات آبائها وأجدادها، ومن سبقوهم منذ أن أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض التي أودع الله فيها أقواتنا وأرزاقنا وجعلنا خلائف فيها وخصنا بالسيادة عليها.. وبحكم هذا الواقع فإن الأرض تعد بمثابة أم لنا،

ولا بد أن يكون لنا تخيلات وتجليات فكرية تتعمق في البحث في عظمتها.

والشعراء يقفون في كثير من الأحيان وقفات كلها تأمل واستطلاع، وقد لا تخلو وقفات بعضهم من مناجاة ومساءلة، والشاعر السعودي المعاصر سعد العوفي واحد ممن وقفوا وفي أنفسهم شجون يبحثون عن أذن تصغي لبوحهم بها، فما وجد غير الأرض التي قال لها:

قــلــت لــلأرض كــلامــاً
عــن شــجــونــي ذات مــرة

فلم تغفل الأرض عن كلامه وإنما أحالته بصمت مطبق إلى أشياء يجد فيها الإجابة عن تساؤله بمجرد النظر إليها، وذلك بقوله:

فــأجــابــتــنــي بــصــمــت
مــطــبــق ألــهــمــت ســره

مــن نــســيــم فــي الــروابــي
تــســتــطــيــب الــنــفــس عــطــره

مــن حــفــيــف الــغــصــن يــمــلــي
رقــصــات مــســتــمــرة

مــن أغــانــي الــطــيــر ولــهــي
فــي حــيــاة مــســتــقــرة

ومــن الــبــرق ضــحــوكــاً
فــي ســمــاء مــكــفــهــرة

وبعد سرد هذه الأشياء التي وجد فيها بعض الإجابة عن سؤال عما يطرد الشجن ويبعد منه الضجر، قال: إن الأرض كسرت الصمت ووشوشت بعبارة تحمله على الاقتناع:

وشــوشــت ســمــعـي وقــالــت
وبــبــعــض الــقــول عــبــرة

كــيــف لا يــشــعــر حــي
فــوق صــدري بــالــمــســرة

والأبيات أكثر من ذلك وقد نشرتها مجلة «الشرق» في عددها ٥٥٧، وتاريخ ١٠ ربيع الأول، سنة ١٤١١ للهجرة.

○○○○○

الدعابة جملة قد تكون ذات معنيين!!

والمداعبة لا يكتب لها البقاء ولا يكون لها نصيب من الاستحسان إلا أن يكون لها نصيب من الصحة؛ لأنها إذا لم تصب مقتلاً من المداعب «بفتح العين» قل شأنها وتضاءلت قيمتها الأدبية تضاؤلاً يطويها من ذاكرة الرواة، وتزداد المداعبة أهمية إذا دخل بها فرسانها ميدان المبارزة، وصار لتبادلها بين أصحابها صولات وجولات فهناك تصغي لها آذان الرواة، وتستقبلها بكل لهفة وشوق بطون الصفحات.

وتجاذب المداعبة لا يتهيأ لكل الناس؛ لأنه ليس بالأمر اليسير؛ لأنه يقوم على عدة أشياء أهمها: سرعة البديهة، واستحضار الذهن، ثم معرفة حال المداعب (بكسر العين) حتى يكون الكيل موافقاً للوزن من حيث القيمة الأدبية وتجانس الأسلوب الدعابي بين المتداعبين.

والذي يعشق مداعبة الناس يتحتم عليه معرفة المواضع التي يكون للدعابة فيها قابلية، وأن يتجنب المواضع التي تحدث الدعابة فيها حساسية تفضي إلى سوء التفاهم وقطع العلاقات.

والحقيقة أن الدعابة جملة قد تكون ذات معنيين، فإن أحسن فهمها وفسرت بما يتفق والروح المرحة، كانت أدباً رفيعاً، وإن أسيء فهمها وفسرت بتفسيرات جارحة أو عللت بتعليلات مسخطة كانت أداة قطع ووسيلة تناحر ومفتاح بغضاء.

وإذا ما نظرنا إلى أن المداعبات كثيراً ما تأخذ طابع المرح وتسير في خط تتوازن فيه رؤية المتداعبين ولا تتقاطع، فإن هذا يعني أن المداعبات التي ضمتها كتب الأدب التي بين أيدينا قد جرت بين فئات



ذات مستوى رفيع من الأدب والثقافة، وإلا تزان فسلمت من السقوط بأصحابها إلى درك الفجوات العدائية:

ومن الصور الدعابية الجميلة تلك القصيدة التي قالها الشاعر البهاء زهير في صديق له بغدادي أتى مصر فأقام بها إلى أنْ نفد ماله، منها قوله:

١ ـ دخلت مصر غنياً
وليس حالي بخافي

٢ ـ عشرون حمل حرير
ومثل ذاك نصافي

٣ ـ فرحت أبسط كفي
وبالجزيل أكافي

٤ ـ فبعت كل ثمين
معي من الأصناف

٥ ـ استهلك البيع حتى
طرا حتى ولحافي

٦ ـ صرفت ذاك جميعاً
بمصر قبل انصرافي

٧ ـ وصرت فيها فقيراً
من ثروتي وعفافي

٨ ـ وإذا خروجي منها
جوعان عريان حافي

○○○○○

الحداثة والحداثيون

لقد خاض المفكرون وأصحاب الأقلام في زماننا هذا في الحديث عن الحداثة ومفهومها وأكثروا في القول فيها وعنها...، وإذا كان لي حق المساهمة بالرأي في حركة الحداثة وأهدافها؛ فإن قولي في ذلك ينطلق من الملاحظة المتمثلة في أن الحداثيين قد أخذوا يدخلون الحداثة في كل مفهوم؛ ليحاولوا بذلك نقض كل مبدأ لا يرونه يتفق وما يهدفون إليه.. ففي التاريخ مثلاً يدسون أنوفهم ليقلبوا الحقائق، أو يبرروا وقائع كان المؤرخون قد ألقوا باللوم على مرتكبيها..، وقد ينشأ صراع مرير حول الحروب والعداوات الدولية بين الحداثيين الذين يلجؤون في كثير من الأحيان إلى تبريرات لها مساس باللغة، والدين، والعقيدة فيصوّبون بها خطأ، ويخطؤون بها صواباً.. وبين الواقعيين الذين يربطون الأدب الحاضر بالماضي بما فيه من لغة، وفكر، وعقيدة..، ومثل هذه المعارك الكلامية الحداثية غير المتكافئة دارت رحاها في أمريكا، وفي أوروبا، وبالذات في فرنسا، وإنجلترا، وتلاحظ من خلال تلك المعارك أن الحداثيين يحاولون تشريح الحقائق التاريخية بقصد إدخال الشكوك في سلامة وواقعية المناسبة، وأمانة المؤرخين.

وإذا ما نظرنا إلى واقع الحداثيين من حيث مفهوم انتمائهم الحداثي الذي يحاول قطع صلة الماضي بالحاضر، فإن أصبع الإشارة تقول لهم: كلا وألف كلا؛ ثم يأتي التساؤل الذي تصعب عليهم الإجابة عليه، وهو: هل أنتم جئتم لتحرقوا الأسفار التي تحوي تاريخ أمتنا بما فيها من فكر، وأدب، وثقافة، وتقاليد مرتبطة بمناسبات تتمثل غالبيتها بالأفراح في الأعياد وغيرها؛ لتبدؤوا تاريخاً لا صلة له بالماضي

وتهجروا بل تطمسوا نسبة كبيرة من لغة تاريخ أدب أسلافنا وبالتالي تأخذون بالنظر في الأعراف، والتقاليد، والأديان؛ فتمقتونها، وتصرفون الناس عنها بأساليب رمزية تجدون من خلالها مخرجاً لو قوبلت بالرفض أو لزم الأمر معاقبتكم.. وإلا كيف تجعلون مبدأ الشعر إن جاز لنا أن نسمي شعركم شعراً، رمزاً تفسرونه لأنصاركم ومن تحاولون اجتراره لمذهبكم الحداثي بأسلوب، وتفسرونه لمن تخشون عقابه بأسلوب!! أم أنكم تعانون من فراغ روحي حملكم على التفكير في الخروج على القيم التراثية، بطرح تلك الآراء الفاسدة.

شعر: ومما يناسب هذا الموضوع من الأشعار، قصيدة قرأتها للشاعر عبد الله بن علي الخريف، ومنها قوله:

أولئك قوم قبح اللّه نثرهم
يسمونه شعراً وما هو بالشعر

ويا ليته نثر أبين لقارئ
ويا ليته نثر يضيء كما الفجر

أبانوا لنا قولاً كألغاز كاهن
كتخريف شيخ قد تجهز للقبر

أريد به إفساد أفكار أمة
يمزقها الأعداء ردحاً من الدهر

لقد أورثت نار الجدود رمادها
وقام من الأعراب مضطرب الفكر

وهبّ أناس لا يجيدون صنعة
سوى النيل من ماض تلألأ كالدر

فقالوا تراث ما لنا فيه حاجة
ونحن رجال نحدث الشعر للعصر

رسالة إلى وطن

والرسالة التي بين يدي هي عبارة عن أبيات شعرية، نظمها طالب مغترب في دبلن، إيرلندا وهو عبد الإله محمد جدع.

أما الوطن الذي بعث برسالته الشعرية إليه فهو المملكة العربية السعودية، والشاعر عبد الإله جدع ليس هو الأول الذي تهزه ذكريات بلده أثناء اغترابه عنه؛ فهناك الكثير الكثير من الرسائل الشعرية والنثرية التي بعث بها أصحابها إلى أوطانهم، وهي مضمنة مشاعرهم المفصحة عن مدى حبهم وتعلقهم بتراب أوطانهم..، ولكن امتياز رسالة الشاعر جدع عما سواها يكمن في تضمين المشاعر وصدق المناجاة وتجلي العاطفة الوطنية التي ولدت قوة تعبيرية في أبيات القصيدة..، فجاءت صورة ناطقة ومشرقة إشراقاً جعلني أنقل أبياتاً منها هنا؛ كشاهد على أن الوطن غرسة ثابتة في ضمير المواطن الصادق، وكصورة حية من صور الإبداع في التعبير عما يكنه المواطن لوطنه من حب وإخلاص ووفاء وصدق انتماء..، وكيف لا تكون رسالة (جدع) كذلك وهو يقول في بعض أبياتها:

قسماً بمن عنت الحياة لوجهه
وبمن إليه القصد في الغايات

أني سأذكر ما حييت منازلاً
فيها ابتدأت أوائل الخطوات

وعلى ثراها عاش مبعوث الهدى
للعالمين بمحكم الآيات



وعلاوة على ذكره شيء من شرف فضل بلاده على ما سواها من البلاد الأخرى؛ لكونها مهد الرسالة وفيها ولد خير البرية محمد ﷺ، ومنها شع نور الهدى فأضاء جوانب الدنيا؛ يذكر تعليلات أخرى تربطه بمحبته وولائه لبلاده فيقول:

بلدي أتوق إلى أذان منائر
للحق تدعونا وللصلوات

واليوم كم ضاق الفؤاد بغربةٍ
فيها شقيت وأذرفت عبراتي

وطني رحلت وأنت تسكن مهجتي
مهما أسافر أنت كل جهاتي

عجز اليراع وأنت وصفك يرتقي
عن كل معنى سالف أو آت

فاقبل تحية مخلص في حبه
بالشوق عبّر ليس بالكلمات

والقصيدة أطول من ذلك، وقد نشرتها له جريدة «عكاظ» في عددها ٨٩٠٠، يوم الجمعة، ١٣ جمادى الأولى، سنة ١٤١١هـ.

○○○○○

بوح بحب الوطن!!

والبوح بحب الوطن مبدأ يتخذ للمفاخرة به، وأمر يحتمه الانتماء على كل مواطن..، والبوح بحب الوطن يأتي على عدة وجوه، ولعل أهمها وأكثرها ذيوعاً: هو تمجيده ووصف طبيعته، وجغرافيته، فضلاً عن الإشادة بمواطنيه، وما لهم من عادات، وتقاليد، وفضائل.

والشاعر محمد حسن فقي واحد من الذين باحوا بحب وطنهم، وناجوه بإمعان، وتوغلوا في وصف حبهم له:

قـالـوا تـفـديـه بـروحـك
قـلـت أفـديـه بـروحـي

أما الوطن الذي يعنيه فقي ويفديه بروحه؛ فهو المملكة العربية السعودية، وبالإضافة إلى تفديته بروحه؛ فهو يفديه بنفيس ماله، وبكل ما سخت به عليه من آماله فساح:

قـالـوا وبـالـمـال الـنـفـيـس
أجـل ومـا أنـا بـالـشـحـيـح
وبـكـل مـا تـسـخـو الـحـيـاة
عـلـي مـن أمـل فـسـيـح

ويعلل هذه التفدية بأن وطنه أعزّ عليه من نفسه:

وطـنـي أعـزّ عـلـيّ مـن نـفـسـي
وأكـرم مـن مـديـحـي

ويرى أن إجابة نداء الوطن واجب على كل مواطن:

لو أنه نادى أجبت لو
استطعت، من الضريح

ويشبّه نفسه في طاعته لوطنه الذي مثله بإبراهيم النبي، وهو بإسماعيل الذبيح:

إنا نراك مثل إبرا
هيم يحكم في الذبيح
فيطيع إسماعيل مغتبطاً
بمنهجه الصحيح

ويرى حسن فقي، أن الوطن يكون داعية إلى الطموح، وإلى السمو بالنفس، والتميز بمكانته عن الغير:

وطني طمحت إلى السموّ
وأنت داعية الطموح

والقصيدة أطول من ذلك، وقد قرأتها في مجلة «الشرق» السعودية، العدد ٥٦٦، السبت ١٤ جمادى الأولى، سنة ١٤١١ للهجرة.

○○○○○

البقاء على حب الوطن فضيلة!!

ومهما يكن من أمر؛ فإن للوطن صوتاً تعشقه أذن المواطن الحقيقي، وله أنشودة عذبة يتغنى بها المواطن في سفره وحله.

ويقاس حب الوطن في ضمير المواطن بتعلقه به بصفة مستمرة..، وبحنينه إليه وتذكره إياه، ومتابعة أخباره في حالة اغترابه عنه.

ولحب الوطن مقياس في ضمير المواطن المقيم فيه، وذلك بالمداومة على ذكر كريم مآثره، ونشر فضائل كرمه، والوقوف في وجه من يحاول ثلبه والتنقيص من قدره وقيمته.

والبقاء على حب الوطن إذا ما تغيرت أحواله، وتحولت من سعة العيش إلى ضيقه يعد فضيلة للمواطن ومحمدة تحسب له.

والذي يعترض على ممتدح لوطنه؛ لا يسلم هو من الشك في حبه لوطنه؛ لأنه لا يقدّر حب الوطن في نفس المواطن، فلو أنه يشعر حقيقة بحب وطنه، لقاس ذلك الشعور لديه، وقارن به شعور الآخرين نحو أوطانهم.

ولحب الوطن جانب تاريخي وأدبي يعايشه المواطن، ويرضى به مهما يكن..؛ فهو لا يتذمر منه إن ضاق به عيش فيه، وإنما يمجده على الحالتين ضيق العيش، وسعته.

يقول الشاعر السعودي عبد العزيز العجلان في قصيدة له «أحب أرضي» وهو يعني بأرضه (المملكة العربية السعودية):

أنا هنا.. قبل بئر النفط كنت هنا

قبل. البدايات. قبل الريح والحقب



أطوي المدى وجراحاتي مضمدة
بالأقحوان ونبض الرمل في هدبي

ونجمة الصبح في قلبي معلقة
زهو الرحيل وميعاداً لمغترب

أنى استدرت تلقاني المدى ظللاً
وأومأت غيمة للظامئ: اقترب

ويعد هذا البوح لوطنه، وهو لا يجد فيه إلا شظف العيش، قبل اكتشاف البترول الذي غير كل شيء في حياة المواطن السعودي. يعلن العجلان استمرار حبه بنفس اللهجة والشعور:

أحب أرضي وأرض الطهر تعشقني
حباً بحب وما في الحب من عجب

إذا سجى الليل أيقظت الكرى شجناً
وهومت بالقوافي هزة الطرب

و(للمعاميل) حول النار موعدها
يا عابق الهيل حدّث واهج الحطب

وإن دنا طارق أو صاح ملتجئ
فقد تدثر عن خوف وعن سغب

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ثلاثة وعشرين بيتاً، وقد نشرتها جريدة «الرياض» في عددها ٨١٩٣، الصادر يوم الخميس ١٢ جمادى الأولى، سنة ١٤١١ للهجرة.

○ ○ ○ ○ ○

كلمات يُظن أنها عامية

والكلمات التي يظن أنها عامية، هي تلك الكلمات التي هجر استعمالها الكتّاب المتضلعون في اللغة؛ فصار الناس يظنونها عامية عندما يسمعون العامة يتخاطبون بها في لغتهم؛ فمثلاً قولهم: (فلان باخص)، وهم يقصدون بذلك أنه عارف بالشيء، وقد أتت كلمة (باخص) من مفهوم إمعان النظر؛ فالبخص ـ بتحريك الخاء ـ لحم تحت الجفن الأسفل يظهر عند تحديق النظر إذا أنكر شيئاً وتعجب منه. هكذا جاء في «لسان العرب».

وأهل الفلاحة وأصحاب النخيل يقولون: (الشاخص والباخص)؛ والشاخص الذي يعنونه هو الشوكة الكبيرة من النخلة وهي التي في طرف الجذمار مما يلي الخوص (والجذمار هو أصل العسيب) لغة صحيحة، وقد سميت تلك الشوكة بالشاخص؛ لأنها بارزة وهي أطول الشوك. والبروز: هو الشخوص، والذي يرقى النخلة ولا يشخص عينه وينتبه لشخوصها ـ تخزه ـ أما الباخص؛ فهو الشوكة الصغيرة التي تلي أصل الجذمار ومنها يمتد شمراخ الشوك حتى ينتهي بالشاخص، والذي يرقى النخلة ولا ينتبه لهذه الشوكة (الباخص) تخز بخصة رجله، والبخصة لغة صحيحة. وقد أورد صاحب اللسان في مادة (بخص)، بيتاً لأبي شراعة يدلل به على أن أحد معاني لحم القدم مما يلي الأرض (بخص):

يا قدمي ما لي أرى لي مخلصاً
مما أراه أو تعودا بخصا

وقرأت في «ديوان ابن الخياط» واسمه أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلبي، وكنيته أبو عبد الله، ولد بدمشق عام ٤٥٠هـ، وتوفي فيها عام ٥١٧هـ؛ قصيدة ورد فيها ذكر (الشاخص):



ودوح أغـــانـــي قـــمـــريـــة

يـهـز الـلـبـيـب ويـسـتـرقـص

بـشـوق وبـيـنـه مـشـكـل

ويـشـجـو ومـسـهـلـه أعـوص

وروض جـلال الـنـور خـشـخـاشـه

تـحـاولـه الـعـيـن أو تـشـخـص

كـأن بـه مـعـشـراً وقـفـاً

بـزيـنـة عـيـد لـه أخـلـصـوا

وفي ناحيتنا في منطقة سدير يقولون: هذه (البقرة قموص)؛ وقمص البقرة يعد عيباً يسبب ردها عند شرائها، إذا لم يشترط البائع على الشاري ذلك، وعيب القمص في البقرة يكمن في أنه يسبب الخوف منها عند حلبها، وأنه يكون سبباً لدفق الحليب عندما تقمص برجلها أثناء حلبها؛ فتصيب الإناء الذي حلب فيه حليبها.

وفي «لسان العرب»: هذه دابة فيها قِماص بكسر القاف. والقميص البرذون، الكثير القماص. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لتقمصنّ بكم الأرض قماص البقر» يعني الزلزلة. وفي حديث سليمان بن سيار: «قمصت به الدابة فصرعته» أي: وثبت ونفرت فألقته. وقرأت في «ديوان ابن الخياط» أيضاً قوله:

ويـــوم أخـــذنـــا بـــه فـــرصـــة

مـن الـعـيـش والـعـيـش مـسـتـفـرص

ركـضـنـا مـع الـلـهـو فـيـه الـصـبـا

وإفـراسـه مـرحـاً تـقـمـص

إلـى جـنّـة لا مـدى عـرضـهـا

يـضـيـق ولا ظـلـهـا يـقـلـص

كلمات قلّ استعمالها فحسبت عامية!!!

وعندما يتحدث الرجل العامِي؛ فإن بعض المتعلمين وأنصاف المثقفين يعتقدون أن لغته عامية وأن ليس لها أصل في اللغة، بينما يدرك اللغويون أنها لغة صحيحة، وأن سبب الالتباس الذي يحصل في هذا، هو أن بعض الكلمات التي يستعملها العامة قد هجرت، وقل استعمالها من قبل الكتاب والمؤلفين؛ فاعْتُقِد بأنها عامية.

فمن تلك الكلمات الشائعة الاستعمال لدى العامة في ناحيتنا في منطقة سدير (الوسم) فالعامة كثيراً ما يقولون: دخل الوسم، ومضى من الوسم كذا، وبقي من الوسم كذا. ويقولون: وليت الأرض، وأصابها ولي. فبالوسم: يعنون المطر الذي يأتي بعد فصل الخريف، وهو مطر ينبت الكمأة التي تعرف في ناحيتنا بـ (الفقع) قال صاحب اللسان: الفَقْع والفِقْع، بالفتح والكسر: الأبيض الرخو من الكمأة، وهو أرداها.

وعن الوسم قال صاحب «اللسان»: والوسمي مطر أول الربيع، وهو بعد الخريف؛ لأنه يسم الأرض بالنبات، ويقال: أرض موسومة أصابها الوسمي.

وقولهم: (وليت الأرض) لغة صحيحة. قال صاحب «اللسان»: والوسمي مطر يكون بعد الخريف في البرد؛ ثم يتبعه الولي في صميم الشتاء.

وفي ناحيتنا في منطقة سدير يقولون: فلان وسم ناقته أو شاته، بوسم قبيلته؛ والوسم علامة مميزة، فكل قبيلة تسم حيواناتها، بشكل معين تعرف به حيواناتها فوسم عائلة آل دامغ مثلاً، هو عبارة عن خط

قصير عن يمين وسطه نقطة، وعن يساره كذلك أي بهذا الشكل (٠١٠)، ويكون من الناقة في الجزء الأعلى من يمين رقبتها، وفي الشاة أو العنزة أو البقرة في الأذن اليمنى منها، وقد يُحْفَر الوسم على الأشياء الثمينة.

ولقد أطال صاحب «اللسان» عند كلمة (الوسم) فبعد أن ذكر معناها المتعلق بالمطر قال: الوسم أثر الكي والجمع (وسوم). ويقال: وسمه وسماً وسمةً، والميسم المكواة، والشيء الذي يوسم به الدابة، والجمع مواسم ومياسم.

وفي الحديث أنه ﷺ كان يسم إبل الصدقة، أي: يعلّم عليها بالكي، ويقال: الميسم والوسامة أثر الحسن والمرأة وسيمة. وفي صفته ﷺ وسيم قسيم. قال الكميت يمدح الحسن بن علي رضي الله عنهما:

وتُطيل المُرزّآتُ المقاليـ
ـتُ إليه القعود بعد القيام

يتعرّفْنَ حُرّ وجهٍ عليه
عقبة السرو ظاهراً والوسام

وفي أول قصيدة للمتنبي امتدح بها سيف الدولة سنة ٧٣٣هـ، أشار إلى المواسم التي هي آثار الكي فقال:

تُقبلُ أفواه الملوك بساطه
ويَكْبُرُ عنها كُمُهُ وبراجمه

قياماً لمن يشفى من الداء كيّه
ومن بين أذني كل قرم مواسمه

وقد ذكر ابن الخياط ـ الذي سبقت ترجمته تحت عنوان: «كلمات يُظنّ أنها عامية» ـ الوسم الذي هو أثر الكي. والوسم الذي هو أول



المطر، والولي الذي بعد الوسمي في أبيات من قصيدة امتدح بها الأمير تاج الملوك، هي:

عليهن وسم للفراق وإنما
علي له ما ليس للنار من وسم

وكم قسم البين الضنا بين منزل
وبيني ولكن الهوى جائر القسم

منازل أدراس شجاني نحولها
فهلا شجاها ناحل القلب والجسم

سقاها الحيا قبلي فلما سقيتها
بدمعي رأت فضل الولي على الوسمي

○○○○○

وهذه الكلمات ليست عامية

ومنطقة سدير تعد من أفضل المناطق في شبه الجزيرة العربية تمسكاً للغة العربية وإن كان هناك نقد يوجه؛ فهو لا يعدو عن كونه مبنياً على وجود بعض التصحيفات لبعض الكلمات وهذا يعود إلى فترة نَدَرَ وجود العلم والعلماء في نجد عموماً، وهذه الفترة قد وقعت ما بين القرن الثامن أو السابع وبين القرن الثالث عشر تقريباً، وقد أدركت وما في قريتنا: روضة سدير، من يقرأ الرسالة أو يكتبها إلا أربعة أشخاص من بينهم والدي رحمه الله.

أما أن هناك كلمات عامية متداولة في منطقة سدير أصلها أعجمي أو لا أصل لها في اللغة العربية، كما هو الحال في بعض المناطق؛ فليس لها وجود على الإطلاق، وإنما هناك كلمات أخذت صفة العامية لدخول تصحيفات عليها، والكلمات الفصيحة التي قلّ استعمالها واندثرت اندثاراً جعل معظم الكتاب يتحفظون من إقحامها في تعبيراتهم الكلامية وكتاباتهم الأدبية، ظناً منهم بعاميتها هي دارجة على ألسن أهل منطقة سدير وشائع استخدامها من قبل العامة وغير العامة، وقد اخترت بعض الكلمات كنموذج أدلل به على صحة لغتها؛ فمن ذلك قولهم: (قمز)، ويصفون الشيخ القوي فيقولون: (فلان يقمز العرفجة)، والعرفجة شجيرة معروفة. قال صاحب «اللسان»: جمز الإنسان والبعير والدابة، يجمز جمزاً وجمزي، وهو عدو دون الحضر الشديد وفوق العتق. وبهذا ندرك أن (قمز) مصحّف (جمز) حيث وجد العامة القاف أخف على ألسنتهم من الجيم فأبدلوها بها. يقول الشاعر:

قد هجرت الورى إليك ولم أظـ

ـلم ومدحي سواك للمدح وهز

لا تقل الركاب رجلي ولا

يحمل رجلي إلا بقصدك غرز

مشيها القهقرى إليهم وإن أمـ

ـتك يوماً فالمشي وثب وجمز

ومن ذلك قولهم: (جفرة)، وهي لغة صحيحة قل استخدامها. قال صاحب «اللسان»: والجفرة: الحفرة الواسعة المستديرة، والحفرة: البئر الواسعة التي لم تطو. ومن ذلك قولهم: نهز وفي أمثالهم (لا تنهزها وهي مليانة) يعنون بذلك الدلو - ثم تحول في مفهومه إلى النفس الممتلئة غيظاً.

وفي «اللسان»: ونهزت بالدلو في البئر إذا ضربت بها إلى الماء لتمتلئ. ونهز الدلو ينهزها نهزاً: نزع بها. قال الشماخ في هذا المعنى:

غَدَوْنَ لها صعر الخدود كما غدتْ

على ماء يمشود الدلاء النواهز

ومن قصيدة لابن الخياط الذي ترجمت له في موضوع سبق في هذا الجزء عنوانه: «كلمات يُظن أنها عامية»، قوله يمدح أبا الذواد المفرج:

كيف يبطي عنك الثناء وقد أسـ

ـرع جود يحدوه حث وحفز

غرّق السائلين والنجد غور

وحمى العائذين والوهد نشز

لا كجود يعي ويعنف إدلا

ج إلى جفره العميق ونهز

ما رأيناك نابياً عن مرام

مذ هز زناك والحسام يهز

ooooo

الغيرة فرس.. والعربي فارسها!!

والنفس التي لا ترتوي من معين الفضيلة لا تجد لها من الغيرة على الدين، والعرض، والشرف حارساً يقظاً يقف ذاباً عن حياضها؛ هي نفس ميتة لا يهزها اعتداء على عرض ولا يغضبها كفر يمارس أو فجر يرتكب، وإنما هي إلى الرذيلة أقرب.

وإذا ما انفردنا بالحديث عن الغيرة كصفة من الصفات الأساسية لقمومات النفس، وألقينا نظرة عابرة على مفهومها في ساحة الحياة الاجتماعية، وعملها في النفس التي تطبع عليها، وجدنا أن الإنسان العربي هو الأرضية التي وجدت فيها الغيرة مجالاً لنموها فزكت زكواً حقق منطلقاً لفاعليتها؛ فاستقرت في قاعها استقراراً مثل صفة من صفات عقيدتها الدينية وخصلة من خصال شهامتها الخلقية.

ولو مثّلنا الغيرة بالفرس الأصيل الجموح؛ فإن العربي وبلا منازع هو فارسها الذي يجيد امتطاء صهوتها والكر والفر بها في ميدان الشهامة وحلبة الأنفة، ومواقف الرجولة التي تجرأ جرأة فورية ذات إقدام صادق على تنفيذ قرار الغيرة الذي يقضي بردع كل باغ وطاغ، يجعل من نفسه بحراً من الوحل وموجاً من الرذيلة ليغرق النفوس الضعيفة التي تتخلى عن مواقف الشجاعة خوفاً من مرارة المصادمة.

والذي يقع فريسة تلك الأمواج ويستقر في قاع ذلك الوحل، هو الذي يغريه الشكل فيتذوقه مرة وأخرى تذوقاً يميت فيه الحذر من الوقوع في المصيدة؛ فيجد نفسه قد خلى وفاضها من الغيرة التي يحمي بها شرفه وعرضه وعزته وكرامته؛ فينساق انسياق البهيمة خلف الجزار بلا تمنع أو تردد.



وقتل الغيرة في الرجال والنساء يأتي من زاوية العداوة في كثير من الأحيان؛ فأعداء العرب والمسلمين يحاولون قتل الغيرة في النفوس؛ لأنهم يعرفون أنها أحد الحصون المنيعة التي تقف ضد نواياهم ومخططاتهم التي يرسمونها؛ لإفساد الأخلاق عن طريق إذابة الغيرة في ماء رجسهم.

وقد نبّه إلى ذلك كثير من الشعراء؛ أذكر من ذلك قصيدة لابن الخياط، وقد ترجمت له في موضوع في هذا الجزء عنوانه: «كلمات يُظنُّ أنها عامية» من تلك القصيدة قوله:

بنو الشرك لا ينكرون الفساد
ولا يعرفون مع الجور قصدا

ولا يردعون عن القتل نفساً
ولا يتركون من الفتك جهدا

فكم من فتاة بهم أصبحت
تدق من الخوف نحراً وخدا

وأم عواتق ما أن عرفن
حراً ولا ذقن في الليل بردا

تكاد عليهن من خيفة
تذوب وتتلف حزناً ووجدا

فحاموا على دينكم والحريم
محامات من لا يرى الموت فقدا

وسدوا الثغور بطعن النحور
فمن حق ثغر بكم أن يسدا

فلن تعدموا في انتشار الأمور
أخاً تدرء حازم الرأي جلدا

ابن الخيثم اتهم بالعمى لأنه كان يغض بصره!!

والعين بطبيعتها ترجمان.. ورسول للعين التي تقابلها، وبها تقرأ أشياء في داخل النفس، ولهذا فهي تترجم لصاحبها ما يندبها له، والمخبتون لله يحذرون من أعينهم حذراً شديداً لعلمهم بمقدرتها الدبلوماسية على سرعة ربط صاحب العين الذي تراه بصاحبها على أي مستوى تطمح إليه النفس، ولهذا تراهم دائماً وهم في صراع مع أعينهم، يغضونها وهي تحاول الانفلات لرؤية الأشياء التي تقع يمنة ويسرة عنها، ومن الصالحين والأتقياء من يسيطر على عينه ويتحكم فيها فلا يرسلها إلا إلى ما يلزمه من الأشياء التي لا تمت إلى أي خطيئة بصلة.

يروى أن الربيع بن خيثم رضي الله عنه كان من شدة غض بصره وإطراقه، يظن الناس أنه أعمى.

وكان رضي الله عنه يختلف إلى منزل ابن مسعود رضي الله عنه عشرين سنة فإذا طرق الباب خرجت إليه الجارية فتراه مطرقاً غاضاً بصره تقول: صديقك الأعمى قد جاء؛ فكان ابن مسعود رضي الله عنه يبتسم لقولها.

وكان ابن مسعود إذا نظر إليه قال: وبشّر المخبتين، أما لو رآك رسول الله ﷺ لفرح بك وأحبك. وكان بعض الصالحين يقول: يا قوم غرقت السفينة ونحن نيام هذا آدم لم يتسامح بلقمة، وداود لم يساهل له في نظره. فكيف بنا ونحن على ما نحن عليه من سوء الفعال وأشد الوبال والنكال والنظرة إلى غير الحلال؟!!!

ويروى عن عبد الله أنه رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي كل ذنب أقررت به إلا ذنباً واحداً استحييت أن أقر به،



فأوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي. فقيل له: ما كان الذنب؟ فقال: نظرت إلى شخص جميل.

وعقب على هذا الكلام الشيخ العلامة زين الدين المليباري في كتابه «الجواهر في عقوبة أهل الكبائر» بقوله: فاسمع الآن أوصافك يا كثير الذنوب والأوزار يا منهمكاً على المعاصي آناء الليل وأطراف النهار، يا من كلما خوف لم يخف، ألك طاقة على عذاب النار؛ ثم أورد هذه الأبيات:

عاتبت قلبي لما
رأيت جسمي نحيلا

فألزم القلب طرف
وقال كنت أنت الرسولا

فقال طرفي لقلبي
بل لأنت كنت الدليلا

فقلت كذبتما جميعاً
وتركتماني عليلا

وقد اشتد نوْحي
عليكما والعويلا

ومن رضا بالذي
لا يحل كان جهولا

فتب إلى اللّه واجتهد
إن رمت تعطى القبولا

فليس ثم عداها
يلقى إليها السبيلا

عقوبة النظر

والأحاديث والأقوال المأثورة التي وردت في ذكر النظر إلى ما كان محرماً على النظر كثيرة جداً ومتنوعة..، والشواهد على عقوبة النظر المحرم كثيرة ومثيرة. ففي كتاب «الجواهر في عقوبة الكبائر» للشيخ العلامة زين الدين المليباري طرف من تلك الأحاديث والأقوال، التي تكفي للتذكير بما للنظر المحرم من عقوبة عاجلة في الدنيا وآجلة في الآخرة.

قال المليباري: وحكي عن الشبلي رضي الله عنه قال: رأيت فتى في الطواف فتفرست فيه الخير فإذا هو قد نظر امرأة تطوف أيضاً، وإذا بسهم قد أصاب عينه، وإذا عليه مكتوب نظر طرفك إلى غيرنا فأعميناه، ولو نظر قلبك إلى غيرنا لأكويناه.

ثم روى عن الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي في عقوبة النظر، عما رواه عن ابن عباس رضي الله عنه: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يتسلسل دماً، فقال له رسول الله ﷺ: ما لك على هذه الحالة؟ قال: مرت بي امرأة فنظرت إليها فلم أزل أتبعها ونظري معها فاستقبلني جدار فضربني ووقع بي ما ترى، فقال ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبده خيراً عجّل له العقوبة في الدنيا».

وروى المليباري أن ابن يعقوب البهرجوري رحمه الله قال: رأيت في الطواف رجلاً بعين واحدة يقول في طوافه: أعوذ بك منك. فقلت له: يا هذا ما هذا الدعاء، فقال: إني مجاور مكة منذ خمسين سنة فنظرت إلى شخص يوماً فاستحسنته، فإذا بلطمة وقعت من الهواء على



عيني فسالت على خدي، فقلت: آه، فوقعت أخرى وإذا بقائل يقول: لو زدت لزدناك. وفيما يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من حفظ طرفه، حفظ الله عليه أهله، ومن نظر إلى عورة أخيه المسلم، هتك الله عورته، وكحل بالنار حدقته».

ومما قيل في العين من أشعار تتصل بهذا الموضوع هذه الأبيات التي لم يشر المليباري إلى قائلها:

العين أصل عناها فتنة النظر
والقلب كل أذاه الشغل بالفكر

كم نظرة نقشتّ في القلب صورة من
راح الفؤاد بها في الحذر والأسر

والمرء ما دام ذا عين يقلبها
في أعين الغيد موقوف على الخطر

يسر مقلته ما ضر مهجته
لا مرحباً بسرور جاء بالضرر

فالقلب يحسد نور العين إذ نظرت
والعين تحسده حقاً على الفكر

يقول قلبي لعيني كلما نظرت
كم تنظرين لقاء اللّه بالنظر

فالعين تورثه همّاً فتشغله
والقلب بالدمع ينهاها عن النظر

هذان خصمان لا أرضى بحكمهما
فاحكم فديتك بين القلب والبصر

○○○○○

منذ متى ونحن نتوعد إسرائيل بأخذ الثأر!!

وعد وزير خارجية بريطانيا (بلفور) في عام ١٩١٧م، بأن يخصص لليهود وطناً فدله حقده على فلسطين؛ فأعلن ذلك وأيدت أمريكا وحلفاؤها ذلك الوعد الغاشم فسهلوا مهمة هجرة الصهاينة إلى فلسطين. ومنذ ذلك الوقت بدأت مضايقات يهود للعرب الفلسطينيين تأخذ طابع العنصرية بالإضافة إلى تلك المضايقات كان يقصد بها تشريد الشعب الفلسطيني؛ فكانت ردود فعل فردية من الفلسطينيين ومناوشات شخصية؛ ثم تطورات إلى تكتلات بسيطة لا تملك من السلاح ما يمكنها من ردع المعتدي؛ الأمر الذي جعل شوكة الصهاينة تقوى وتنمو بمفعول الإمدادات المالية والبشرية، والأسلحة المتنوعة والمتقدمة التي تدفع إليهم بكل سخاء.

وعرب فلسطين هم هم، لم يتقدموا في مجال تقوية أنفسهم قيد أنملة؛ وإنما أخذوا في التراجع خطوات. وفي التقهقر أمام يهود أشواطاً؛ فاستفحل الأمر وأخذ الصهاينة في بناء المستعمرات اليهودية داخل فلسطين وفي المناطق الحيوية منها، وهدم بيوت الفلسطينيين عند أدنى سبب والاستيلاء على مزارعهم وإذلالهم بقوة السلاح.

وكان على الدول العربية أن تناصر الفلسطينيين، وتثأر لهم وتنتصر لحقهم الذي اغتصب بموجب وعد بلفور المشؤوم لكن الخلاف في الكيفية التي يجب اتخاذها لمناصرة الفلسطينيين، وعدم اتفاق وجهات النظر أضاعت الحق الفلسطيني منذ أن كان للبندقية العادية دور في القتال وللكم البشر فاعلية في الميدان إلى أن أتى عصر الأسلحة



الكيماوية والصواريخ التي تحمل الرؤوس النووية التي لا تحتاج إلا إلى كيف وتقنية، والعرب يعقدون الاجتماعات تلو الاجتماعات والمؤتمرات على مختلف المستويات، ولا يتفقون إلا على إصدار قرار تنديد أو شجب.

ولومي هذا لا يبرئ الفلسطيني داخل فلسطين أو خارجها؛ فقد كان قبل الانتفاضة متكئاً على أريكة من السلبية والاتكال على الدول العربية ناسياً المثل القائل: (ما حك جلدك مثل ظفرك).

وما دمت قد استعرضت واقعاً من ماضي فلسطين والفلسطينيين الذين ذاقوا سوء العذاب على أيدي الصهاينة، وعالم الأرض تتفرج؛ بل إن أقواها تشجع يهوداً وتكافئهم بالمعونات التي تعد على هيئة أسلحة متقدمة وتجهيزات بشرية. أرى أن أنقل صورة شعرية من صور الحماس الذي يلتهب في نفوس الشعراء ويطالب بأخذ الثأر والانتصار لفلسطين؛ فهذا جزء من قصيدة للشاعر فؤاد حسن الخطيب وقد رثى فيها إمام مسجد حيفا الذي تزعم أول حركة ضد السلطة البريطانية، التي تساند النشاط اليهودي في فلسطين وذلك عام ١٩٣٦م؛ يقول الخطيب في ذلك الجزء من قصيدة «مصرع بطل»:

طوفان نوح دهى الشعوب فعمها
ومن اليهود يخصكم طوفان

غمر الرواسي والبطاح تدفقا
أين (السفينة، منه) والربان

ضمن القديم لكم بقاء كيانكم
وعداً وليس مع الجديد كيان

فهل الحمامة حامل منقارها
غصناً من الزيتون فيه ضمان



يا رهط عز الدين حسبك نعمة
في الخلد لا عَنَت ولا أشجان

شهداء بدر والبقيع تهللت
فرحاً وهشّ مُرحَبا رضوان

يا حصن يعرب في ثراك موسّد
نعم الضحية عنك والقربان

هو صيحةٌ ملأ الفضاء دويُها
فسل العروبة هل لها آذان

○○○○○

الصّــــدَر

والصّدَر هو تعريف لحركة السّنْيِ، وهو تسمية فيما أظن لنوع من عمل البعير كالصِدُور؛ فصدوره من على حافة البئر وهو مناط به الرشاء المربوط بالغرب وعودته إليها بعد أن يلفظ الغرب ماءه في اللزا، وتكرار ذهابه وعودته والقتب مشدود على ظهره والرشاء مربوط مثلما وصفت هو بمثابة صدور وورود، ومنه أخذ الصّدَر (بفتح الصاد المشددة والدال). وقد جاء في «لسان العرب»: التَصْدير: الحزام، وهو في صدر البعير.

وعن الليث: التصدير: حبل يُصَدّر به البعير إذا جرّ حمله إلى الخلف؛ والحقيقة أنني ما كنت أفكر في يوم من الأيام أن أكتب تحت هذا العنوان: «الصّدَر» (بفتح الصاد المشددة وفتح الدال) لا لشيء وإنما لأنه يبعد بعض الشيء عن فهم بعض القراء، ولكن لولا أنني وجدت ما يبرر الكتاب تحته لما تناولته.

وقبل أن أستعرض المبرر الذي حملني على كتابة هذا الموضوع الذي له عمق في التراث، فلا بد من أن أعرف جانباً حركياً من الصدر؛ لأن اللغوي قد تقدم.. فالصدر في ناحيتنا في منطقة سدير، وأحسبه في نجد عامة؛ هو السني سواء كانت السواني نياقاً أو غيرها من الحيوانات التي تسد مسدها في ذلك؛ مثل: الحمير والبقر، ولها نظام في الصدور من على حافة البئر والورود إليها تعسف عليه وتدرب، وقد يبلغ عدد الحيوانات التي تصدر وترد أي تسنى في بئر واحد أربعة تقوم بالصدور والورود في حركة آنية

واحدة منتظمة.. والأربع يقال لها: مربوعة، والثلاث: مثلوثة. ويقولون: فلان يصدر على أربع، وعلى ثلاث، وعلى اثنتين، وعلى شطن.

والشطن هو المفرد، وقد يشترك اثنان من المزارعين أو ثلاثة أو أربعة في زراعة وقتية موسمية؛ كزراعة البر مثلاً؛ فيكون كل واحد منهم مسؤولاً عن (شطن). أما المبرر لكتابة هذا الموضوع فلأنني قرأت أبياتاً من ملحمة الشاعر محمد بن عبد الله الملحم، وقد جاءت ضمن دراسة نشرها الأستاذ عبد الله الشباط في جريدة «اليوم» عدد ٦٣٨٨، في ٢٤/٥/١٤١١هـ.

وورد فيها ذكر بعض أدوات السقي و(الصدر)، وهذا يعني أن هذا التعريف شبه شايع.. من تلك الأبيات.

وللسواقي ترانيم مرتبة
قد فلسفوه على نحو الأساطير

يقول محالها في لحن نغمته
كم يرتوي الغير من كسبي وتوفيري

ويرجع النغم الدراج في مرح
أوفىٰ ويرجع أنغاماً بتكرير

والغرب بشٌ محياه فأطربنا
فالخير جاء لنا من كل تيسير

ذاك الذي عرفوه في الحسا صدراً
وضده السيح فافهم رمز تعبير

فيا لها نغمات ظلت أذكرها
تنساب في مسمعي كلحن طنبور



ويـا لـهـا صـورة مـا زلـت أنـظـرهـا
ذاك الـصـبـي بـهـيـجـاً أي مـسـرور[1]
يجيب ذلكم اللحن الجميل فما
يـمـل إيـقـاعـه فـي كـل تـدويـر

○○○○○

(١) والصبي هو العامل وكثيراً ما نسمع العمال الذين يسنون يرددون أنغاماً جميلة تتفق مع أصوات المحال، وهي تشبه من حيث التنغيم واللحن الموسيقي في غير بلادنا بما يعرف بـ«الموال».

جبري... وعروة

والاستدلال على أن واقع بعض القصائد يتوارثه الناس ويستمر توارثه قروناً متتالية، فلا يخلق ولا يبلى.. ما نقرأ من القصائد المعاصرة التي هي بمثابة رجع صدى لقصائد قيلت في الجاهلية أو في صدر الإسلام، حيث الشعر سليقة يطبع عليها الشاعر، واللغة صافية واللسان سالم من العجمة.

والحقيقة أن الشعراء المعاصرين حينما يعارضون قصائد الشعراء القدامى الذين سبقوهم بقرون عديدة؛ فإن ذلك يدلنا على أنهم يتمتعون بذوق شعري رفيع، وحس متميز وهاجس يضرب في عمق التاريخ مفتشاً عما يتفق وذوق صاحبه حتى يعانقه، ويحلق بقوة جناحه في سماء الأدب، ويطوف به في آفاق الشعر الذي يروي ظمأ المتذوق.

والشاعر السوري شفيق جبري واحد من أولئك الشعراء الذين يتحسسون مواطن الأصالة في الشعر، ويبحثون عن الكلمة الشاعرة التي تربط بين ما يختلج في النفس من مشاعر صادقة تعبر عن الواقع، وبين ما تنتمي إليه من أصالة لفظية ومعنى شعري يرقى إلى درجة رضا القارئ به.

قال الشاعر شفيق جبري، المولود سنة ١٩٨٠م، في تعليله لمعارضته لقصيدة عروة بن أذينة، المتوفى سنة ١٣٠هـ؛ أقول: لأدلل على أن قوة رابطة الشعر بين الشعراء لا يخلقها أو يبليها العامل الزمني بينهم. قال شفيق في سياق تعليله: وكثيراً من يسألني بعض الصحاب عن شعري في الغزل؛ فأخجل من نفسي كل الخجل، وأحس بشيء من

الضعف. وأنا أقول لهم: ليس لي شيء من هذا الشعر، فلا يكادون يصدقون ما أقول. سعيت مرة أن أعبر عن عاطفة الحب في شعري، وكنت أحفظ الأبيات المشهورة يعني أبيات عروة بن أذينة التي منها قوله:

إن التي زعمت فؤادك ملها
خُلقت هواك كما خُلقتَ هوى لها

فعارضتها بالأبيات التالية. ثم أورد أبياتاً قوامها اثنا عشر بيتاً، منها قوله:

خطرت ببالك يا لها من خطرة
أتظن أنك قد خطرت ببالها

هيهات ما عرفت هواك ولا درت
بوجيف ظلك في هدوء ظلالها

عجبت لطرفك غارقاً في طرفها
متعرضاً لقعودها ومجالها

لا تستطيع سؤالها في خلوة
يوماً.. ولا جادت ببعض سؤالها

كم كنت تتبعها خيالك في الدجى
درجت وما احتفلت بغير خيالها

أقلقت نفسك في ذراها حائراً
في يأس جفوتها وأمل وصالها

وقد ختم الشاعر شفيق جبري أبياته تلك بهذا البيت:

إن التي ملأت فؤادك صبوة
قطعت حبالك فاعتلق بحبالها

الصديق المتميز

والذي يفكر في الحديث عن الأصدقاء ويتتبع أخبارهم.. يجد مادة تتعب القلم وتستهلك الحبر والورق؛ إذ أن كل أديب وكاتب وشاعر قد دوّن تجربته مع أصدقائه.. وبيّن ما تخللها من محاسن ومساوئ؛ فلام المسيئ وأثنى على من أحسن في صداقته.

وتتفاوت مستويات مادة يكون عناصرها الأصدقاء وذلك بحسب تفاوت أخلاقيات الأصدقاء، وبحسب تنوع مفاهيمهم للحياة التي تفرض عليهم إنشاء صداقات تتفق مع مستوياتهم الفكرية والعلمية والثقافية.

والذي يفتح صدره ويمد يده طالباً الصداقة، يجد أصدقاء لا حصر لهم.. ولكن القليل بل النادر منهم من يعرف مفهوم الصداقة ومبادئ أحكامها، ولهذا فإنه عندما تفرض الظروف بلورة الصداقة وجعلها قوة مشتركة بين الصديقين يتضاءل عدد الأصدقاء تضاؤلاً ربما يصل إلى الصفر، ويخرج ذلك الذي ينشد الصداقة خالي الوفاض منها.

والذين جربوا الصداقات واختبروا الأصدقاء حصلوا على رسم بياني متذبذب المستويات، حيث لم ينفرد بالتدرج القياسي خط يمثل وجود نمو للصداقة، أو صدق ووفاء وإخلاص في تطبيق مفاهيمها. والسبب في ذلك يرجع إلى أن المنفعة هي التي ترسم الخطوط البيانية؛ فتراه يضرب في التدرج رقماً قياسياً في حالة التعادل في تبادل المنفعة، لكنه سرعان ما يعود إلى الصفر عندما لا يكون للمنفعة دور يذكر.

أما إذا لم يكن ليد المنفعة دور في ذلك فإن الصداقة تكون خالصة مخلصة، ويكون التعبير عنها صادقاً ومؤثراً، خاصة إذا فرضت

الظروف على أحد الصديقين الانتقال عن أصدقائه لأي سبب من الأسباب، وذلك مثل ما عبر عنه ابن شهيد الأندلسي في توديعه لأصدقائه عندما همّ بالرحيل عنهم في قصيدة مطلعها:

أستودع اللّه إخواني وعشرتهم
وكل خرق إلى العلياء سباق

ثم يخص من بينهم واحداً كان أقوى إخلاصاً له، وأشد صدقاً في صداقته فيقول:

وكوكباً لي منهم كان مغربه
قلبي ومشرقه ما بين أطواقي
اللّه يعلم أني ما أفارقه
إلا وفي الصدر مني حرّ مشتاق
كنا أليفين خان الدهر ألفتنا
وأي حر على صرف الردى باق
فإن أعش فلعل الدهر يجمعنا
وإن أمت فسيسقيه كذا الساقي
لا ضيّع اللّه إلا من يضيّعه
ومن تخلق فيه غير أخلاقي
قد كان بردي إذا ما مسني كلف
لا يشلم الحب آدابي وأعراقي
حتى رمتنا صروف الدهر عن كثب
ففرقتنا وهل من صرفه واق

○ ○ ○ ○ ○

أذلاء لمن ضربت عليهم الذلة!!!

والكاتب العربي الذي يفكر في كتابة تاريخ معاصر للصراع القائم بين العرب وغيرهم من المسلمين، الذين يقرب عددهم من الألف مليون نسمة، وبين يهود الذين يقل عددهم عن العشرة ملايين يهودي.. لا بد أن يقول وبكل مرارة: إن ضعفنا أمام اليهود الأذلاء الذين قال تعالى فيهم في سورة آل عمران آية ١١٢: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾، ليس من قلة ولكن كما قال عليه الصلاة والسلام: «غثاء كغثاء السيل»، وإلا كيف بشرذمة تألفت من آفاق الأرض لا يعرف بعضهم بعضاً إلّا بالانتماء إلى اليهودية؛ بل ربما كان التفاهم بينهم بالإشارة إذ لم توحدهم لغة كما وحدتنا؛ تفوقت على هذا الكم البشري الهائل الذي لا تقاس نسبته العددية مع عدد تلك الشرذمة.

ولنا أن نتوقع ماذا سيقوله التاريخ عنا ونحن بهذا العدد الضخم الذي لم يُغْنِ شيئاً، ولم يحرّك ساكناً ولم يروّع ظالماً ولم يقاوم مغتصباً.. وإنما هو يجبن وتتضاءل عزيمته، وتضعف قوته أمام أولئك الشذاذ الذين تجمعوا في فلسطين؛ فيقتلون وينهبون ويهتكون ويستوطنون ويتوسعون في الاستيطان، ويتمادون في هدم منازل أهلنا بكل عنجهية وتكبر.. ونحن لا نفعل شيئاً سوى الاستنكار، والشجب: ليس إلّا أنه: وأعني بذلك التاريخ، سيقول بعد ما يشير إلى تمزق جمعنا وتفرق رأينا واختلاف وجهات نظرنا وتخاذلنا: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾.

ويصور أحد الشعراء جانباً من ممارسات بغي يهود وبطشهم في فلسطين، وهو الشاعر السوري شفيق جبري في أبيات من قصيدة له عنوانها: «شر البيان» يقول في تلك الأبيات:

زحف الزمان ولم تزل أوطاننا
نهب العدو يبعثر الأوطانا

تلك الضغائن لا يزال سعيرها
طي الحشا من يطفئ الأضغانا

قالوا: السلام. فهل رأيت سلامهم
هدموا البيوت وشتّتوا النسوانا

إن لفت الأم الرؤم وحيدها
في الحضن ليلاً زلزلوا الأحضانا

في كل يوم صيحة من جرمهم
تعلو السماء فتحرق الأعنانا

لا القدس آمنة ولا حرم الهدى
أين الأمان فهل تحس أمانا

عجباً لقوم كالنعامة في الوغى
واليوم أضحوا في الوغى فرسانا

ضربت عليهم في البرية ذلة
ما بال ذلتهم غدت طغيانا؟!!

○○○○○

جانب من وصف الطبيعة!!

وتفرض الطبيعة على الإنسان أن يمد نظره، ويحلق بخياله فيما حوله وما يحيط به من أجواء ليرى في الكون ما يعجبه، ولذا نراه حينما يلقي نظرة على الأرض يبدع في وصف جمال طبيعتها ويشير إلى ما يستهوي خياله ويشبع تخيله في أنحائها.. وإن هو رفع طرفه إلى الأفق وإلى قبة السماء أبصر ما يبهر عقله من عظمة التكوين، وتناسق الجمال الذي أتقن صنعه من بيده ملكوت كل شيء.. فأعمل فكره في وصف ما وقع عليه طرفه.

وكثير هم الذين ينظرون إلى الطبيعة نظرة متمعنة توجد في نفوسهم تجليات تتمخض عن وصف لمشاهداتهم للأشياء الكونية، وتبرز مدى مقدرتهم على تقريب الصورة إلى أذهان الناس الذين لا يرون في الطبيعة ما يرونه، ولا يدركون فيها من الأسرار المثيرة ما يدركونه، وجمال الوصف ودقته، وجودة التشبيه مع تقريب صورة المشاكلة ربما انفرد بها الشعراء عما سواهم من أهل الأدب والكتابة الذين يحاولون تقريب ما تدركه تجلياتهم؛ لأن الشعراء أقدر على رسم الصورة التشبيهية التي تقرب للأذهان العادية شيئاً من المفهوم الشكلي الظاهر للعين على البعد الفضائي السحيق.

وهذا الشاعر الأندلسي ابن شهيد واسمه: أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك الأشجعي، يرسم صورة لقبه السماء في قصيدة له مطلعها:

أبـرق بـدا أم لـمـع أبـيـض قـاصِـلِ
ورجـع صـدى أم رجع أشـقـر صـاهـل



وفيها يصف المزن المتلاحق في قبة السماء التي شبهها بلجة البحر:

ومرّت جيوش المزن رهواً كأنها
عساكر زنج مذهباتُ المناصل
وحلّقت الخضراءُ في غر شهبها
كلجة بحر كللت باليعالل

ويستمر في تقريب أشكال النجوم وتشبيهها بما هو قريب ومعروف؛ فيشبه الدبران مثلاً بالصقر الواقع، والقمر البدر بالغدير، والنجوم من حوله بفرق الحمام الحائمة حول تلك الغدير:

وتحسبُ صقراً واقعاً دبرانها
بعُشّ الثّريا فوق حمر الحواصل
وبدر الدجى فيها غديراً وحوله
نجوم كطلعات الحمام النواهل

ويشبه النجوم الزاهرة التي تلوح في قبة السماء بزهر النرجس، ويصف المجرة بالنهر السائل والجوزاء عند الغروب بالعرش المتهدم:

تخال بها زهر الكواكب نرجسا
على شط واد للمجرة سائل
وتلمح من جوزائها في غروبها
تساقط عرش واهن الدعم مائل

ويصف الدجى وظلامه بما يعانيه من هموم ينسكب لها الدمع، الذي يشبه النجوم في دجى ذلك الهمّ:

كأن الدجى همّي ودمعي نجومه
تحدر إشفاقاً لدهر الأراذل

الشعراء والعلماء!!

الشعراء أو بالأصح الكثير منهم يحرصون كل الحرص على الاحتكاك بمن يرونه من العلماء شاعراً، وذلك لأمور كثيرة لعل أهمها وأبرزها في أن يكون تبادل الشعر والتراسل به مفتاحاً للصداقة.. ومنها الطمع في أن يكون دليلاً على أن لهم محبة في القلوب، خاصة منهم الذين يتّسمون بالسماحة واللطافة والفضل وحب الناس؛ لأن هؤلاء لهم أمكنة متمكنة في قلوب الناس وحبهم يختلج في نفوس من يعرفهم.. ويقابل هذا أن العلماء أنفسهم يحاولون اجترار الشعراء ليتأسوا بآدابهم وعلمهم وفضيلتهم، حتى لا يكون لهم شطحات ومزالق في القصيدة؛ لأنهم يدركون مدى تأثير الشعر على الرأي العام وتلاعبه بعواطف الناس.

أما علاقة العلماء بعامة الناس؛ فإن التاريخ مليء بالصور التي تنطق بالتواد القائم بين كثير من العلماء وعامة الناس.

أما إذا حاول الشعراء التزلف والاقتراب من الوزراء والمقربين من الرؤساء والزعماء؛ فإن ذلك يعني أنهم يريدون البوح لهم بما معناه: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾.

وإذا ما ابتعدنا قليلاً عن وصف العلاقات التي يقيمها العلماء مع سائر الناس، طمعاً في أن يطمئن الناس إليهم اطمئناناً يدعو إلى الاغتراف من معين علمهم، ورجعنا إلى تحقيق الصورة التي يشترك في جوهرها الشاعر والعالم معاً، لوجدنا للعلماء نشاطاً في هذه الميدان لا يستهان به؛ فهذا العالم الجليل أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن

حزم المتوفى ٤٥٦هـ، نراه يقيم علاقة وثيقة مع الشاعر والكاتب الأندلسي أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن شهيد الأشجعي، حيث جرت بينهم عدة مراسلات شعرية لا يتسع المجال لذكرها جميعاً، ولكن على سبيل المثال أذكر قول ابن شهيد من قصيدة أرسلها من أسبانيا إلى ابن حزم، يتأوه فيها مما به من ألم حيث يقول:

فمن مبلغ عني ابن حزم وكان لي
يداً في ملماتي وعند مضايقي

عليك سلام الله إني مفارق
وحسبك زاداً من حبيب مفارق

فلا تنسى تأبيني إذا ما فقدتني
وتذكار أيامي وفضل خلائقي

وإني لأرجو الله فيما تقدمت
ذنوبي به مما درى من حقائقي

ومما رد به ابن حزم على قصيدة أبي عامر أحمد بن أبي مروان بن شهيد الأندلسي قوله:

أبا عامر ناديت خلاً مصافيا
يفديك من دُهم الخطوب الطوارق

وألفيت قلباً مخلصاً لك ممحضا
بودك موصول العرى والعلائق

شدائد يجلوها الإله بلطفه
فلا تأس إن الدهر جم المضائق

ورب أسير في يد الدهر مطلق
ومنطلق والدهر أسوق سائق



رحلة في بحر قصيدة!!

والقصيدة التي سأبحر بين أمواجها وفي آفاق محيطها، هي قصيدة الشاعر السوري شفيق جبري «أباطيل التاريخ»، وقد ضمنها ديوانه «نوح العندليب»، والحقيقة أن عنوان القصيدة «أباطيل التاريخ»، يوحي بأن شيئاً مهماً تحته.. وأن هناك شيئاً غريباً من تصرفات الإنسان في تدوين التاريخ، والذي استوقفني من تلك القصيدة.. هو وقوف شفيق جبري على مداهنة المؤرخين، الذين سخّروا أقلامهم لتمجيد المتجبرين الذين كانوا يلعبون بأرواح الناس:

ألا ترى كتب التاريخ قد ملئت

مدحاً لمن ملأ الدنيا من اللهب

وهيؤوا لهم دخول التاريخ من أوسع أبوابه؛ فاحتلوا الكثير من صفحاته بسبب تجديد ذكرهم وتمجيد أفعالهم، التي أقل ما فيها الظلم والطغيان وعدم المبالاة بإزهاق الأرواح وهدم المنشآت وتخريب الممتلكات:

فما يبالون بالتهديم إن هدموا

وما يبالون بالأرواح في العطب

كأن لذتهم في طي أنفسهم

أن يسفك الدم كل الدهر والحقب

فإن جرى الدم ملء الأرض مندفقا

طاروا من البشر أو غنوا من الطرب

وإذا كان تخليد أسماء أولئك الجبابرة العابثين بالحياة ومن فيها، يأتي من باب الذكرى ويدخل فيه أسلوب المغالاة والتوغل في حمدهم من قبل المؤرخين الذين يفرض ذلك عليهم الخوف من البطش.. فإن على الوارث المباشر لأولئك المؤرخين أن يصحح الخطأ، وأن يشير إلى أنهم قد كتبوا ذلك مملاً عليهم لا من عند أنفسهم أو طوع اختيارهم، وإنما كتبوه وهم بين أمرين: إما كتابة تلك الأباطيل وتنميقها وإما القتل.. ولكنه إذا ترك ذلك التاريخ بلا تصحيح؛ فإنما هي الرغبة في إحياء ذكر الجبابرة المفسدين، وإماتة ذكر الصالحين المصلحين:

فكم نجيب طوى النسيان سيرته
كأنه لم يكن يوماً من النجب

فلم يذيعوا له ذكراً بقافية
ولم يشيدوا به في رائع الخطب

وإغفالهم ذكر أولئك الذين يبنون ولا يهدمون، ويصلحون ولا يفسدون، ويحكمون بالعدل ولا يظلمون... لا ينتهي إلى استبدالهم بذكر المفسدين والمشغوفين بالتخريب والإبادة فحسب بل تعدى إلى نحت الأنصاب لأولئك الطغاة، وتجسيم صورهم ورفعها في الميادين والمنتديات بقصد المباهاة بها، على اعتبار أنها شخصيات يجب على التاريخ أن يعيها وعلى الأجيال أن تعرفها فويل لهم مما كتبوا، وويل لهم مما ينحتون:

نرى رجالاً بناء المجد همهم
لم يرفعوا لهم ذكرى على نصب

وإنما نحتوا الأنصاب ماثلة
لمن تباهوا بهدم المجد والحسب

○○○○○



الدوق هنري يلغي خطبة ابنه!!!

عشق ابن الدوق هنري أحد أمراء الغرب.. مغنية فاتنة تسبي العقول بجمالها وحركاتها وحسن قوامها.. فتسرّع في عشقه لها حيث اجتره سحر جمالها فخطبها لنفسه؛ فوافقت على خطبته فأعطاها خاتم الخطبة الذي كان في يده؛ لكنها باكتمال ذكائها وشدة فطنتها خشيت من أن يكون منجرفاً نحوها بسبب جمالها فقط.. وأنه في يوم من الأيام سيتراجع عن قراره؛ لأنه أمير ووالده أمير، وقد لا يكون هناك تكافؤ اجتماعي بينهما..

وقد حدث ما كانت تتوقعه حيث سافر إلى بلاده، وتركها في بلادها وليس معها إلا الخاتم وذكريات أحاديث الحب التي تدور بينه وبينها والتي تتشبث به وتعلّق عليه آمالها.

وعند وصوله لبلاده أخبر والده الدوق هنري بما جرى له مع تلك الفتاة الجميلة التي سلبت عقله بجاذبية أنوثتها وتدللها.. فعتب عليه أبوه وأنبه على فعله وتصرفه؛ لأنها ليست من الفئة التي يصح له مصاهرتها.

والحقيقة أن الذي ينساق خلف المظهر، ولا يبالي بما لانسياقه من تأثير على حياته الاجتماعية العامة التي يشترك فيها مع أفراد أسرته ورجالات قبيلته فإنه إنسان قاصر التفكير؛ بل إن عقله مرتبط بعينه، وليست عينه مرتبطة بعقله، ومثل هذا يجري خلف السراب، ويتمادى به السير في متاهات يصعب عليه الرجوع منها.

ولقد أدرج الشاعر فؤاد حسن الخطيب قصة خطبة ابن الدوق هنري لتلك الفتاة في قصيدة طويلة تبلغ نحواً من ثلاثة وأربعين بيتاً، أقتطف منها قوله:



قال هذا خاتم الخطبة في
خنصري يحتثني أن أخطبا

فخذيه اليوم مني واعلمي
أنه عن غايتي قد أعربا

ثم لما أبلج الفجر نأى
عن حماها قلقا مكتئبا

وامتطى البحر إلى أوطانه
ليبث الأمر أماً وأبا

وانبرى والده يزجره
وغدا يرنو إليه غضبا

ومن الغادة مع مندوبه
طلب الخاتم لكن خيبا

ثم جاء (الدوق هنري) مسرعاً
وحباها من نداه ما حبا

راضٍ منها الصعب حتى أنه
سلب الخاتم ثم انقلبا

○○○○○

أما المتنبي!!!

والشاعر المتجرد الذي يتصف بالصدق.. يبدو شعره كخريطة لجغرافية الزمان الذي عاشه، حيث تبلغ به الدقة في صدق التصوير للمراكز الجغرافية لأهل زمانه درجة تقرب من النطق بالواقع؛ فأنت حينما تقرأ شعره تحس كأنك واقف ترى بعينك ذلك المجتمع الذي عايشه الشاعر، ولو أردت تشبيه ذلك الشعر بما يثبت عن طريق السماع للحياة الثقافية والأدبية بما فيها من مشكلات وأحداث؛ لأشبهت كل قصيدة منه حين قراءتها بشريط سينمائي ينقل لك الصورة والصوت معاً.

والحقيقة أن معظم معرفتنا لواقع حياة كثير من الأمم التي سبقتنا يتحقق لنا عن طريق عدة مصادر، أهمها: التاريخ المدون والعادات والتقاليد المتوارثة. والشعر الصادق الذي قلما نقرأ تاريخاً أو دراسة لحالة مجتمع طوته مئات السنين، إلّا ونجد ذلك التاريخ أو تلك الدراسة مشحونة بشواهد الشعر...، ولنأخذ مثلاً مجتمع أبي العلاء المعري الذي يفصل بيننا وبينه قرابة ألف عام فنجد أن أبا العلاء المعري قد رسم خريطة لجغرافية حياة مجتمعه فكأنما نحن نشاهد مجتمعه عندما نقرأ شعره... وكذلك الشأن بالبحتري، وجرير، وامرئ القيس، وغيرهم من الذين خلفوا شعراً أشبه ما يكون بالمرآة التي تعكس لنا واقع حياتهم.

أما المتنبي فقد لوّن رسم الخريطة بألوان متعددة خضع كثير منها لذوقه الخاص، وقليل منها لواقع الحياة العامة لمجتمعه.. فمن الألوان التي خضعت لذوقه، ورسمها رسماً يخالف طبيعة أرضية الخريطة الأدبية



والحياة الاجتماعية والثقافية التي عبثت بها ألوانه التعبيرية عن كافور الأخشيدي، الذي انتهت إليه السلطة في مصر وسورية فعدل في حكمه وقرب العلماء والفقهاء، وحرص على نشر العلم واستتباب الأمن، هي تلك القصائد التي هجا بها كافوراً فكانت مخالفة للواقع.. بل صارت موضع ملاحظة عليه من ناحية قلب الحقائق.. ومن الذين أبدوا ملاحظتهم عليه.. الشاعر السوري شفيق جبري الذي أورد في جزء من قصيدة له عنوانها: «سلطان الشعر»، وقد حاول فيها التدليل على أن المقدرة على قلب الحقائق مبدأ من مبادئ المتنبي. يقول:

لولا الذي ملأ الدنيا وزلزلها
ما كان كافور إلا النجم قد لمحا

تغلغل الهجو في أنحاء هيكله
فصار أضحوكة تلهى الذي ترحا

ما صدق الناس إلا ما هجاه به
فرددوا قول من في عرضه قدحا

فصار في عبر التاريخ تلهية
كأنه ما سما يوماً وما طمحا

من بعد ما كان في عليائه ملكاً
رمت به قارصات الهجو فانبطحا

هكذا الشعر يطوي في قلائده
من صال في ملكه دهراً ومن بجحا

فإن تجد منحة للعلم سابغة
ألا ترى الشعر ما أعطى وما منحا

غنى فأعطت نعيم القلب نغمته
كالطير يعطي نعيم الأذن إن صدحا

عظمة الخالق

وعظمة الخالق جل شأنه وتباركت أسماؤه وصفاته تظهر للمتدبر والمتفكر في كل شيء.. فالذي يقف في سهل من الأرض يتوسطه جبل عظيم الارتفاع، لا بد أن تظهر له عظمة الله في نصب ذلك الجبل وتثبيته وضخامته.. وإن هو أرسل طرفه من سفحه إلى قمته ورده من قمته إلى سفحه فسيذكر قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝﴾ [النبأ: ٦، ٧].

وقد يدخل غاراً من غيران ذلك الجبل فيرى فيه فتحة صغيرة تدخل منها الشمس في هيئة عمود ضوئي يكشف للعين من خلاله ما في الفضاء من خردل وهباء متطاير، فيدرك من خلال تلك الأجسام الضئيلة عظمة الخالق، ويرى بعينه حقيقة قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ۝﴾ [الفرقان: ٢٣]، ويدرك معنى ما أشار إليه تعالى في قوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ۝﴾ [الواقعة: ٤ ـ ٦].

وقد يمسك بكأس مملوءٍ لبناً فيرسل فكره باحثاً عن الكيفية التي استخلص بها هذا اللبن من جسم الأنثى التي حلب منها، فيرى فيه عظمة الله ويذكر قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ۝﴾ [النحل: ٦٦].

وقد يلعق من العسل لعقة فتنقله لذة طعمه إلى التفكير في مصدره فيجد حكمة الله وعظمته ماثلة في استخراجه من النحل فيذكر قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ



﴿شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٦٩﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩].

وقد يدع الإنسان التفكير في كل ما حوله من الأشياء، ويرجع إلى نفسه التي ألهمت المقدرة على التفكير في ضخامة الجبل وضآلة الهباءة، فيجد عظمة الله ماثلة في مقدرته على التفكير في هذه الأشياء وغيرها مما في هذا الكون من مخلوقات تكمن عظمة الله في الإحاطة بها..

شعراً. يقول محمد مصطفى البسيوني في أبيات نشرتها مجلة «منبر الإسلام» العدد ٤، السنة ٤٩ ربيع الآخر ١٤١١هـ:

هل كان إلا ما تقول وتفعل
أو بعد ذاتك آخر. أو أول

يا قاضياً في الكون عدلك مطلق
هل غير حكمك يا إلهي.. أعدل؟!

يا عالماً أخفى من السر الذي
في كل ما يطوى الخفاء.. ويشمل

يا نافخاً سر الحياة بأعظمي
روحا أعيش بها.. وعنها أجهل

ترعى الهباءة في فضائك مثلما
ترعى الجبال الراسيات وتحمل

يا خالقاً قلبي وعقلي فتنة
هذا هوى يغري وهذا معقل

يا مخرجاً من بين فرث ودم
بيديك أحلى ما يذاق.. ويؤكل

يا أوحداً أبدعت كونك واحداً
تتألف الأضداد فيه فتكمل

سؤال مبصر وإجابة أعمى!!

وبعض الناس يستوقف الشعراء العمي عندما يقرأ لهم غزلاً وصفياً فيسألهم: هل ترون ما وصفتم من جمال، وطول وقصر، ورقة وحور، وتورد خدود، وتلألؤ أسنان، وما إلى ذلك من الأوصاف التي ترسمها العين المبصرة في الأشعار..؟ فتكون إجابتهم مقنعة؛ كإجابة المبصر.. فهم (أي العمي) يقرؤون الجمال بأحاسيسهم التي يدركون بها جوهر الملوس، وخفايا المحسوس، إدراكاً يرسم الجمال رسماً تصورياً، فيطابق الحقيقة ويلون الصورة بألوان يستمدونها من مستودعاتهم السمعية...

وحكم العمي على الشيء بالسماع والحركة والتصرف يقابل في المفهوم التشبيهي الذي يعللون به مقدرتهم على رسم الصورة، المثل القائل: (الرسالة تنبئ عن عقل صاحبها)، أو ما معناه ومن الأسئلة التي تبحث عن سرّ إصابة الشعراء العمي لوصف الجمال وصفاً دقيقاً لا تدركه إلا العين المبصرة، سؤال وجّه لمظفر بن جماعة الضرير.. فصاغه ابن جماعة في الأبيات التالية:

قالوا عشقت وأنت أعمى
ظبياً كحيل الطرف ألمى

وحلاه ما عاينتها
وتقول قد شغفتك وهما

وخياله بك في المنا
م فما أطاف ولا ألما



من أين أرسل للفؤا
د وأنت لم تنظره سهما

ومتى رأيت جماله
حتى كساك هواه سقما

وبأي جارحة صدقـ
ـت لوصفه نثراً ونظما

هذا هو السؤال الذي يتطفل به بعض من لا يعرف مدى امتلاك بعض العمي للأحاسيس المرهفة التي تترجم اختصاصات العين بترجمانِ الأذن وعين التخيل، ولكن إجابة ابن جماعة على هذا السؤال جاءت إيجابية محققة بالتعليل وموصولة بأبيات السؤال، حيث يقول:

فأجبت أني موسوي
العشق إدراكاً وفهماً

أهوى بجارحة السمـ
ـع ولا أرى ذات المسمى

○○○○○

صفة الشعر وما يشبهه!!

والشعراء هم أكثر الناس إحاطة وإلماماً بواقع الشعر ومفاهيمه وهم أقدر الناس على الحديث عن الشعر، وكم سمعنا قولهم: المعنى في بطن الشاعر، ولو أننا مثّلنا الشعر بالدار المتعددة الحجرات؛ فإن نزلاءها بطبيعة الحال هم الشعراء بلا منازع، وعلى هذا فهم أعلم بخبايا تلك الدار وأسرار زواياها.

وقد يطيب لبعض الشعراء محاكاة الشعر نفسه فيجسده أمامه، ثم يأخذ في سؤاله عما بدا له؛ فيستأنس من الإجابة التي يقولها هو على لسان الشعر، وبعض الشعراء يمضي في تصوير الشعر فيلونه بعدة ألوان، ويشبهه بالمحسوسات التي لها تأثير وفاعلية في حياة الناس.. ولا أريد أن أصور كيفية هذا التشبيه، ولدي قطعة جميلة تترجم هذا الغرض... قرأتها في العدد ١١٥ من «المجلة العربية» لشهر ذي الحجة، سنة ١٤١٠هـ، التي تصدر في الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية وهي ـ وأعني بذلك القطعة الشعرية ـ للشاعر عبد الله محمد المساوي من (أبو ظبي) وقد استهلها بإجابة على سؤال وجه إليه عن مفهوم الشعر وواقعه وذلك بقوله:

ويسألني ما الشعر؟ قلت روائع
من الفكر كالغيث الكثيف تجمعا

إذا ما استوت في بعضها البعض كتلة
وأشرق منها البرق والرعد قعقعا

تهاوت على الأوراق دراً ولؤلؤاً
لتصنع بالألفاظ ما كان أروعا



إذا ما استراح الفكر في جو شاعر
تـألـق فـي أفـق الـقـريـض وأبـدعـا

وإن مـر فـي روض بـهـيـج ومـثـمـر
بـه الـزهـر قـد طـابـت رؤاه وأيـنـعـا

ويمضي الشاعر المساوي في تشبيه الشعر بما هو مألوف ومعروف، مما تشتاق له النفس وتطرب له العين، فيقول:

أتى الشعر مثل السلسبيل بكأسها
وإلا كـأزهـار الـربـيـع تـضـوعـا

ومـا الـشـعـر إلا واحـة أو خـمـيـلـة
بـهـا الـمـرء يـلـقـى مـا يـريـد تـمـتـعـا

كفيل بأن يجلو عن القلب غمة
بـهـا الـقـلـب غـمـاً كـاد أن يـتـصـدعـا

○○○○○

الخصومات الأدبية... لا تنطفئ جذوتها

وصاحب القلم الدري، والفكر الحي، هو ذلك الذي يترك أثراً يتجادل فيه الناس، وينقسمون فيه على أنفسهم بين مؤيد له ومعترض عليه والغريب في الأمر أن التحاور الأدبي لا يحصل بين النقاد في كثير من الظروف، إلا بعد أن يرحل من الدنيا صاحب المادة أو الموضوع الذي كان وقود الحوار؛ فلا يكون في القضية التي تلتهب في بعض الأحيان طرف ثالث يحقق الهزيمة بانضمامه إلى أحد المتحاورين.

ولو أردنا استعراض أعلام الفكر وما خلفوه من أدب صار ميداناً لمعارك طاحنة بين أقلام المعارضين والمؤيدين له؛ لاحتجنا إلى وقت طويل وصفحات مستقلة لا تحصر في ثنايا كتاب عادي.

ولو أردنا أن نسوق مثالاً لمعارك النقاد؛ فإن أقرب ساحة ننظر إليها: هي فلسفة أبي العلاء المعري المندفنة في شعره، ونثره.. كما لا ننسى المحاولات الحامية الوطيس التي يتصاعد دخان لهبها بين الحين والآخر بين أنصار المتنبي وخصومه.

ويكاد الشاعر المعاصر أحمد شوقي يدخل بمؤيدي ومعارضي مبايعته على إمارة الشعراء، في معارك قد لا تصل إلى نقطة نهاية معينة كيف لا، ونحن قد قرأنا في الآونة الأخيرة رأياً منطلقاً من الشاعر والأديب معالي الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي يعارض في تلقيب الشاعر أحمد شوقي بأمير الشعراء، ويرى إعادة النظر في حذف هذا اللقب لأنه يرى أن هناك محاباة قد حصلت في تلقيبه إذ أن هناك من بين معاصريه من هو أحق منه بهذا اللقب..

ولم يمض طويل وقت على قراءتي لهذا الرأي من أديبنا وشاعرنا



معالي الدكتور القصيبي حتى قرأت قصيدة منشورة في مجلة «الشرق» التي تصدر من الدمام في المملكة العربية السعودية، في العدد ٥٣٨، ثمانية رجب سنة ١٤١٠هـ، للشاعر السعودي المعاصر سعد العوفي فأوحت إليَّ أبياتها بأنها رد على كل من ينتقص حق شوقي أو يستكثر عليه الإمارة.. من تلك القصيدة قوله:

عتاب وهل في حاضر الشعر معتب؟
وشكوى جنوح حار فيه التطبب

أرى كل يوم حول قبرك محفلاً
يكر بخيل واهنات ويجلب

ولو كنت حياً صدهم عنك زاجر
من الرعب. والقرن العصامي مأرب

ومنها قوله:

وتطعن في حق الأمير عصابة
بذمك للغزو الثقافي تدأب

ومنها قوله:

لقد قيل: إن التاج وافاك غلطة
وأولاكه دون الأنام التعصب

فقلنا لهم: لا يمنح التاج خلعة
وما شاده شوقي هيهات يوهب

ولو لم يبايعك الفحول لخلدت
قوافيك تاجاً لا يضاهيه معصب

ومنها قوله:

يعزّ علينا أن تهان كرامنا
إذا غودروا تحت الجنادل حوربوا

نجد والشعراء

ولا أجد شيئاً أيسر من الدخول إلى الحديث عن نجد.. لا لأنها ذات مسالك برية ورياض غنٍ وجبال مشمخرة عالية، وإنما لكونها مهد الشعراء ومربط الفصحى؛ فبجغرافية أدبها وتضاريس فصاحتها تغنّى الشعراء.. سواء الشعراء النجديون الذين استلهموا شعرهم من صفاء جوها، وشميم عرارها، وتفتح أقحوانها، وعبير خزاماها ولطافة ليليها..، أو الذين سمعوا عشق شعراء نجد لنجد فحرك فيهم صادق الوصف لهوائها، ومرابعها، وألويتها، وجبالها كامن الشوق؛ فأخذوا يجارون شعراءها في التوجد على مسامرة النجوم على أطلال منازل عنترة وامرئ القيس، والأعشى، وذي الرمة، وغيرهم من الشعراء النجديين الذين ملكوا مقاليد الشعر وخاطبوا به العقول أيما مخاطبة. ونجد التي هي بمثابة واسطة العقد في الجزيرة العربية كانت مرتعاً للأبطال، وموطناً للأعلام والعلماء الأفذاذ الذين عجزت الأقلام عن وصف بطولاتهم وتقصي مناقبهم وذكر أفعالهم، وما زالت تلد من النجباء من تشير إليه الأكف العالمية إشارة التقدير، والإجلال.. وحديث العالميين عن نجباء نجد وأبطالها لا يخلو من القول: هؤلاء الأشبال من أولئك الأسود، والحقيقة أنه ما من شاعر نجدي سواء كان فصيحاً أو عامياً إلا وخص نجد بقصيدة يشيد فيها بطبع أهلها المكتسب من طبيعتها.

وهذا واحد من أبناء نجد الشعراء يسكب رحيقاً من الذكريات في كأس من الأبيات الشعرية؛ فمن يا ترى هذا الذي شارك مئات الشعراء في الإشادة بواقع نجد، وناجاها مناجاة استعاد خلالها شيئاً من ذكريات

ملاعب الصبا في ضوء القمر، وتحت ظلال الغيوم والمطر إنه الشاعر الدكتور محمد بن سعد بن حسين الذي يقول من قصيدة له:

غدا حيث أفواح العصافير تغتدي
ويسعدنا أنا بلغنا المنى وخدا

نسابق أطياف الصبا في ملاعب
تناهي بنا فيها هوى يمقت البعدا

ويهتاج فينا نشوة يعربية
عرفنا بها أن المنى أن نرى نجدا

بلاد بها التاريخ تزهى سطوره
إذا ما روت أسفاره الجود والمجدا

وترويه أسفار المعالي معالماً
عرفنا به ما قد طوى الدهر أو أبدى

فيا نجد ما لام المحبين عارف
بفعل الهوى إن مازج الروح والكبدا

ويا نجد أيام المحبين قصة
صبغنا بها القيصوم والنفل والرندا

وهامت على هام الروابي قلوبنا
تناجي زماناً سالفاً أنبت الوجدا

○○○○○

تاريخنا في رفرف الضاد لا يبلى

ولقد كانت اللغة العربية وما زالت هي الهدف الذي تشن عليه غارات أهل الكفر والضلال من أعداء المسلمين، لعلمهم أنها هي أساس الوحدة وهي عماد الاتحاد.. وحينما تعييهم المحاولات المكشوفة التي يستهدفون بها هدم كيان اللغة، لا يستولي عليهم اليأس؛ بل يأتون بأفكار وأساليب جديدة يقصدون بظاهرها تهذيب اللغة العربية وتسهيلها، وذلك بإدخال اللهجات العامية عليها حتى تكون في يوم من الأيام، ولو على المدى البعيد لغة دارجة يسهل عليهم صرف أهلها عنها، وحملهم على استبدالها بغيرها.. ولكنهم يتضاءلون أمام سياجها المنيع.. وكيف لا ينخذلون أمام شموخها وقد قطع الله جل شأنه وتباركت أسماؤه وصفاته، عهداً على نفسه بحفظ كتابه المبين، وحفظ القرآن الذي هو بلسان عربي مبين، هو في حد ذاته حفظ اللغة العربية، ولهذا فنحن على يقين ثابت بأن لغتنا باقية ما بقي القرآن الكريم بين أيدينا رغم أنف أعدائنا، وأن الله سيجعل من أقلامنا سيوفاً تخرس ألسنتهم وتقطع شفاههم إن هم أساؤوا إلى لغتنا.

ونحن نرى ونسمع بين كل حين وآخر ما يحصل من انتصار للغة العربية على كل أصبع تشير إلى العبث بها.

ولا أقول إن الشعراء هم أكثر تيقظاً من غيرهم الذين أستطيع القول بأنهم نذروا أنفسهم لحمايتها، والدفاع عنها، لكنهم لهم وقفات يسجلون من خلالها الدسائس التي يحاول بها أعداء اللغة العربية تخريب قواعدها وهدم بنيانها، الذي لا يماثله أي بنيان في أي لغة من لغات

العالم لا من حيث الجمال اللفظي ولا الكمال البديعي، وإنما من جميع المحاسن بدءاً بالتركيب ومروراً بالمرادفات وانتهاءاً بجمال الموسيقى اللفظية.

وللشاعر السعودي المعاصر الدكتور محمد بن سعد بن حسين وقفة منافحة عن اللغة، قد جاءت في قصيدة له عنوانها: «تراث» منها قوله:

إذا العجز أضنى أهله فهو حجة
على جهلهم يلقى بأقوالهم غلا

ويشفي صدوراً لم تزل في ظلامها
تبيت للفصحى وتقتاته غلا

أمانيهم أن يصبح اللحن سنّة
نباهي بها إما دعينا إلى الجلى

وأن تصبح الفصحى تفاهات عاجز
يلوك بها من قوله ماله أبلا

وأن يبصر الأقوام منا فصيحهم
بمالاك من قول على فنهم كلا

وهيهات والذكر الحكيم بمرصد
وقول الحبيب المصطفى ينفض الملا

لنا من جلال الضاد عز ورفعة
وتاريخنا في رفرف الضاد لا يبلى

وفي اللحن عجز وافتقار ومنطق
رخيص إذا رب المقال له أغلى

ooooo



رأي في الصحافة وأسرها!!

وقد تستولي الحيرة على من يريد التحدث عن الصحافة في عصرنا هذا فلا يدري من أين يبدأ الحديث عنها.. أعن بعض الصحف التي يخيل إليها أنها تعملقت، وهي لا تدري أنها تسبح في الوحل؟!!. أم عن الأقلام التي لازمت بعض الصحف وثبتت فيها ثبوت الأصابع في الكف، فلا تزحزح عن مواقعها والأعمدة التي سيطرت عليها قيد أنملة، فصارت تلك الصحف مراوحة مكانها بسبب استمرارية هيمنة تلك الشلة عليها؟!! أم عن العنصرية المسيطرة على بعض الصحف، والتي طحنت رحى الأيام أفكارها فما وجدت طحيناً يسد جوع القارئ المتطلع لآفاق الثقافة والمعرفة، وإنما هي جعجعة سطحية مكرورة أفقدها التسطح والتكرار والتعنصر سمو المعنى الذي يطمح إليه القارئ؟!!.

أم عن بعض الصحف التي أعمى حب الذات أسر تحريرها فاستكتبت أقلاماً وافدة أو مستوفدة، وفضلتها على الأقلام الوطنية اعتقاداً منها بأن الأقلام الوطنية إذا ما برزت صارت مصدر تهديد لإسقاطها، وأن استقطاب الأقلام الأجنبية أمناً لها من الانقراض، حيث أن الأقلام الأجنبية لا تتمكن من المنافسة، ثم المطالبة بإعطاء الألوية في قيادة الأسرة للاحق بها، هذا بالإضافة إلى أن رهافة ثقافة الأقلام الوافدة التي نفتها صحف بلدانهم تجعل تلك الأسر في الخيار في نشر أو رفض ما تساهم به تلك الأقلام، حيث لا خشية ولا خوف من سؤال عن سبب عدم النشر.. ثم أن تلك الأسر تعتبر المادة التي تنتجها تلك الأقلام مادة مساندة لخزعبلاتهم؛ فإذا ما تصحرت أفكارهم وجف رافد خزعبلاتهم عوضوها بذلك الرصيد البعيد عن حياتنا الأدبية،

وإن أثروا من الثرثرة وتركوه ولا أحد يسألهم لماذا تركوه، وللشاعر السعودي المعاصر سعد العوفي قصيدة تحكي جانباً من واقع الصحافة العربية وقد ضمنها تساؤلات ورأياً وإشارة تطابق بعض ما أشرت إليه آنفاً منها قوله:

حاورته وبصدق في خميلته
وللحقيقة في أقواله زخم

قلت الصحافة شيء لا بديل له
لولا الصحافة ساد الضيق والسأم

إذ قال ما النفع فيما لا غناء به
بعض الحقائق في إخفائها ألم

من طلق الصحف هل ماتت ثقافته؟
إني لها... ثم قل ما شئت أتهم

ومنها قوله:

كم جاء قبلي من يرثي لحالتها
لكنه بات يدعو من به صمم

أهوى الصحافة إن جاءت معبّرة
وأصطفيها إذا ضاعت بها الكلم

وأكره الغث والإسفاف تؤثره
حتى تساوى لديها الصدق والعدم

متى ترى القول حقاً لا مراء به
له الملايين إثر النشر تحترم

○○○○○

استنطاق الخيال ومحاورته!!

والحوار بصفة عامة يعدّ زاوية من زوايا الأدب التي يخيم عليها في بعض الأحيان هدوء تعشقه النفوس وترتاح إليه..، لكنه يكتنف تلك الزاوية في الأحيان الأخرى عواصف وزوابع تذهب باستقرارها وتبدد هدوءها.. فينصرف الناس عنها وتخلو ساحتها من روادها.

وإذا ما استبعدنا كتاب القصة والمسرحية من المقارنة لاستبيان، أي أصحاب الأقلام أكثر تعلقاً بأسلوب الحوار، وجدنا الشعراء هم أكثر من جعل الحوار منهجاً يحققون به تجلياتهم، فيحصل لهم الإبداع في تصوير الرؤية الخيالية.

والشاعر الذي يكون لهذا المسلك أثر في شعره، لا بد أنه ينصب خيالاً أمامه فيستنطقه. ويأخذ منه ويرد عليه في أسلوب شيق طري اللفظ ورقيق العبارة، فلا يمل من محاورة ذلك الخيال حتى تنتهي القصيدة وفقاً للخطة التي رسمها وقصد بها بلورة الموضوع واستكمال الجوانب التي يرى لإبرازها معنى وضرورة.

وأكثر الذين يميلون إلى منهج الحوار هم من شعراء الغزل لأن الخيال في ميدان الغزل يكون أكثر تنقلاً وأسرع استجابة حينما يصل همس الشاعر إلى أذن ذلك الخيال المنصوب.

والحقيقة أن للشعر الذي يتضمن الحوار متعة وذوقاً متميزاً، خاصة إذا كان شاعره يرسل ويستقبل من الأشياء ما يندرج تحت مفهوم (السهل الممتنع) ومن تلك الحوارات الشعرية الجميلة ما رواه الشاعر السعودي المعاصر حسين سرحان لنفسه قال: كنت في جزر الهاواي فكتبت



قصيدة في تلك الجزر، وفيها خاطبت فتاة لا تعرف اللغة العربية، وقد سألتني: أنت أرابي؟ أي: عربي. فأجبتها بنفس العجمة قائلاً: أجل أرابي. ومن تلك القصيدة التحاورية يقول حسين سرحان:

تبسمت المليحة وهي تزهو
وقالت قد أطلت من الثناء

فمن أنا يا ترى بالله قل لي
وعيناها تشع من الذكاء (أرابي)

(أرابي) أنت قلت: أجل (أرابي)
ومن بلد الكرامة والإباء

بلادي قبلة الدنيا أجابت
ورأس المال أيضاً والعطاء

ثم سألها عن حالتها الاجتماعية فأجابته:

س: متى تبنين عشك في هواي؟
ج: لعمري من يشاطرني البناء

متى أجد الشريك بنيت عشي
على أسس المحبة والولاء

ألم تجديه حتى الآن قالت
أراني قد قربت من اللقاء

ثم يصور حديثها المفصح عن حبها بقوله:

أحبك للمحيط وما حواه
بأعظم من هواي ولا هوائي

○○○○○

لسان الشاعر سكين ذات حدين

وإذا كان هناك اتفاق على أن ألسنة بعض الشعراء تشبه السكاكين ذات الحدين؛ فإنه يجب على من يتعامل مع أي من أولئك أن يركب الحذر، ويتقي جانب الخطر فلا يكون عرضة لهم حتى لا يقلبوا له ظهر المجن كما يقال، ويعكسوا آيات مديحهم له ويحولوها إلى ذم وشتيمة وتعريض بما يسيء ويخزي.

ومن منا لم يقرأ نكوص كثير من الشعراء في مدائحهم واستبدالها بذم وهجاء مقذع؟، وليس أدل على ذلك من فعل المتنبي مع كافور الأخشيدي حينما أطلق لسانه في مديحه، ولما لم يحقق به الهدف الذي يصبو إليه نقض ما فتل كما يقون، ونفش ما غزل، وقبل المتنبي سلك الحطيئة هذا المسلك، وتفنن في الهجاء حتى صار أسلوباً جعل منه وسيلة تفرض عدم التهاون في إكرامه واحترامه، الأمر الذي جعل بعض العرب يشترون وده ورضاه ويبالغون في إكرامه.

ونعود إلى موضع الشاعر الذي يمدح ثم يهجو ممدوحه عند أقل الأسباب، فنرى الحطيئة واقعاً في هذا مع الزبرقان بن بدر وغيره؛ بل مع من كان ينتسب إليهم؛ كبني ذهل أهل القرية، حيث تذكر الرواة أنه أتى إليهم في القرية وهي باليمامة فقال فيهم:

إن اليمامة خير ساكنها
أهل القرية من بني ذهل

الضامنون لمال جارهم
حتى يتم نواهض البقل





قـوم إذا انـتـسـبـوا فـفـرعـهـم
فـرعـي وأنـبـت أصـلـهـم أصـل

فسألهم ميراثه فأعطوه نخلات من نخل أبيهم تدعى نخلات أم مليكة فلم تقنعه النخلات، وقد أقام فيهم زمناً فسألهم ميراثه كاملاً. فلم يعطوه شيئاً فغضب عليهم وقال:

تمنيت بكراً أن يكونوا عمارتي
وقومي وبكر شر تلك القبائل

إذا قلت بكري نبوتم بحاجتي
فياليتني من غير بكر بن وائل

فعاد إلى عبس وانتسب إلى أوس بن مالك.

وليس بمستغرب من الحطيئة هذا الهجاء لأقربائه إن صحت قرابته لهم، وهو الذي هجى نفسه وأمه، بل إنه هجا أباه بقوله:

لـحـاك الله ثـم لـحـاك حـقـاً
أبـاً ولـحـاك مـن عـم وخـال

فـنـعـم الـشـيـخ أنـت لـدى مـخـازي
وبـئـس الـشـيـخ أنـت لـدى الـمـعـالي

جـمـعـت الـلـؤمَ لا حـيّـاك ربِـيّ
وأبـواب الـسـفـاهـة والـضـلال

○○○○○

تجديد النغمة الأصيلة في الشعر الحديث

وللشعر الأصيل نغمة خاصة وجرس تعرف أصواته ورنينه العذب أذن العاشق المتذوق للشعر، ويميزه عما سواه من أصوات الأجراس الشعرية الحديثة التي تنفر الأذن من سماع الكثير منها، أبسط النقاد وأقلهم معرفة بالنقد.

والنغمة التراثية الأصيلة الرابضة في أحضان القصائد القديمة إذا وجدت مجدداً حاذقاً يعرف كيف يربطها بالشعر المعاصر، أيقظت في القصيدة الحديثة التي تشتمل عليها روح الشعر الحقيقي الذي تهز فصاحة ألفاظه ورنين عباراته أوتار العواطف النفسية، وتحرك داخل النفس تفكيراً في البعد الذي كاد أن ينفلت من السلسلة الثقافية التي تربط بأصالتها المتوارثة التراث الأدبي الأصيل بواقع ثقافتنا المعاصرة.

وإني أعد الذي لا يقرأ قصيدة فيها نفس من التراث الأدبي الأصيل، سواء كان في قافيتها ذات اللحن الموسيقي الجميل أو في موضوعها الذي يتمازج في تكوينه الواقع بخيال الشاعر، أو في جودة البناء الذي يصعب على كثير من شعراء العصر تقليده. أقول: إني أعده كالحلقة الواهية التي تسبب انفصال السلسلة التي يجب أن تربط الأدب الماضي الأصيل بالمعرفة المعاصرة.

ومما أطربني من النظم الحديث الجيد الذي تشتم منه رائحة الشعر العباسي الذي يفوح بشذى الأصالة، قصيدة نشرتها جريدة «الندوة» السعودية، في عددها ٩٥٤٢، الأحد ١٧ ذي القعدة، سنة ١٤١٠هـ، للشاعر حيدر مصطفى بعنوان: «يا سائق الظعن» وعدد أبياتها ٣٣ بيتاً، منها قوله:

يا سائق الظعن عرج بي على وطني
عَلّي أخفف من همّي ومن حزني

أمسيت لا الدار دار البعد تؤنسني
ولا المقام على اللأواء يفرحني

ناءٍ عن الأهل والأصحاب ما برحت
لواعج البين في نفسي تؤرقني

ليت الزمان الذي قد بان لم يبن
وليت ما كان يا أحباب لم يكن

أحرى بعيني أن تجري مدامعها
على زمانٍ مضى أو منظر حسن

إني رأيت النوى والهجر مغلبة
للصبر مجلبة للوجد والشجن

فلا تلمني إذا دمعي جرى كمداً
وآل عيشي للضراء والوهن

فبي من الهمّ ما أبقى به زمانا
أشكو ومالي غير الله من سكن

○○○○○

الميراث المغزو

ورث أحدهم ثورة طائلة وتزوج امرأة جميلة ذات أدب وخلق، لكنه ما لبث أن أصيب بداءٍ عضال ألزمه الفراش وطالت مصارعته للمرض. وقد ترقب فئة من أهل قريته موته، بل ربما سأل بعضهم الله سراً أن ينزع روحه، لا لأذى مسهم منه ولكن للطمع فيما سيخلفه من ثروة وزوجة.

والفئة التي تمنّت موته منقسمة بحكم أمانيها إلى قسمين: قسم يريد من موته الزواج بامرأته من بعده لجمالها وخلقها وآدابها، وقسم يريد أن يتزوج امرأته ليستولي على ما سيؤول إليها من إرث عظيم وثروة يتنعم بها، ولهذه المقاصد الدنيئة عاش أفراد تلك الفئة فترة طويلة عزاباً في انتظار موت ذلك الرجل صاحب الثروة العظيمة والمرأة الجميلة.

وبعد سنوات عديدة من طول انتظارهم لموته شاع خبر وفاته، وما أن سمعوا بذلك الخبر حتى انطلقوا كالذئاب الجائعة بل المسعورة، كل منهم يسعى لتحقيق رغبته من خطبته لزوج ذلك المريض الذي طال انتظارهم لوفاته.

فصار كل واحد منهم يظهر لها أثناء خطبته لها أنه الرجل الذي سيقوم على مصالحها وتثمير أموالها إن هو تزوجها، وأنه الرجل المصلح الذي له علم ومعرفة في مجال الاقتصاد وله دراية بسياسة التجارة.

ولقد رسم الشاعر التونسي حسين الجزيري هذه الصورة التي تبرز في المجتمع بأشكال وأحجام مختلفة، وأهداف قد تكون متعددة بحسب



الحالة الاجتماعية للفئات التي شكلت دعامة لهذه الظاهرة، وذلك في قصيدة عنوانها: «الأرملة الوارثة» منها قوله:

(أيا ربة الخدر التي أذهبت نسكي
على كل حال أنت لا بد لي منك)

فذلك قولٌ قاله غير واحد
لوارثة كل إليها أتى يبكي

يقول خذيني دون غيري فإنني
سمعت بأموال تخصّك في البنك

وإني غيور على حقوق ضعيفة
نظيرك كل الحيف أدفعه عنك

فزيد وعمرو ثم بكر وخالد
تمالوا عليها كالذئاب على الكعك

وما فيهم من كان يبغي حليلة
ولكن هذي كالعصيدة في الحنك

يقولون مجنون يهيم بحبها
وما هام إلّا بالدراهم والملك

وما هو إلا طامع في ثرائها
يبيت ويمسي بالذي عندها يحكي

○○○○○

الدهر يقسو على الكرام ويتعامى عن اللئام!!

ونوازل الدهر وفواجعه ليست مقصورة على فئة دون أخرى من الناس، ولا هي موقوفة على بلد دون آخر من البلدان، لكن فلسفة تأثيرها على من تقع عليه هي التي تحدد حجم الضرر وتصور شكل المأساة، وبالتالي تكون صورة الملاحظة منصبة على من يصاب بها من أصحاب الشهرة وأجلاء الناس وخيارهم، كما أنه لا يكون هناك تأثير بوقوعها على الأشخاص العاديين بقدر ما يكون هناك تألم من وقوعها على خاصة الناس وعليتهم، وكم من أناس مستهم نوازل الدهر وفواجعه وما شعر الناس بشعورهم وتأسوا بمصابهم؛ لأنهم كانوا في منأى عن الأنظار إما لفقرهم وعدم احتياج الذين يمثلون وسائل الإعلام إليهم، أو لعدم التفات الناس إليهم لبخلهم بما في أيديهم أو للؤم طبعهم في تعاملهم.

والشعراء يصورون الساحة التي تجتاحها نوازل الدهر ومصائبه فيذكرون قسوة الدهر على من كان لهم عنده أياد بيضاء، ويكون منهم التوجع والتألم لما أصاب صاحب الشهرة، كما يكون منهم السكوت على كل مصاب ليس لهم عنده أيادي تشفع له شفاعة تحرك فيهم الشعور نحوه، ولهذا نجد كثيراً من الشعراء ينحي باللائمة على الدهر ويتهمه بالحيف في صب مصائبه على الكرام، والتعامي عن اللئام فتصفو الحياة لهم بينما يعايش كدرها الأحرار وكرام الناس.

ولقد قال الأمير أبو الفضل عبيدة بن أحمد الميكالي قصيدة بهذا الخصوص ذكرها الثعالبي في كتابه الشهير «يتيمة الدهر» الجزء الرابع، من تلك القصيدة قوله:

يا دهر ما أقساك يا دهر
لم يحظ فيك بطائل حر
أما اللئيم فأنت صاحبهم
ولهم لديك العطف والنصر
يبقى اللئيم مدى الحياة فلا
يرتاع منه لحادث صدر
تصفو له الدنيا بلا كدر
ويطيعه في عيشه اليسر
فمرامه سهل وكوكبه
سعد وغصن سروره نضر
وعلى الكريم يدٌ يسلطها
منك الجفاء المر والقسر
إن ناب خطب فهو عُرضته
يفريه منه الناب والظفر
أو يبغ معروفاً لديك غداً
ينحي عليه حادث نُكر

○○○○○

لو علم القط أن صاحبه شاعر لالتزم بآداب الأكل

كان للشاعر التونسي حسين الجزيري قط أكول لا يشبع ولا يعف ولا يكف عن أي شيء من المأكولات.. فهو يلتهم كل ما يقدم له أو ما يحصل عليه خلسة، ولو علم هذا القط أن صاحبه شاعر سيفضح أمره ويشهر به بين ذويه من القطط للزم الأدب وصار وسطاً في أكله.. لكنه جهل صاحبه فأساء الأدب في الأكل، فما كان من الجزيري إلا أن صنع فيه قصيدة جعل عنوانها: «قط أكول» واستهلها بقوله:

لـدي قـط بـفـرط الأكـل مـفـتـون
فـلـيـس يضـبـطـه في الـعـيش قـانـون

ثم راح يصف شراهته، وأنه لا يشبع أبداً مهما أعطي من الأكل، فهو يلحس المواعين ويتتبع ما فيها من فضلات:

يأتي المواعين بعد الأكل يلحسها
فـلـيـس يـفـلـت ما يـحـويـه مـاعـون

وحـيـن تـوضـع بـيـن الأهـل مـائـدة
تـقـول لا شـك هـذا الـقـط مجـنـون

تـراه يـهـتـز كـالـشـيـطـان من لـهـف
كـأنـه بـعـد هـذا الـحـظ مـغـبـون

وبعد أن وصف حاله عندما تقدم المائدة ويشم رائحة الأكل بالمجنون الذي لا يحسن التصرف فيما يفعل؛ بل إنه كالشيطان في

الالتقام والشراهة، يذكر مهارته في التقاف الخبز الذي يمد له وسرعة مضغه له، وكيف لا يزدرد الخبز بالسرعة التي وصفها الجزيري وهو يقول عنه: إنه يلتهم العظام وكأنما فمه طاحونا:

يلقف الخبز من كفي مزدرداً
بغير مضغ كأن الخبز معجون

وليس يعجزه طحن العظام فما
تقول إلا له في الفم طاحون

وتبلغ به الشراهة درجة لا يشبع معها على الإطلاق:

لا الخبز يشبعه، لا العظم يقنعه
لا القدر يرجعه لم يرضه الدون

ويبدي الجزيري تذمره من ذلك القط الذي قال عنه أنه أرهقه بتأمين الخبز له:

لكنه بطلاب الخبز أرهقني
ولست ممن لديه القمح مخزون

وهذا البيت هو بيت القصيد فيما يبدو.

○ ○ ○ ○ ○

في دائرة الشاعر!!

ولو قدر لنا أن ندخل دائرة خيال الشاعر الذي يتحسس مشكلات عصره؛ لوجدناها مملوءة بالأقوال الصادقة التي تمثل جميع الوسائل الإيضاحية والعلاجية والتثقيفية والترفيهية. ولوجدناه يصف لكل حالة ما يناسبها.

والشاعر بطبيعة الحال لا يملك من وسائل معالجة مشكلات مجتمعه إلا القول.. ولهذا فإن هناك كثيراً من الشعراء اهتم اهتماماً بالغاً بما يعاني منه مجتمعه من ظروف قاسية؛ فجعل جلّ شعره منصباً على طرح القضايا التي يعاني مجتمعه من ثقل وطأتها، ولهذا فهو يناقشها بأسلوب يلفت انتباه من يستطيع المساهمة ويملك الحل بالطرق العملية.

ومن نماذج طرح القضايا والمشكلات الاجتماعية، ومناقشتها بلغة الشعر ما عرضه الشاعر التونسي حسين الجزيري في صفة حال الغني الذي استنطقه، فقال أبياتاً منها قوله:

مرضي بعد موسم العيد ناشئ
من نزولي على لحوم الكباش

كثر اللحم عندنا فأخذنا
نكثر الأكل مثل أكل الجحاش

شبعة فانبشامة فزكام
فسقام فرقدة في الفراش



ومنها قوله:

إن أكل الشحوم من غير ضبط

يجعل البطن كالموازب ماشي

وهذا قول بلغ من البساطة وسلامة الأسلوب ما جعله في غنى عن الشرح والتعليق إلا من قولنا: هو السهل الممتنع.

ثم يأتي الجزيري إلى الفقير فيستنطقه ويسأله عما قال في الفقر، فيكون جوابه معاكساً لما قاله الغني، وذلك في أبيات منها قوله:

شبع الناس يوم عيد الكباش

وأنا كنت حائراً في معاشي

ومنها قوله:

وبكى الابن قائلاً أين كبشي

قلت خذ صفحة من الخشخاش

نحن قوم معودون بلحم

من بحار كالحوت والأحناش

هكذا هكذا أعيش لأني

لست ممن يبيح خطف الشواشي

وكأنما الجزيري في وضع هذه المناظرة يقول لنا: قولوا لذلك الغني الذي يشكو من التخمة: أعط من زادك ذلك الفقير الذي لا يملك ما يشتري به لحماً لابنه، لتكسب أجراً من ناحية، ولتخفف على معدتك من ناحية أخرى، ولتضمن سلامة جسمك من الأمراض التي تنشأ بسبب التخمة.

ooooo

الدعوة إلى العزوبية دعوة ضالة!!

إن الدعوة إلى العزوبية وتحبيذ الاستمرار عليها بتعليلات واهية.. ما هي إلا دعوة ممقوتة في الإسلام، ومحاربة من قبل ذويه، كيف لا وهذا سيد المرسلين نبينا محمد ﷺ يقول فيما رواه النسائي وأبو داود: «تناكحوا، تناسلوا، تكاثروا؛ فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»، وروى أبو يعلى في مسنده أن النبي ﷺ قال لعكاف بن وداعة الهلالي: «ألك زوجة يا عكاف؟ قال: لا. قال: «ولا جارية؟» قال: لا. قال: «وأنت صحيح موسر؟» قال: نعم الحمد لله. قال: «فأنت إذاً من إخوان الشياطين». إما أن تكون رهبان النصارى فأنت منهم.. وإما أن تكون منّا فاصنع كما نصنع، وإن من سنتنا النكاح، شراركم عزابكم وأراذل أمواتكم عزابكم، ويحك يا عكاف تزوج، فقال عكاف: يا رسول الله إني لا أتزوج حتى تزوجني من شئت. قال. فقال رسول الله ﷺ: «فقد زوجتك على اسم الله والبركة كريمة بنت كلثوم الحميري».

والذين يفضلون حياة العزوبية يقفون على طرف نقيض مما دعا إليه خاتم الأنبياء محمد ﷺ فيما تقدم ذكره..، ولو أن الدعوة إلى العزوبية وجدت قبولاً منذ انطلاقها لانقرض الجنس البشري، لكن المنهج الإلهي القاضي ببقاء عمارة الأرض وخلافتها في يد الإنسان إلى أن يأذن بفنائها قد أحبط تلك الدعوة وباء أهلها بالفشل.

والذي جعلني أثير هذا الموضوع وأنوّه إلى فحش خطئه هي قصيدة للشاعر أحمد الصافي النجفي عنوانها: «العزوبة»، والتي تضمنها ديوانه «الشلال»، وفيها دعا إلى العزوبة وعلل دعوته بتعليلات باطلة لا

يقبلها العقل.. وأهمها الخوف من أن يكون المتزوج أباً، فيقرب بتلك الأبوة إلى الشيخوخة، اسمعه يقول في ذلك:

تبقى فتى لو عشت دهراً أعزبا
من يتزوج شاخ حتى في الصبا

يأخذ من عيش الفتى أبناؤه
حتى يضيع العمر بينهم هبا

يبني لهم بيتاً ولكن يفتدي
كيانه مهدماً مخربا

حسبك برهاناً على شيخوخة
لو كنت في العشرين أن تدعى أبا

وليت النجفي اكتفى بهذا التعليل الفاسد الذي قصد به هد كيان المجتمع الإنساني؛ بل إنه راح يسوق تجربته التي تنافي واقع الحياة.. وقد تناقض في منطقه حيث أكد أن العزوبة لم تطرد عنه جيش الشيب الذي اشتعل في رأسه، وذلك بقوله من قصيدته نفسها «العزوبة»:

عفت الزواج ولذا قلبي فتى
مهما رأيت الرأس مني أشيبا

وإن هذا الشيب صبغ كاذب
فحينما أخضبه لن أكذبا

من يدعني جداً لشيبي لم أجب
من يدعني جداً أراني العجبا

أقول قد نادى سواي إن أجد
شيخاً وإلا عابراً قد ذهبا

○○○○○

عبد الملك بن مروان يسأل المدعوين إلى مائدته عن معنى بيت للشماخ

ذكر الأصفهاني في الأغاني خبراً انتهت روايته إلى المدائني، قال: نصب عبد الملك بن مروان الموائد يطعم الناس، فجلس رجل من أهل العراق على بعض تلك الموائد فنظر إليه خادم لعبد الملك فأنكره. فقال له: أعراقي أنت؟ قال: نعم. قال: أنت جاسوس. قال: لا. قال: بلى. قال: ويحك دعني أتهنأ بزاد أمير المؤمنين ولا تنغصني به؛ ثم إن عبد الملك وقف على تلك المائدة. فقال: من القائل:

إذا الاطـــى تـــوســـد أبـــرديـــه
خـــدود جـــوازئ بـــالـــرمـــل عـــيـــن

وما معناه: ومن أجاب فيه أجزناه، والخادم يسمع، فقال العراقي للخادم: أتحب أن أشرح لك قائله، وفيم قاله؟ قال: نعم. قال: يقول عدي بن زيد في صفة البطيخ الرومي. فقال ذلك الخادم، فضحك عبد الملك حتى سقط. فقال له الخادم: أأخطأت أم أصبت؟، فقال: بل أخطأت. فقال: يا أمير المؤمنين هذا العراقي فعل الله به وفعل لقننيه. فقال: أي الرجال هو؟ فأراه إياه. فعاد إليه عبد الملك، وقال: أنت لقنته هذا؟ قال: نعم. قال: أفخطأ لقنته أم صوابا؟ قال: بل خطأ. قال: ولم؟ قال: لأني كنت متحرماً بمائدتك فقال لي: كيت وكيت، فأردت أن أكفه عني وأضحكك. قال: فكيف الصواب؟ قال: يقول الشماخ بن حزار الغطفاني في صفة البقر الوحشية قد جزئت بالرطب عن الماء. قال: صدقت. وأجازه. ثم قال له: ما حاجتك؟

قال: تنحي هذا عن بابك فإنه يشينه. وصدر القصيدة التي تضم البيت السابق:

كـلا يـومـي طـوالـه وصـل أروي
ظـنـون آن مـطـرح الـظـنـون

ومـا أروي وإن كـرمـت عـلـيـنـا
بـادنـي مـن مـوفـقـه حـرون

تـطـيـف بـهـا الـرمـاة وتـتـقـيـهـم
بـأوعـال مـعـطـفـة الـقـرون

ومـاء قـد وردت لـوصـل أروى
عـلـيـه الـطـيـر كـالـورق الـلـجـيـن

ذعـرت بـه الـقـطـا ونـفـيـت عـنـه
مـقـام الـذئـب كـالـرجـل الـلـعـيـن

فـسـل الـهـم عـنـك بـذات لـوث
عـذافـرة كـمـطـرقـة الـقـيـون

ويقال: إنَّ البيت الأخير للمثقب العبدي، وفي القصيدة أبيات امتدح الشماخ بها عرابة وقد تقدم ذكرها.

ooooo

من هو الشاعر المضاع؟!!

والشاعر الذي قال عن نفسه إنه مضاع هو ذلك الذي خلد له الزمان قوله:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

فيا ترى من هو هذا الشاعر؟.. إنه الشاعر العرجي، واسمه عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، هكذا جاء هذا التعريف في مقدمة ديوانه الذي حققه الأستاذان: خضر الطائي ورشيد العبيدي، نقلاً عن صاحب «القاموس»، والمبرد، وابن الأثير.. ثم عقبا ذلك بقولهما: ويظهر أن في النسب نقصاً إذ المعروف بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان شخص آخر، وذكرا أن الزبيدي قال في تاج العروس: «وجاء في بعض النسخ أن العرجي هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان» وهو ما ذكره صاحب الأغاني..، أما ياقوت. فذكر أنه رفع النسب إلى أب آخر، فقال: هو عبد الله بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان.. ثم قالا: وأجمع المؤرخون على أن العرجي أموي من قريش وإنما لقب بالعرجي نسبة إلى ماء له، يقال له: العرج نحو الطائف، وذكر البكري، أن وادي العرج يدعى المنبجس..، وقد أطال محققا الديوان الوقوف عند نسب العرجي؛ لأنه لم يشر في قصائده إلى أهله من قريب أو بعيد ولا تسجيلاً لحوادث أسرته..، ويذكر أن العرجي لم يفلح في السياسة لينال بها الإمارة والرئاسة فأخذ يستثمر ضياعه في عرج.. وقد اتهم بقتل مولى لعبد الله بن عمر.

أما نهاية حياته فقد قبض عليه وعلى آخر كان يخادنه يدعى الحصين بن غرير الحميري، ولم ير لهذا الرجل ذنباً ظاهراً سوى صحبته للعرجي، والظاهر أنه كان راوية شعره، وربما نقل فيما نقل من شعره ما كان يقوله في نساء أمير مكة محمد بن هشام المخزومي؛ فكان ذلك سبباً للتنكيل به. ويقال: إنه بقي في السجن تسع سنين حتى توفي فيه سنة ١٢٠، وعمره خمسين سنة تقريباً. أما أبياته التي تلي البيت المشهور المتقدم ذكره فهي:

وخلوني لمعترك المنايا
وقد شرعت أسنتها لنحري

كأني لم أكن فيهم وسيطا
ولا لي نسبة في آل عمرو

أجرر في الجوامع كل يوم
ألا لله مظلمتي وصبري

عسى الملك المجيب لمن دعاه
ينجيني فيعلم كيف شكري

فأجزي بالكرامة أهل ودي
وأورث بالضغائن أهل وتري

وللشاعر العرجي أشعار غزلية رقيقة من ذلك قوله من قصيدة غزلية:

حوراء لو نظرت يوماً إلى حجر
لأثرت سقما في ذلك الحجر

يزداد توريد خديها إذا لحظت
كما يزيد نبات الأرض بالمطر

السخرية بالنفس!!

والذين يسخرون من أنفسهم، هم أولئك الذين خابت حظوظهم وانعكست آمالهم فجاءت مخيبة لما كانوا يتوقعون تحقيقه، والتنعم به.

وهم الذين حينما يرون أيديهم صفراً من مطامحهم يركبون موجة الشؤم، ويجعلون من التشاؤم منصة يطلون منها على أنفسهم بأسلوب السخرية، وعبارات التهكم التي لو وجهها لهم أحد من الناس لتصدوا له وناصبوه العداء.

ومن الملاحظ أن هؤلاء الناس الذين يجدون في السخرية بالنفس، راحة ومتنفساً هم في الغالب من البؤساء الذين أصيبوا بالإحباط في هممهم وتجرعوا مرارة الحياة وشقاءها.

وإذا ما أردنا أن نعرف شيئاً من الأساليب التي يعبر بها أولئك البؤساء عن سخريتهم بأنفسهم التي لم يكن لها نصيب من الحظوظ السعيدة، فلا بد لنا من الوقوف على أسلوب شاعر قد تهكم بنفسه وندب حظه الذي حال بينه وبين السعادة، وجلب له البؤس والشقاء لنرى كيف يحور الأشياء ذات المنفعة إلى أشياء ضارة بمجرد أيلولتها إليه.

والشاعر الذي سنبحر في ناحية من أسلوبه الساخر، هو الشاعر عمرو بن المنذر الذي يقول من قصيدة صوّر فيها سوء حظه:

فلو تهت في البيداء والليل مسبل

عـلـى ديـاجـيـه لـمـا لاح كـوكـب



ولو خفت شرقاً استترت بظله
لا قبل ضوء الشمس من حيث تغرب
ولو جاد إنسان عليّ بدرهم
لرحت إلى رحلي وفي الكف عقرب
ولو يمطر الناس الدنانير لم يكن
بشيء سوى الحصبا رأسي تحصب
ولو لمست كفاي عقداً منظماً
من الدر أضحى وهو ودع مثقب
وإن يقترف ذنباً ببرقة مذنب
فإن برأسي ذلك الذنب يعصب
وإن أرى خيراً في المنام فنازح
وإن أر شرّاً فهو مني مقرب
ولم أغد في أمر أريد نجاحه
فقابلني إلا غراب وأرنب

وهي أكثر من ذلك، وقد قرأتها في كتاب «الفكاهة في الأدب» للدكتور أحمد محمد الحوفي.

○○○○○

لغتنا أحسن اللغات وأكملها
في الخط والتعبير

ولغتنا العربية.. هي أمُّنا، ولنا الفخر حينما نصفها بالأم، لأنها أقدس اللغات على الإطلاق من حيث علو الشأن، والطهارة التي ألبسها إياها كلام الله الذي أنزله على أفضل خلقه قرآناً يتلى بلسان عربي مبين.

ولهذا نقول نحن العرب وبلا مواربة: لا بلاغة إلا بلاغة لغتنا، ولا فصاحة إلا فصاحة لغتنا، ولا إيجاز إلا إيجاز لغتنا، ولا إعجاز إلا في لغتنا، ولا جمال إلا جمال لغتنا، ولا بيان إلا بيانها، ولا حسن إلا حسنها.. ولا أحد ناظرنا فيها بلغته إلا عاد على أعقابه محملاً بالنقص في جميع المعاني والمرادفات، والجمال اللفظي، فضلاً عن الشكل الخطي الذي فاق بحسنه وهندسته جميع خطوط اللغات..، قال ابن الترجمان: لقد أنفذني الواثق إلى ملك الروم بهدايا ووافقت لهم عيداً، فرأيتهم قد علقوا على باب بيعتهم كتباً بالعربية منشورة، فسألت عنها فقيل: هذه كتب المأمون بخط ابن أبي خالد الأحول، استحسنوا صوره وتقديره فجعلوه هكذا.

ويروى عن أبي عبيد الله محمد بن داود بن الجراح أنه قال: كتب سليمان بن وهب كتاباً إلى ملك الروم في أيام المعتمد، فقال ملك الروم: ما رأيت للعرب شيئاً أحسن من هذا الشكل ولست أحسدهم على شيء حسدي إياهم عليه..، والطاغية لا يقرأ العربي، وإنما والله راقه باعتداله وهندسته وحسن مواقعه ومراتبه، أما عن البديع والإيجاز والبلاغة والأسلوب الذي يشمخ به أنف اللغة العربية على جميع

اللغات، فقد وصفه أبو عمرو بن العلاء حينما قيل له: هل كانت العرب تطيل؟. قال: نعم ليسمع منها.. قيل له: وهل كانت توجز؟ قال: نعم ليحفظ عنها.

وفي الإيجاز والإطالة قالوا: لا تنفق كلمتين إذا كفتك كلمة، وحول هذا المعنى أنشد أحمد بن إسماعيل الكاتب لنفسه:

خير الكلام قليل
على كثير دليل
والعي معنى قصير
يحويه لفظ طويل
وفي الكلام فضول
وفيه قال وقيل
وللبليغ فصول
وللعيي فضول

وقال الأحيمر السعدي:

من القول ما يكفي المصيب قليله
ومنه الذي لا يكتفي الدهر قائله
يصد عن المعنى فينزل ما تحا
ويذهب في التقصير منه تطاوله
فلا تك مكثاراً تزيد على الذي
عنيت به في خطب أمر تزاوله

ويقول ابن المقرب:

زيادة القول تحكي النقص في العمل
ومنطق المرء قد يهديه للزلل

الحذر من المبتدئ في الشعر!!

وتبلغ نباهة بعضهم وحذره من وجود أساليب تعطي الفرصة لذمه وهجائه، درجة تحمله على تفقد جميع أفراد أقربائه خوفاً من أن يكون من بينهم من هو موضع سخرية أو من يمارس عملاً مشيناً أو فعلاً قبيحاً يكون رمزاً لثلمه أو تعييره.. وهذا أمر إذا أمعنا النظر فيه من حيث أنه يمثّل ثقباً في جدار الرهط، أو ثلمة في حصنه، وجدنا الحذر منه قائماً لدى الناس الذين يدرؤون عن سمعتهم أي منقصة سواء كانت أدبية أو خلقية، تضفي عليهم لقباً مستكرهاً وتصيب مقتلاً من الحياة التي تحيط بأفراد قبيلتهم.

وعلى سبيل المثال فإن الشعراء إذا ما سمعوا أن واحداً من أفراد قبيلتهم قد قال الشعر فإنهم يحرصون كل الحرص على أن يعرض شعره عليهم قبل أن يذيعه على الناس، وذلك خوفاً من أن يقول شعراً لا يتفق وسياسة القبيلة، فيكون مأخذاً أقرّه عليها واحد من أفرادها، فيتعذر جحدانه والتبري منه..، وقد يصبح نكتة يجد فيها الشعراء الذين يهاجونهم مادة للهمز واللمز والسخرية.

ومن صورة هذه القضية التي يحتاط منها الشعراء.. صورة ينقلها إلينا الشاعر الصوري واسمه: عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب بن غلبون الصوري الذي عاش ما بين عام ٣٣٩هـ ـ ٤٤٩هـ لنتبين من خلالها أن الصوري قد هجا أخاه حينما علم بأنه يقول الشعر ولم يطلعه على شعره ليقومه في قصيدة ضمنها معاتبة أخيه على عدم مشاورته فيما يقوله من شعر.. ومن تلك القصيدة التي شحنها بلوم أخيه قوله:

أتـــانـــي عـــنـــك إخـــوانـــ
ـك بـــالأمـــس مـــهـــنـــيـــنـــا
يـــهـــنـــون بـــأن صـــرت
تـــقـــول الـــشـــعـــر مـــوزونـــا
فـــمـــا صـــدقـــتـــهـــم مـــن فـــ
ـرح فـــيـــمـــا يـــقـــولـــونـــا
إلـــى أن كـــشـــفـــوا لـــي أنّـــ
ـهـم فـــي الـــقـــول يـــلـــهـــونـــا
فـــلـــم تـــأتـــيـــنـــي أظـــهـــ
ـر مـــن عـــقـــلـــك مـــكـــنـــونـــا
ولـــم أمـــكـــنـــتـــهـــم أن يـــضـــ
ـحـــكـــوا مـــنّـــا فـــيـــبـــكـــيـــنـــا
ومـــنـــا أبـــدا كـــان
يـــكـــون الـــلـــهـــو لا فـــيـــنـــا
فـــشـــاورنـــي كـــمـــا يـــفـــعـــ
ـل قـــوم أجـــنـــبـــيـــونـــا

○○○○○

الجائزة من أجل البيت الأخير!!

ونحن نقرأ أن بعض الشعراء عندما تحل به نكبة أو تنزل به ضائقة تتجهم معها الحياة في وجهه، ويرى فجاءة العسر أمام عينه.. ينعقد لسانه وتغيب عنه حواس الشعر وتجلياته فلا يستطيع قول بيت واحد من الشعر..، أما البعض الآخر فهو الذي لا تحرك ساكنه إلا نوازل الدهر وفواجعه وحلول المشكلات بساحته.

والذي تحرك شاعريته العواصف، نراه يركب صعب الطريق عمداً لقطع المسافة التي تبعده عن جو المشكلة، وتخرجه من محيط العاصفة، ويأتي بشعر مفعم بصدق التعبير، ومعبّراً عن ألم المعاناة التي يترجمها في أسلوب بلسمي ترتاح له نفسه.

أما الذي تصدمه العاصفة، وتخرس لسانه النكبة إخراساً، يحبس الكلمة المعبرة عن سوء حاله داخل صدره؛ فإنه لا يستطيع إلقاء ثقل الأسى وحر المصيبة خارج محيط نفسه وإنما يحملها قبله حيث يستولي عليه هول الموقف، وهذا النوع من الشعراء شبيه بالشاعر التاجر الذي أشار إليه محققا ديوان الصوري: مكي السيد جاسم، وشاكر هادي شكر، ونص حكايته: أنه كان من شعراء العصر تاجر غرقت بضاعته فلم يمكنه قول الشعر لضيق صدره فانتحل قصيدة للشاعر الصوري، وقصد بها كبيراً من أهل عسقلان يدعى ذا المنقبتين وزاد فيها البيت الآتي:

ولك المناقب كلها
فلم اقتصرت على اثنتين

يشير بذلك إلى كنيته، ذا المنقبتين، فأمر له بجائزة سنية؛ فلامه



خواصه، وقالوا له: هذا شعر عبد المحسن الصوري، فقال: أعلم ذلك، وأحفظ القصيدة، وإنما أعطيته للبيت الأخير «ولك المناقب..» وهذا البيت له.

أما قصيدة الصوري واسمه عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب بن غلبون الصوري، الذي عاش ما بين عام ٣٣٩هـ و٤١٩هـ، والتي اختارها ذلك التاجر؛ فهي قصيدة مدح بها: علي بن حسن المغربي، وقد بلغت أبياتها ستة وعشرين بيتاً، منها قوله:

هل بعد بينك من يعرفـ
ـني النضار من اللجين

ولقد جهلتهما لبعد الـ
ـعهد بينهما وبيني

متصرفاً بالشعر يا
بئس البضاعة في اليدين

كانت كذلك قبل أن
يأتي علي بن الحسين

فاليوم حال الشعر ثا
لثة كحال الشعريين

أغني وأعفى مدحه الـ
ـعافين من كذب ومين

فتمتعوا من ماله
وصفاته بالحسنيين

○○○○○

مواقف تهون عند موقف واحد!!

وفي المثل: (بعض الشر أهون من بعض)، فالجبار الذي يقتصر جبروته على صفع من لهم علاقة به، أهون بكثير من الجبار الذي يحطم عظامهم ويقعدهم.

والناس يجعلون الشرور والمساوئ درجات متفاوته؛ فإذا ما اضطروا أو حزبهم أمر ما فلم يجدوا بداً من التخلص مما حل بهم إلا بركوب المساوئ والشرور؛ فإنهم يختارون ما هو أهون عليهم وأيسر للتخلص منه إذا انفكت الأزمة وزال الخطر.

والناس يختلفون في وصف الشيء الذي تهون عنده الأشياء كما تختلف الأشياء التي تجل في أعين بعضهم، فيرون أن كل شيء أهون منها، بينما هي أصغر في أعين الآخرين فيرون أنها أهون الأشياء.

وإذا كان لا بد لي من الاستشهاد بشعر يشتمل على عدة مواقف تهون عند موقف واحد منها فإن أقرب شيء من الشعر الذي يتفق وهذا الموضوع، هو ما وجدته منسوباً للشاعر عبد المحسن بن محمد بن أحمد الصوري، وفيه يعدد أشياء كثيرة، ويذكر أن ممارستها والقيام بها تعد أهون من الوقوف بباب تلقاك حجابه بالعبوس وتجهم الوجوه، فمن تلك القصيدة التي يشك في أنها للصوري والتي تبلغ اثنا عشر بيتاً وموجودة في الجزء الثاني من ديوانه، قوله:

لقلع ضرس ومضغ كلس
ورد أمس ويوم نحس



ولـــذع نـــار وحـــمـــل عـــار
وبـيـــع جـــار بـــربـــع فـــلـــس

ومـــضـــغ صـــخـــر وســـف جـــمـــر
وجـــوع دهـــر وألـــف قـــلـــس

وقـــتـــل إلـــف وأكـــل كـــف
وضـــيـــق خـــف ونـــزع نـــفـــس

وســـوء بـــخـــت وأكـــل قـــت
وطـــول هـــرت وبـــيـــع بـــخـــس

وطـــول طـــيـــش ولـــبـــس خـــيـــش
وضـــيـــق عـــيـــش وصـــوت جـــرس

وعـــدم نـــفـــع وكـــســـر ضـــلـــع
وطـــول صـــفـــع وطـــول حـــبـــس

أهـــون مـــن وقـــفـــة بـــبـــاب
تـــلـــقـــاك حـــجـــابـــه بـــعـــبـــس

○ ○ ○ ○ ○

الانقطاع إلى الكتب والتوحد بالدرس!!

والحث على ملازمة الكتاب، وترويض النفس على قراءة الكتب لا يُكتفى منه بقول واحد.. ولهذا نرى أن كل مهتم بإسداء النصيحة لكسب المعارف والتعمق في طلب العلم وتحصيل الثقافة يأخذ دوره في القول عن أهمية صحبة الكتاب.

فمنذ أن بدأ التدوين والتأليف وتنوع الثقافات والعلوم المكتوبة في القراطيس.. وأصحاب الفكر يحثون الناس على اقتنائها ودراستها والاشتغال بما تحويه من فنون وآداب وعلوم، بل إن منهم من يحبذ الانقطاع إليها، واعتبار الكتاب رفيقاً وجليساً على الدوام.

والجاحظ يرى أن اتجاه الناس إلى اصطحاب الكتاب أفضل من التحدث فيما بينهم وإرشاد بعضهم بعضاً.. ويظهر تعليله لذلك في جزء من مقالته: «الترغيب في اصطناع الكتاب»، التي حواها الجزء الأول من كتاب «الحيوان» من تلك المقالة قوله: «إن قراءة الكتب أبلغ في إرشادهم من تلاقيهم إذا كان مع التلاقي يشتد التصنع، ويكثر التظالم، وتفرط العصبية وتقوى الحمية، وعند المواجهة والمقابلة يشتد حب الغلبة، وشهوة المباهاة والرياسة مع الاستحياء من الرجوع، والأنفة من الخضوع، وعن جميع ذلك تحدث الضغائن ويظهر التباين، وإذا كانت القلوب على هذه الصفة وعلى هذه الهيئة، امتنعت من التعرف وعميت عن مواضع الدلالة، وليست في الكتب علة تمنع من درك البغية، وإصابة الحجة؛ لأن المتوحد يدرسها، والمتفرد يفهم معانيها لا يباهي نفسه ولا يغالب عقله، وقد عدم من له يباهي، ومن أجله يغالب»..،



وقد استشهد الجاحظ بشعر لمحمد بن يسير الرياشي يفضل فيه مجالسة الكتب ومؤانستها على الناس، من ذلك قوله:

هم مؤنسون وألاف غنيت بهم
فليس لي في أنيس غيرهم أرب
لله من جلساء لا جليسهم
ولا عشيرهم للسوء مرتقب
لا بادرات الأذى يخشى رفيقهم
ولا يلاقيه منهم منطق ذرب
فأيما أدب منهم مددت يدي
إليه فهو قريب من يدي كثب
إن شئت من محكم الآثار يرفعها
إلى النبي ثقات خيرة نجب
أو شئت من عرب علماً بأولهم
في الجاهلية أنبتني به العرب
أو شئت من سير الأملاك من عجم
تنبي وتخبر كيف الرأي والأدب
حتى كأني قد شاهدت عصرهم
وقد مضت دونهم من دهرهم حقب

○○○○○

هل الإنسان يدعو الناس
إلى ذم نفسه؟!!

وإذا ما تدبرنا حال من وقع الناس في ذمه، وفتشنا عن الأسباب والمسببات تبينا أن كثيراً من المذمومين هم الذين نصبوا أنفسهم هدفاً لذلك.

ولو أردنا الدخول في تفاصيل المعطيات التي تنتهي بنتائج تثبت وجود دعاة منهم لذمّ أنفسهم، لتطلب الأمر منا وقفات طويلة، ولكننا نكتفي في هذا المقام باستعراض بعض النماذج التي لا يختلف اثنان على أنها من أقوى الوسائل التي تجعل الإنسان داعية لذم نفسه..، فالكبرياء والاستعلاء على الناس باب مذمة يفتحه المرء على نفسه فيذمه كل ذام وشاتم.. والحسد والحقد موصل قوي إلى المذمة.. والبخل واللئامة سبب رئيسي لتحريك الألسن بالذم.. والجهل مطية يحدوها لسان الذم.. والمكر والخداع وسيلتا إعلان وإصبعا إشارة يقرران موضع الذم من صاحبهما، وغير ذلك من الخصال الذميمة التي تجعل صاحبها عرضة لألسن الشامتين والذامين، مثل العقوق والعصيان والخروج عن الطاعة، والاستخفاف بآراء الآخرين بأسلوب التعالي ونظرات الاحتقار.

ويبقى أن نشير إلى أن بعضهم (وأعني بذلك المذمومين) يرى أنه يملك مقود الكلام، وأنه سيرد الصاع صاعين إن أحد تجرأ وقام بذمه.

وهذا رأي ربما يخالف الواقع، أو هو مخالف للواقع إذا كان جامعاً لخصال الذم؛ لأنه وإن كان ذا لسان ومنطق سيبوء بالفشل في



النهاية وسيخسر لا محالة، خاصة إذا كان يقاول وينافح ذا خصال حميدة تحول بينه وبين أي ذم يوجه إليه.. وهذا هو عين ما قاله العتابي في هذه الأبيات:

إن كنت لا ترهب ذمي لما
تعرف من صفحي عن الجاهل

فاخش سكوتي إذ أنا منصت
فيك لمسموع خنا القائل

فالسامع الذم شريك له
ومطعم المأكل كالآكل

مقالة السوء إلى أهلها
أسرع من منحدر سائل

ومن دعا الناس إلى ذمه
ذموه بالحق وبالباطل

فلا تهج إن كنت ذا إربة
حرب أخي التجربة العاقل

فإن ذا العقل إذا هجته
هجت به ذا خبل خابل

تُبصرُ في عاجل شداته
عليك غب الضرر الآجل

○○○○○

الزوجة الثالثة هي علاج المشكلة!!

والذين قدر لأحدهم أن يكون زوجاً لاثنتين، لاقى نكداً وذاق عيشاً مراً، بل عايش حياة كلها تعب ومشكلات وشغب.

والذي عاش تجربة الزواج من اثنتين دفع ثمناً باهظاً من رصيد حياته الاجتماعية حيث وجد نفسه في وضع لا يطاق.. فراح يفكر ويبحث عن حل يجلب الراحة ويبعده من المشكلات العائلية.. ولكن إلى أي شيء انتهى به التفكير؟.

وما الذي فعله للتخلص من تلك المشكلة التي عانى منها ما عانى، إنه بعد تفكير عميق عمد إلى الزواج بثالثة!!! فظنه الناس كمن أطفأ ناراً (ببنزين)، لكن الواقع أثبت خلاف ذلك الظن.. بل إنه أصبح الوسيلة التي أطفأت نار العداوة المشتعلة بين الضرّتين وأوجدت جواً من الاستقرار العائلي والراحة النفسية..، فهل يا ترى هذه طريقة عملية لحل المشكلة، ووسيلة يمكن أن يلجأ إليها كل زوج اثنتين؟.

الناس الذين عايشوا واقع هذه التجارب يحققون أنها وسيلة مضمونة النجاح في كل حالة تصل فيها الضرّتان إلى درجة إقلاق زوجهما.

والبحث في سر نجاح هذه التجربة يؤكد أن هناك حالة نفسية تلعب دوراً مهماً في إخماد نار عداوة الضرّتين، حيث يكون بينهما رغبة في إنشاء علاقة صداقة بينهما بحكم الأقدمية، واتخاذ موقف موحد ضد الزوجة الثالثة التي حلت بساحتهما وقاسمتهما وقت زوجهما واقتصتْ ثلثه..، وهذا في الواقع تحليل مرتبط بأرضية الحياة الزوجية ويلامس الحقيقة.



وإذا ما تركت الخوض في هذا الموضوع تحاشياً من الإطالة في بحث علمي وتحليل نفسي يتطلب إدراج آراء العلماء وتحليلاتهم، فإن الانصراف عن جانب الجدّ إلى جانب الهزل والفكاهة أولى وأفضل من الخوض بلا نتيجة.. وجانب الفكاهة في هذا الموضوع يتمثل في حكاية الأعرابي الذي قيل له: من لم يتزوج اثنتين لم يذق حلاوة العيش. فتزوج امرأتين، ثم ندم.. فأنشأ قصيدة، منها قوله:

تزوجت اثنتين لفرط جهلي
بما يشقى به زوج اثنتين

فقلت: أصير بينهما خروفاً
أنعم بين أكرم نعجتين

فصرت كنعجة تضحي وتمسي
تبادل بين أخبث ذئبتين

رضا هذي يهيج سخط هذي
فما أعرى من إحدى السخطتين

وألقى في المعيشة كل خسر
كذاك الضر بين الضرتين

لهذي ليلة ولتلك أخرى
عتاب دائم في الليلتين

فإن أحببت أن تبقى كريما
من الخيرات مملوء اليدين

فعش عزباً فإن لم تستطعه
فضرباً في عراض الجحفلين

○○○○○

الخيال عند شاعر الفكاهة وشاعر الجدّ!!

والذي يلقي نظرة عابرة على بعض القصائد الفكاهية، يجد أنها لا تقل في قيمتها الأدبية وما تهدف إليه من أفكار، وما تحمله من معاني عن الشعر الجاد.. ولربما كان لها جمهور ومتلقي وسامع أكثر مما يكون للقصائد الجادة، خاصة إذا كانت تعالج برمزيتها المشهورة حالة اجتماعية مستكرهة، بأسلوب تمتزج فيه الفكاهة بالسخرية اللاذعة التي تحمل المستحِبَّ لتلك الحالة المستكرهة على التخلص منها.

ولقد خلّف كثير من الشعراء الراحلين قصائد احتضنتها كتب الأدب، وأصبحت تراثاً أدبياً مشحوناً بلذعة الفكاهة وسخرية التعبير المركب بأسلوب أدبي يتردد صداه في الأذن وتعشق تناقله الألسن.

وما دام الأمر كذلك فإن علينا أن ننظر إلى الشعر الفكاهي المعاصر الذي يهدف إلى تقويم كل معوج وأن نعتني به مثل ما اعتنى به أسلافنا وحبروه لنا.. وذلك كأن نفسح له المجال ليجد مكاناً مناسباً في الساحة الأدبية..، لا أن نحاربه ونحصره في مجال ضيق بالسخرية به.

ويبقى أن نتساءل ونقول: هل خيال شاعر الفكاهة كخيال شاعر الجد؟.. والإجابة على ذلك تأتي منطلقة من واقع الشعر الفكاهي، الذي يعتمد صنع معظمه على الخيال والتخيل وتزويق صورة الأشياء التي يريد الشاعر ضرورة عرضها في زي مضحك.

ومن نماذج الشعر الفكاهي قصيدة للشيخ محمد نوري المارديني، المولود بماردين عام ١٢٩٠هـ، والذي درس في الأزهر وتولى القضاء

في فترة من الزمن ثم استوطن مدينة الطائف، وفيها توفي عام ١٣٦٠هـ، وقصيدته تلك هي عبارة عن معارضة للامية ابن الوردي ولكنها بأسلوب فكاهي يدور حول الطبخ والأكل، منها قوله:

ذر هوى سلمى وخالف من عذل
وامزج القشطة مزجاً بالعسل

آه والهفي على بقلاوة
بنسيها السكر قد ذاب وحل

عجلوني عجلوني نحوها
خلق الإنسان حقاً من عجل

يا كبابا طفح الدهن به
أنت موصوف وخير في الملل

إنما الدباء والخروف إن
حشيا لا تتخذ عنها بدل

وكل الكيباء وانكب على
بر لذيذ فوقه الدهن هطل

فعلينا الأكل إن عشنا سوا
وعلى اللّه غفران الزلل

ليس يبقى للفتى من عمره
من نعيم العيش إلا ما أكل

○○○○○

شيء من بحث الدمشقية في الرفاعية

والرفاعية فرقة ضالة ظهر نشاطها في لبنان، وهي تنسب إلى أبي العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة الرفاعي المغربي ثم البطائحي، وقد قدم أبوه من بلاد المغرب وسكن في قرية أم عبيدة من قرى واسط بالعراق. قيل: إن له مؤلّفات كثيرة.

قال عنه الذهبي في كتابه «العبر»: كان إليه المنتهى في التواضع والقناعة ولين الكلمة، والذل والانكسار والإزراء على نفسه وسلامة الباطن.. فصار له أصحاب فيهم الجيد والرديء، وقد كثر الزغل فيهم وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أن أخذ التتار العراق..، والمتطرفون من أتباعه أخذوا في المغالاة في تمجيد كراماته فخرجوا عن آداب الإسلام وقواعد الدين الحنيف وأفضوا إلى الشرك ـ والعياذ بالله ـ ومن أشهر الذين غالوا فيه وجعلوا له كرامات وخصائص فكرية وروحية وجسدية غير خصائص البشر.. محمد أبو الهدى ابن حسن وادي الصيادي المولود سنة ١٢٦٦هـ، الذي ألف مؤلفات كثيرة منها كتاب «قلائد الجوهر» الذي أشار إليه عبد الرحمن دمشقية في كتابه «الرفاعية»، وفيه ـ وأعني قلائد الجوهر ـ يرى ما يراه فلاسفة الصوفية المبتدعين الذين مرقوا من الدين بسبب إفراطهم ومغالاتهم في ذكر الأولياء وذلك كقولهم: «إن الأنبياء والأولياء خلقوا من مادة متميزة على المادة التي خلق منها البشر».

أما الصياد فقد تقول (والله أعلم) على الشيخ أحمد الرفاعي

فقال: قال الشيخ أحمد: «قبض العزيز جلّ جلاله من نور وجهه قبضة فخلق منها سيدنا محمد ﷺ فرشحت فخلقني منها»، وقوله: قال الشيخ أحمد الرفاعي: «والولي إذا أصلح سره مع الله تعالى، كلفه ما بين السماء والأرض، ثم لا يزال يرتقي من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث. ثم ترتفع صفته إلى أن يصير صفة من صفات الحق تعالى، فيطلعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة ولا تخضر ورقة إلا بنظره» فويلٌ له إن كان قد تقوّل عليه وويل له إن كان قد قاله..، ومن الحكايات الدالة على المغالاة في وصف كرامات الشيخ الرفاعي قول أحدهم: سجد الرفاعي مرةً فبقي ساجداً سنة كاملة لم يرفع رأسه أبداً حتى نبت العشب على ظهره. وهذا ما لا يقره منطق ولا يصدقه عقل.

ولقد علق عبد الرحمن دمشقية جزاه الله خيراً على تلك الترهات فقال: «وإيراد مثل هذه الحكايات على أنها كرامات هو استخفاف بالكرامة، وهبوط بها إلى حد المهزلة، واستخفاف بعقول الناس، وتعريض لبعض الجهال منهم إلى فتنة إنكار الكرامة من أصلها لما يراه من أنواع الترهات المسماة بالكرامات، فيخرج بسببها عما اتفق عليه أهل السنة من ثبوت الكرامة».. والصيادي يسلك في المغالاة في تمجيد الشيخ أحمد الرفاعي مسلكاً آخر في قالب شعري يقول فيه:

الأحمديون للإسلام أركان
وفوا العهود وأشعاث الحمى صانوا

بهم أشد على الأخطار مقتحما
لا السم سم ولا النيران نيران

بهم تفرج عن ذي النون غمته
وفاز نوح ولم يمسسه طوفان

عن طيب الأمن يا من يستجير بهم
فما عليك لصرف الدهر عدوان



ذاك الكبير أبو العباس أحمدهم
له على ملكوت الله إيوان

هذا أبو العلمين الفرد حجتنا
في يوم لا يعرف الخلان خلان

غوث الخلائق من ينبوع منهجه
تفيض في الكون أسرار وعرفان

يحمى الضعيف إذا ما سَنَّ شفرته
دهر وأرضى الرزايا وهو غضبان

○○○○○

من التمجيد الشركي للفرق الضالة!!

ومن الصوفية المتطرفة فرقة يقال لها: الرفاعية، تتمذهب في طقوسها بالمذاهب الشيعية المتطرفة التي تتخذ من المناسبات السنوية طقوساً منكرة أقلها شرّاً ومعصية زيارة أضرحة الأولياء والصالحين، بقصد التبرك بها والتوسل الشركي المتمثل في طلب رفع الضر وجلب المنفعة، ومن نماذج توسلاتهم الشركية سواء كانت في مناسبات أو أوقات عادية هذه الأبيات الشعرية المشحونة بالإشراك بالله وهي منسوبة إلى أبي الهدى الصيادي أحد غلاة الرفاعية الذي تهور في تمجيد الشيخ أحمد الرفاعي تهوراً بلغ به حد الاستغاثة به وجعله شريكاً لله في جلب النفع ورفع الضرر. اسمعه أخزاه الله كيف يقول:

يا رفاعي وقعت في أعتابك
فتدارك عبداً يلوذ ببابك

يا رفاعي يا غوث كل البرايا
لا تضيع طفلاً جميلاً الرجا بك

أنت غوث الوجود مفتاح كنز ال
وجود والخير سح من ميزابك

أنت حصن الملهوف والباذل المعروف
والعاجزون من أحزابك

ولقد أشرت إلى نشأة الرفاعية وإلى شيء من بدعها في موضوع متقدم عنوانه: «شيء من بحث الدمشقية في الرفاعية».



والرفاعية بأسلوبها القذر تندسّ بين صفوف أهل السنة، مثل ما تندس دويبة السوس التي تنخر أي جسد تحل به، فتحيله إلى هيكل أجوف متجرد من مادته الصلبة التي كان يتمتع بقوتها.

وإذا ما درسنا ما أشار إليه الأستاذ عبد الرحمن دمشقية في كتابه «الرفاعية»، خرجنا بمعلومات محققة تفضح الأساليب التي تتخذها الفرق الضالة لمحاولة تقويض المبادئ الإسلامية الصافية المبنية على الكتاب والسنة المطهرة التي ليلها كنهارها، وأصحاب البدع والفرق الضالة التي تستخف بالنصوص القرآنية والأحاديث الصحيحة.. لا تتورع عن الأخذ بتأويلها بما تهواه أنفسهم تأويلاً بدعياً يفضي بهم إلى الشرك بالله، كيف لا وأبو الهدى الصيادي يواصل في شعره الأقوال الشركية، فيقول ممجداً الشيخ أحمد الرفاعي بقوله:

أنت باب الرسول من غير شك
وأتينا نرجو العطا من بابك

وأنا عبدك الذي باعتقاد
علقت راحتاه في أثوابك

فتحرك بهمةٍ وأغثني
وتذكر تشرفي بانتسابك

رضي اللّه عنك أدرك فإني
يا رفاعي وقعت في أعتابك

○○○○○

الغلو في تمجيد النبي والأولياء الصالحين
شرك وضلال!!

يقول أبو الهدى الصيادي (الذي أشرت إلى ترجمة له في موضوع سابق لهذا تحت عنوان): «شيء من بحث الدمشقية في الرفاعية»، ونقلت ما ذكر عنه أنه من زعماء الفرقة الرفاعية الضالة: أن النبي ﷺ حي في قبره، منعم متصرف كتصرفه حال حياته، متصرف (وهو فيه) بالعالم العلوي والسفلي.

وهو حي سميع يأكل ويشرب ويتنعم، وإن أهل الكشف من خواص هذه الأمة انكشف لهم ذلك في العالم الروحاني لا الجسماني..، وأكد على أن كل الأولياء من المتصوفة يرونه ﷺ ويسمعون خطابه الكريم، وأن الفرق بين الولي وبين غيره هو سماع خطابه المبارك وعدمه.. وبنى على هذا أن الاستمداد من الأموات أولى وأحرى بالإجابة من الاستمداد بالأحياء.. وذلك لتصرفهم في قبورهم.

وقد كان الصيادي يريد من سياق هذا الكلام الفاسد وما شابهه رابطة لقوله: بأن الأولياء في درجة الأنبياء، وأنهم أحياء في قبورهم يسمعون من يستغيث بهم ويجيبون دعاءه، وبهذه الطريقة المسمومة يحاول الصيادي زجّ الناس في عبارات شركية يقتلون بها المعتقدات الصحيحة عن طريق الوقوف أمام الأضرحة وعند قبور الأولياء والصالحين من عباد الله ليصرفوا الدعاء إليهم، والاستعانة والاستغاثة بهم.

ووالله إنها لطرق شيطانية، ومفاتيح صنعتها عقول الزنادقة، فجاء

بها الضالون المضلون ليفتحوا بها أفئدة السذج ومن تستميلهم الشعارات والخطب فيسلكوا فيها شركياتهم.

ومن الطرق الشيطانية ما يصنعه شعراء تلك الفرق الضالة من قصائد يقصرونها على تمجيد النبي ﷺ، تمجيداً فيه من الإطراء ما يبلغ درجة تأليهه ﷺ؛ ليقذفوا بأمته في متاهات الشرك. يقول الصيادي في إحدى قصائده التي يمتدح بها النبي ﷺ امتداحاً شركياً:

لولاه لم يكن الوجود ولا درى
كل العبيد تفرد المعبود

لولاه ما رفعت بقبتها السماء
ورصعت من أنجم بعقود

هو روح ذرات العوالم كلها
ذو المعجزات وذو اللوا المقصود

أدعوك دعوة مستجيرٍ لائذٍ
بعريض جاهك من جفا وصدود

فلأنت غوث العاجزين وذخرهم
ومجيرهم من وهدة التنفيد

يا خير من قصد العفاة رحابه
وأتاه صاحب مقصد بقصيد

ضاقت علي مذاهبي فامنن على
ضعفي بإحسان يغيظ حسودي

وانظر بعين الرفق كسري واكفني
همّ الزمان ووصمة التنكيد

فانظر كيف صرف الدعاء والاستغاثة والاستنجاد إلى النبي دون الله..، فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

الكذب على الأولياء مدخل لإقرار البدع

ومن الفرق الضالة التي تتسمى باسم ولي من أولياء الله، فرقة الرفاعية التي تسمت باسم الشيخ أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن علي بن رفاعة الرفاعي..، وقد بالغت في ذكر كراماته مبالغة خرجت بها من دائرة الإيمان بالله وتوحيده، وتمادت في تمجيده تمادياً أوقعها في الضلالات والمعتقدات الفاسدة.

ومن الملاحظ أن زخم التمجيد وذكر الكرامات والإطراء قد أوجد لدى تلك الفرقة منهجاً ينافي في أسلوبه وتعبيره جميع قواعد الإسلام وأصول التوحيد، ومفاهيم العقيدة.. بالإضافة إلى أن فيه ما فيه من كذب على الشيخ الرفاعي يقصد به إقرار البدع ونشرها.

وعلاوة على التمجيد والإطراء وذكر الكرامات نجدها (وأعني بذلك: الفرقة الرفاعية) لا تتورع عن الكذب على الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله وتقويله ما لم يقله..، ففي فصل من فصول كتاب «الرفاعية» الذي قام بتأليفه ودراسته الأستاذ عبد الرحمن دمشقية جزاه الله خيراً، وأورد شيئاً من الأقاويل الكاذبة التي لفّقها زعماء الفرقة التي سمت نفسها باسمه، وراحوا ينسبون إليه من الأقوال ما لا يقره عقل موحد بالله، ولا فهم مسلم؛ بل هي حكايات موجودة في الأصل قبل ولادة الشيخ.. وقالوا أيضاً: إنه قال أشعاراً وصف بها نفسه، وما له من كرامات، فزعموا أخزاهم الله أنه قال:

أنا الرفاعي طبولي في السما ضربت
والأرض في قبضتي والأولياء خدمي



فالجأ بأعتاب عزي والتمس مددي
وطف ببابي وقف مستمطراً نعمي

إذا دعاني مريدي وهو في لجج
من البحار نجا من حالة العدم

هلال سلطان عزي للوجود بدا
وحالتي انفردت من جملة الأمم

فلو ذكرت بأرض لا نبات لها
لأقبلت بصنوف الخير والنعم

ولو ذكرت بنار قط ما لهبت
ولو ذكرت ببحر غار من عظمي

ولو دعوت لميت قام لي ومشى
بإذن ربي يسعى لي على القدم

ونوبتي ضربت في الأرض واشتهرت
ودولتي حكمت في العرب والعجم

بينما هم يحققون أنه قال رحمه الله: «ما مثلي إلا كمثل ناموسة على الحائط لا قدر لها».

وهذا القول يبطل زعمهم أنه القائل لذلك الشعر، فويل لهم من مشهد يوم عظيم يوم فيه «يكب الناس على وجوههم في النار حصائد ألسنتهم».

○○○○○

تحوير المعنى من مفهومه السائد إلى مفهوم آخر!!

والذين يتلاعبون بالألفاظ ويبدعون في سبك الأساليب، لا يكلفهم تحوير المعنى وصرفه من المفهوم العام إلى مفهوم آخر بتعليلات قد تكون مقبولة نظراً لما فيها من مطابقه للمفهوم السائد شكلاً لا معنىً . . ، وكذلك الحال بالنسبة للذين يجيدون تغليف المعنى بما يتفق من حيث الشكل لا المفهوم الحقيقي لواقعهم، خاصة إذا كان المعنى يوحي بعكس ما هم عليه من حال.

والذين يقعون فريسة الأشياء المشينة والمزرية هم الذين يحرصون كل الحرص على تحوير تلك الأشياء ولفها في رداء براق، وذلك خوفاً من أن ينفتح عليهم باب يدخل منه إليهم قلم الثالب. . وهم الذين أيضاً يلجؤون إلى تعبيرات جذابة تقلب المفهوم المزري بهم إلى مفهوم يكون لهم به افتخار واعتزاز؛ فتتحول النظرة، وينقفل باب الثلب، وتتحول تلك الأشياء المشينة إلى مصدر من مصادر مناقبهم.

وسوف تتضح الصورة التي أردت عرضها كدليل على مقدرة المتكلمين على قلب الموازين في صالحهم، وتحويل المفاهيم إلى وضع غير الوضع الاعتيادي لفهمها.

ولقد رسم هذه الصورة الشاعر علي بن الجهم حينما حبسه المتوكل وأذله في قصيدة له، منها قوله:

قالوا حبست فقلت ليس بضائري
حبسي.. وأي مهند لا يغمد



وفي هذا البيت ما يهون به علي بن الجهم على نفسه مذلة الحبس حيث شبه نفسه وهو في الحبس بالسيف، الذي اختفى عن العيون بإدخاله في غمده لكنه لا يقلل ذلك من قيمته فهو سيف سواء كان مجرداً أو مغمداً، ويمعن في التوغل في نقل هذه الصورة المسلية له، فيقول:

أو ما رأيت الليث يأنف غيله
كبراً وأوباش السباع تردد

والشمس لولا أنها محجوبة
عن ناظريك لما أضاء الفرقد

والبدر يدركه السرار فتنجلي
أيامه وكأنه متجدد

والغيث يحصره الغمام فما يرى
إلا وريقه يراع ويرعد

والحبس ما لم تغشه لدنيةٍ
شنعاء نعم المنزل المتودد

بيت يجدد للكريم كرامة
ويزار فيه ولا يزور ويحسد

لو لم يكن في الحبس إلا أنه
لا يستذلك بالحجاب الأعبد

○○○○○

الأقحوان

والأقحوان: هو نبت موسمي يزهر في وقت الربيع بزهر أبيض شديد البياض، وله منظر جذاب وملفت للنظر.

ولشدة بياض زهر الأقحوان كان له نصيب من أقوال الشعراء.. فقلما تقرأ شعراً غزلياً إلا وتجد الشاعر ضارباً به المثل في صفاء أسنان معشوقته.

ولقد عثرت على قطعة نثرية سبكها الشيخ عز الدين بن عبد السلام بن أحمد بن غانم في كتابه «كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار».

وقد استنطق فيها الأقحوان بما نصه:

فنادى على نفسه الأقحوان، وهو بما كسي من النضارة فرحان، وقال: قد آن ظهوري، وحان حضوري، واعتدل فصل وجودي، وطاب في الحضرة شهودي، وكيف لا يطيب وقتي، وهذه الأنهار تجري من تحتي، وكيف لا أؤدي بالشكر زكاة حولي، وقد تم نصاب حولي، وما ذاك من قوتي ولا حولي، فبياضي هو العلم المعلم، واصفراري هو السقم المبرم.

واختلاف ألواني هو المتشابه المحكم فإن كنت للرموز تفهم. فقم إلي تغنم وإلّا ثم، وإن كنت لا تدري ما ثم فحقيق أن يقام عليك مأتم.. انتهى.

والحقيقة أنها قطعة نثرية جميلة تحدث بها الأقحوان عن نفسه



بكل اختصار، ووصف شيئاً من صفاته يمنحني العذر من استعراض ما قالته الشعراء فيه، لكنه إذا كان لا بد من الاستشهاد بشيء من الشعر؛ فإن ابن غانم قد ختم مقطوعته تلك بأبيات، قال: إن لسان حال الأقحوان قالها عن نفسه، وهذه هي الأبيات:

إذا لم تفهم المعنى وتدري
خفايا ما أقول فلا تلمني

نصحتك مشفقاً بلسان حالي
وما يغنيك شرح الحال عني

أما يكفيك حولي كل حول
وما نالته أيدي الدهر مني

فكم وافيتني في جمع شمل
زماناً ثم جيئت فلم تجدني

حمام الأيك يسعفني إذا ما
شكوت إليه أشجاني يجبني

ينوح عليّ عن علم بشاني
ملقّى للفناء بكل فن

وأنت تظنه طرباً ولهواً
فتمرح بين عيداني وغصني

حقيق أن يناح عليك إذ لم
تفرق بين أفراحي وحزني

○○○○○

مفهوم الحب في قاموس المحبوب والمحب!!

وكلمة الحب، لها أكثر من مفهوم عند سماعها لأول وهلة، وذلك بحسب طبيعة وميول الأذن السامعة لها.. إذ أن هناك أذناً لفئة من الناس لا تعرف مفهوماً للحب إلا ما ينسج خيوطه العشق وعبارات التولّه الطافحة في أسلوب الغزل.. وهذه الفئة تغرق في معنى الحب غرقاً يفجره الغزل والتغزل، ويحد من الانطلاق إلى مفهوم آخر للحب.

وفئة ترى أن مفهوم الحب هو ما تقوم عليه العلاقات الأسرية المثالية، وهو الذي يكفل استمرارية استقرار العلاقات بين الناس، ويحقق جانب الرضا والوفاء بين الأخ وأخيه، والابن وأبويه، والقريب وأقربائه، والصديق وأصدقائه.

وفئة من الناس وهم المسلمون يرون أن الحب يمثل الرابطة الحقيقية الوثيقة، والمنطلق الأساسي الذي يربط بين العبد وخالقه، ولهذا فهم لا يرون مفهوماً للحب غير حب الله، ولا يعرفون حباً غير الحب الذي يربط بين المتحابين في الله، والبحث في معنى الحب ومفهومه عند الناس على اختلاف طبقاتهم لا يخرج في معناه وطبيعته عما سبقت الإشارة إليه.. لكن الحب الذي لا يعدله حب، هو حب الله والحب في الله.. ومن رزق حب الله وحب رسوله، وأوليائه فقد فاز وربح، ومن حرمه فقد خاب وخسر.

والشعراء قد تناولوا معنى الحب بجميع مفاهيمه، وفي هذا الموضوع أورد أبياتاً تصور جانباً من الحب في الله.. وقد قرأتها في الجزء الثاني من «علم الأدب»، ولم ينسبها إلى أحد.. منها:

صاحب الحب حزين قلبه
دائم الغصة مهموم دنف

همّه في اللّه لا في غيره
ذاهب العقل وباللّه كلف

أشعث الرأس خميص بطنه
أصفر الوجنة والطرف ذرف

دائم التذكار من حب الذي
حبه غاية غايات الشرف

فإذا أمعن في الحب له
وعلاه الشوق من داء كشف

باشر المحراب يشكو بثه
وأمام اللّه مولاه وقف

قائماً قدامه منتصباً
لهجاً يتلو بآيات الصحف

راكعاً طوراً وطوراً ساجداً
باكياً والدمع في الأرض يكف

○ ○ ○ ○ ○

مطلع القصيدة

وإذا كان المقود يتحكم في الآلة من حيث التوجيه والانضباط والاستقامة في السير، فإن القصيدة تخضع لمطلعها خضوع الآلة لمقودها.

وإذا كان البناء يتماسك ويرتفع بسبب ثبات أسسه، فإن القصيدة تأتي متكاملة الصيغة إذا وجد شاعرها مطلعاً قوياً. والذي يتتبع تعبيرات بعض الشعراء عما يعانونه عندما يعن لهم إنشاء قصيدة من مشقة فكرية في البحث عن المطلع المناسب الذي يمثل مركزاً ممغنطاً تتهافت إليه القوافي تهافت قطع الحديد إلى المغناطيس.

وقد يجوز لي أن أشبّه مطلع القصيدة بصوت الحادي الذي إذا رفع عقيرته، وأخذ يرجع صوته الجميل تراقصت الإبل على نغماته وانقاد له كل صعب فيها، ولهذا فإن كبار الشعراء يحرصون على أن تكون مطالع قصائدهم جذابة؛ لأنهم يعتبرون المطلع واجهة للقصيدة وأنه بمثابة العنوان للكتاب الذي يترجم مفهومه معنى ما يحتويه من موضوعات.

وهذا الشاعر سيدي محمد ابن الشيخ سيد ابن المختار ابن اللهيب الأبيبري الذي ترجم له صاحب كتاب «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط»، نراه قد أظهر اهتماماً بالغاً بمطلع القصيدة وركز تركيزاً على الحث على الاهتمام به.. فقال: إني أهمّ بإنشاء قصيدة بكراً فَيُعيِينِي جودة المطلع، ويستنطق البلغاء في هذا المعنى بقوله:

يا معشر البلغاء هل من لوذعي
يهدي حجاه لمقصد لم يبدع





إني هممت بأن أقول قصيدة
بكراً فأعياني وجود المطلع

ثم يقول: أين لي بالمطلع الذي يكون غير موافق لمطالع قصائد فحول الشعراء الذين سبقوني.. ويرى أنه متى ما عثر عليه قامت القصيدة واستتمت كل معاني الشعر الجمالية والبلاغية والبديعية.. ولهذا فهو يحذر من تقليد مطالع قصائد المتقدمين، ويحث على البحث عن مطالع جديدة مغايرة لمطالع قصائدهم، ويخاطب بذلك الشعراء والبلغاء الذين أشار إليهم في مطلع قصيدته بقوله:

فاستعملوا النظر السديد ومن يجد
لي ما أحاول منكم فليصدع

وحذار من خلع العذار على الديا
ر ووقفة الزوار بين الأربع

وإفاضة العبرات في عرصاتها
وتردد الزفرات بين الأضلع

وتذاكر السمار بالأخبار من
أعصار دولة قيصر أو تبع

وتداعى الأبطال في رهج القتا
ل إلى النزال بكل لدن مشرع

فجميع هذا قد تداوله الورى
حتى غدا ما فيه موضع إصبع

○ ○ ○ ○ ○

الشعر في رأي شاعر شنقيطي

ولقد خاض كثير من أصحاب الأقلام في الحديث عن مفهوم الشعر وذاتيتيه واستعذبوا نقده، واستطابوا المضي في تحليله، والبحث في خفايا وأعماق مطولاته، وتلذذوا بالتنزه بين شوارده تلذذاً حققوا به لمن خلفهم أدباً راقياً وبحوثاً امتزج فيها الرأي بالنقد، فكان ثمرة جهد يشكرون عليها.

ونقد الشعر إذا جاء من شاعر مطبوع فإنه للواقع أقرب، ولكبد الحقيقة أصوب؛ لأنه كالغواص الذي يعرف من قاع البحر ما لا يعرفه من لا يجيد السباحة.

وإذا ما وقفنا أمام مفهوم كلمة (الشعر) وهل هي تعني مسمىً موقوفاً على فئة من الناس أم أنها مفهوم مشاع وعرق يمتد في شرائح مختلفة لا يمكن تقييدها بمسمى قبلي أو جنسي؟.. أدركنا أن الوقوف على معرفة هذا المفهوم يتطلب بحثاً ربما ينتهي بالاتفاق على أنه قد يكون متوارثاً، وموهوباً، بالإضافة إلى أنه مفهوم ذاتي ربما يكتسب في بعض الأحيان اكتساباً، أما فهمه (والمعني بذلك الشعر) من حيث أنه طوع الاختيار فهذا يتوقف على مدى استعداد مختاره لأنه يتطلب في نفس الوقت جغرافية ملائمة في نفس طالبه وإلا أصبح صعب الانقياد، وعزيز المنال. والشاعر سيدي محمد ابن الشيخ سيدي ابن المختار ابن اللهيب الأبيبري، وهو أحد شعراء شنقيط قد أشار في إحدى قصائده التي أوردها أحمد بن الأمين الشنقيطي في كتابه «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط»، إشارة فيها شيء من التمييز لواقع الشعر وتأثيره في المجتمع الذي يوجد به. من تلك القصيدة قوله:

١ ـ والشعر ليس كما يقول المدع
صعب المقادة مستدق المهيع

٢ ـ كم عز من قح بليغ قبلنا
أو من أديب حافظ كالأصمعي

٣ ـ إن القريض مزلة من رامها
فهو المكلف جمع ما لم يجمع

٤ ـ إن يتبع القدامى أعاد حديثهم
بعد الفشو وضل إن لم يتبع

٥ ـ والشعر للتطريب أول وضعه
فلغير ذلك قبلنا لم يوضع

٦ ـ واليوم صار منكداً ووسيلة
قد كان مقصدها انتفا لم يشرع

٧ ـ وإليه ترتاح النفوس غلبة
فيميلها طبعاً بغير تطبع

٨ ـ ينساغ للأذهان أول مرة
ويزيد حسناً ثانياً في المرجع

○○○○○

الحمار الآبق!!

والحمار كثيراً ما يكون محور طرفة، أو بطل نكتة، أو مدار فكاهة. وتختلف الصيغ التي تشكل الحكايات التي تجري على ألسنة الحمير فمنها ما يجعل الحمار في دور الذكي، ومنها ما يجعله في دور الغبي.. على أن هناك طرفاً لا يكون للحمار فيها رأي، وإنما يكون الحمار فيها ضيف شرف (كما يقولون) أو موضع إشارة إلى حادثة يرتبط سببها بوجوده.

ومما قرأته من الحكايات التي تجعل للحمار دوراً هادفاً ومهماً في رسم صورة يراد إبرازها، أو تعميق فلسفة لواقع مشهود ما قاله الفارياق في كتابه «الساق على الساق».

ونصه:

قال الفارياق: قد فجعت بالأمس بحمار لي.. وسألت عنه الجيران: فلم يقل أحد منهم إنه سرق؛ فاكتريت منادياً بريال... فجعل ينادي في الأسواق: ألا قد فر اليوم حمار الفارياق وخلى قيده في الوتد فهل منكم من رآه؟ فلم يجبه أحد إلا بقوله: ما أكثر الحمير الآبقة اليوم من بيوت مواليها..

ولما عاد إلي بهذه البشرى، بلغ مني الغيظ كل مبلغ، وآليت أن لا أنظر بعدها في وجه حمار سواء كان حقيقاً أو مجازاً.

فقد قال بعض أئمة اللغة: إن من خصائص لغتنا هذه الشريفة دون غيرها: أن يقال للرجل الجاهل: (حمار)، ثم أخذت أرثيه بهذه الأبيات، وقد أورد أبياتاً قوامها أربعة عشر بيتاً، منها قوله:



راح الحمار وخلى القيد في الوتد
وما رأى إثره في الناس من أحد

فهل أنا راكب من بعده وتداً
أم مجزئي قيده لو كان من مسد

أم كيف أدخل داراً كان لي سكناً
فيها وأنزل عندي منزل الولد؟

سَرْهَدته بيدي كالطفل من شفق
كالطفل من شفق سرهدته بيدي

وجئته بشعير لا يخالطه
ماس ولا عسجد خوفاً من الدرد

وكان يوقظني منه النهاق إذ اسـ
ـتثقلت منه بصوت مطرب غرد

كم جاد بي عن مضيق حين أبصر من
حولي الجمال تبل الأرض بالزبد

ومنها قوله:

يفديك كل حمار ند من بطر
أو ضج من تعب أو خار من جهد

○ ○ ○ ○ ○

الشعب المصري من صناع النوادر والطرف

والذي يحاول معرفة أحب الشعوب العربية للنكتة، وأقدرها في نفس الوقت على صياغتها.. لا يجد رائداً لها سوى الشعب المصري الذي يتصف بالمرح دائماً، ولهذا فإن له أفضل اللمسات على الفكاهة والنادرة والطرفة الأدبية كما أن له أرق المداعبات وأعذبها، بل وأرقاها معنى وأشرفها هدفاً.

وكيف لا يكون المصري صانع نادرة ومنشئ طرفة وهذا الأستاذ عبد الرحمٰن صدقي يقول: إن من أشهر النوادر التي تروى عن حافظ (أي حافظ إبراهيم شاعر النيل) هذه الواقعة:

كان سعد زغلول مستجماً في منزله الريفي في مسجد وصيف، فوفد عليه فيمن وفدوا للزيارة والإقامة أياماً الدكتور محجوب ثابت وحافظ إبراهيم وآخرون، فلما كان الصباح جلس سعد وصحبه إلى مائدة الإفطار.. وتخلف الدكتور المحجوب وطال انتظارهم له، ثم حضر فسئل عن سبب تأخره، فأجاب بلهجته المعهودة بأنه كان يحلم حلماً وتعوق عن القيام حتى ينتهي الحلم، فطلب منه سعد أن يقص عليهم الحلم فقال: رأيتني مقتعداً ثوراً كبيراً وقد أخذت بقرنيه، والثور يقفز بي سريعاً ومن خلفه عدد كبير من الحمير فقال سعد زغلول: فسر لنا هذا الحلم يا حافظ، وكان حافظ مشتهراً بالاعتقاد في دلالات الأحلام، فقال مفسراً: أما الثور الذي يركبه الدكتور فهو كرسي يتبوأه في مجلس النواب.

وأما أخذه بقرنيه وهو يقفز به فمعناه: بلوغه إلى منصب الوزارة

فتساءل بعض الحاضرين: ولكن ما هذه الحمير التي تجري وراءه؟ فقال حافظ: أولئك هم ناخبوه. وبعد الإفطار انتقل حافظ إلى حيث خلا بنفسه، ونظم في وصف الدكتور محجوب ثابت قصيدته المشهورة التي منها قوله:

يرغي ويزبد بالقافات تحسبها
قصف المدافع في أفق البساتين

قد خصه اللّه بالقافات يعلكها
من مارج النار تصوير الشياطين

لا يأمن السامع المسكين وثبته
من كردفان إلى أعلا فلسطين

بينا تراه ينادي الناس في حلب
إذا به يتحدى القوم في الصين

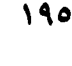
ولم يكن ذاك عن طيش ولا خبل
لكنها عبقريات الأساطين

يبيتُ ينسخ أحلاماً مذهبة
تغني تفاسيرها عن ابن سيرين

طوراً وزيراً مشاعاً في وزارته
يصرف الأمر في كل الدواوين

وتارة زوج عطبول خدلجة
حسناً تملك آلاف الفدادين

○ ○ ○ ○ ○



البان يقول عن نفسه!!

جاء في كتاب «كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار» لعز الدين بن عبد السلام بن أحمد بن غانم، المتوفى سنة ٦٧٨هـ تقريباً: أن البان وصف نفسه فقال بعدما لامته الأشجار على طربه وتمايله:

من ذا يلومني على تمايل أغصاني واهتزاز أركاني وأنا الذي بسطت لي الأرض مطارفها، وأظهرت لي الرياض زخارفها وأهدت لي نسمات الأسحار لطائفها وطرائفها، فإذا رأيت ساعة نشور أموات النبات قد اقتربت، ورأيت الأرض قد اهتزت وربت، ونفخ في صور وعدي، ونسخ حكم وعيدي بإنجاز وعدي، وحان ورود وردي فانظر إلى الورد وقد ورد، وإلى البرد وقد شرد، وإلى الزهر وقد أنفد، وإلى الحب وقد انعقد، وإلى الغصن اليابس وقد كُسي بعد ما تجرّد. وإلى اختلاف المطاعم والمشارب وقد اتحد، فاعلم أن صانعها واحد أحد، وصاحبها صمد، وموجدها بالقدرة قد انفرد؛ فلا يفتقر إلى أحد، ولا يستغني عنه أحد، ولا يشاركه في ملكه أحد، والذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فهنالك تمايلت قدودي طرباً بشهودي وتبلبلت بلابل سعودي على تحرك عودي، ثم تدركني عناية معبودي، فأفكر في عدم وجودي، وفوات مقصودي، فأنعطف على الورد فأخبره بورودي، وأجعل عليه من برودي، وأستخبره أين مقصودي وورودي، فقال لي: وجودك كوجودي، وركوعك كسجودي، أنت بخضرة قدودك، وأنا بحمرة خدودي، فهلم نجعل في النار وقودك ووقودي، قبل نار خلودك وخلودي. فقلت له: إذا صح الائتلاف ورضيت لنفسك بالتلاف، فليس للخلاف خلاف. فنعتطف على حكم الوفاق ونختطف من بين الرفاق، فتصعد أنفاسنا

بالاحتراق وتقطر دموعنا بلا إشفاق. فإذا فنينا على صور أشباحنا، بقينا بمعاني أرواحنا، فشتان بين غدونا ورواحنا. وقد ذيل ابن غانم هذا الموضوع بأبيات منها قوله:

ورد الـــورد بـــشـــيـــراً بـــالـــذي
فـيـه من لطف المعاني قد حوى

فـانـثـنـى الـبـان لـه مـسـتـعـطـفـاً
لاثـم الـنـشـر الـذي فـيـه انـطـوى

مـال يـشـكـو هـيـف الـقـد لـه
فـرط مـا يـلـقـاه مـن جـور الـهـوى

فـــرثـــاه الـــورد إذ قـــال لـــه
نـحـن خـلان تـقـاسـمـنـا الـجـوى

فـــأنـــا أنـــت كـــمـــا أنـــت أنـــا
نحن في المعنى جميعاً بالسوى

كـلـنـا نـشـكـو بـشـجـو واحـد
ولـــكـــل فـــي هـــواه مـــا نـــوى

قـسـمـاً حـقـاً يـمـيـنـاً صـادقـاً
بـالـذي عـلـى الـعـرش اسـتـوى

إن فـــي شـــرح غـــرامـــي عـــبـــرة
لـذوي الـقـلـب إذا الـقـلـب ارعـوى

○ ○ ○ ○ ○

حمار بشار وأتان الأصبهاني

وعشاق النوادر والفكاهة والمداعبات، وخاصة منهم الذين يحرصون على صناعتها يتحسسون المواضع التي تتفق وواقعها، وذلك فضلاً عن اختيار مادتها وطريقة عرضها على الناس؛ لأنهم يدركون أن الطرفة أو المداعبة أو النادرة إذا فقدت عنصراً من عناصر مقوماتها أصبحت كلاماً عادياً لا يضحك مستمعاً ولا يسلي قارئاً، لكنها إذا كانت مستكملة العناصر وبعيدة عن السخافات اللفظية فإن المؤلف يتعشقها ويرصدها في مؤلفه والقارئ يتذوقها ويستمتع بقراءتها.

والفكاهة والمداعبة والنادرة تأتي على قلم الناثر أكثر مما تتجلى في مخيلة الشاعر فيما يظهر لي.. لكنها إذا جاءت في أبيات شعرية فإنها تكون أقوى إثارة، وأكثر تقبلاً، وأوسع ذيوعاً، وذلك لما للشعر من خاصية مرتبطة بالحفظ، ومنقادة لألسن الرواة كيف لا وهذا محمد بن الحجاج راوية بشار بن برد يقول: مات لبشار حمار فقال بشار: رأيت حماري البارحة في النوم فقلت له: ويلك. مالك مت؟ قال: إنك ركبتني يوم كذا، فمررنا على باب الأصبهاني فرأيت أتاناً عند بابه، فعشقتها فمت؛ ثم أنشد:

سيدي خذ لي أماناً
من أتان الأصبهاني
إن بالباب أتاناً
فضلت كل أتان
تيمتني يوم رحنا
بثناياها الحسان

وبحسن ودلال
سل جسمي وبراني

ولها خد أسيل
مثل خد الشنفراني

فبها مت ولو عشت
إذا طال هواني

فقال له رجل: يا أبا معاذ، ما الشنفراني؟ قال: هو شيء يتحدث به الحمير فإذا لقيت حماراً فاسأله. ولبشار بن برد مداعبات وردود لاذعة، وذلك مثل رده على ذلك الذي اعترض على عماه، فأجابه بقوله:

قالوا العمى منظر قبيح
قلت بفقدي لكم يهون

والله ما في البلاد شيء
تأسى على فقده العيون

○○○○○

الفتاة العانس!!

و«الفتاة العانس» هو عنوان لقصيدة طويلة للشاعر السوري شفيق جبري.. وقبل أن نقتطف أبياتاً من تلك القصيدة الاجتماعية أرى أن أقف أمام هذه المشكلة وقفة قصيرة، ربما أنها الوقفة الثانية أو الثالثة في هذا المؤلَّف.. وحيث أن موضوع العنوسة الذي شمل الذكور والإناث معاً يعد موضوعاً حيوياً، ويشكل جانباً مهماً من الحياة التي يجتازها كل جيل من الأجيال، فإن الحديث عنه يجب أن يتواصل وأن يشتمل على حلول لتلك المشكلة التي ضربت بجذورها في عمق حياتنا الاجتماعية.

ولعل التماس الحل لهذه المشكلة يأتي من وجهة نظر أطرافها الحقيقيين، لا من ولاتهم الذين كانوا هم السبب في وجودها.. وتوقعي أن الحل يكمن في الاستقامة من كلا الطرفين، ثم الاعتدال في المغالاة في المهور، والتكافؤ في الحياة الاجتماعية، وهذه المسائل إذا توفرت في شباب أي مجتمع فإنها كفيلة بالقضاء على العنوسة، إلا من الفئة التي لا ترى الفضيلة منهجاً أو التي تبيت نوايا البذخ والإسراف الذي يتطلب مادة وأرصدة نقدية لا تتوفر إلا بالادخار الذي يحتم البقاء عدة سنين.

ولا أريد الخوض فيما تحدثه العنوسة من مشكلات يتطلب التعبير عنها مساحة كبيرة، وعنوانات مختلفة ومتعددة تعدد المشكلات التي تنشأ عن وجود العنوسة في أي مجتمع.

ولهذا أرى أن التوقف عند هذا الحد أجدى، واقتطاف أبيات من

قصيدة شفيق جبري التي سبقت الإشارة إليها أوفق، حتى يكون لي عودة إلى هذا الموضوع من باب الاستمرار في التذكير بالتماس الحلول لهذه المشكلة. يقول شفيق في قصيدته «الفتاة العانس»:

عنست وطال مكوثها
في الدار في ظلماتها
أنى لها زوج يقصـ
ـر من مدى لهفاتها؟
الزوج أروع مشهداً
في الخدر من درتها
تحميه في يقظاتها
وتقيه في نوماتها
وإذا بكى جادت له
من عمرها وحياتها
حبسوا الفتاة عن الزوا
ج فأقلقوا ضجعاتها
شرعوا لها نهجاً إلى الـ
إمعان في عثراتها
فإذا كبت في نهجها
لاموا على كبواتها

○○○○○

الرقة والعذوبة في الشعر الأندلسي!!

وإذا ما ألقينا نظرة عابرة على ما قيل من أشعار غزلية، وجدناها ذات ألوان متعددة وطعوم متنوعة. فهي تماماً كالثمار التي تجود بما تمتصه عروقها من دماثة التربة التي تنبت فيها وعذوبة الماء الذي تسقى به.

ويكاد الدارس لشعر الغزل أن يميز من خلال القصائد التي يتناولها، بل من واقع أسلوبها وعباراتها بيئة شاعرها، وظروف حياته.

ونحن نجد فرقاً بعيداً وبوناً شاسعاً بين شعراء الغزل الذين عاشوا في بيئة صحراوية والذين تمدنوا خاصة في الوصف والتمثيل والعبارة التي تتسم بطبيعة الشاعر ونظام حياته ومجتمعه.

وإذا ما أردنا أن نقيم الشعر الغزلي بصفة عامة دون ذكر شعرائه، فإن الشعر الغزلي الأندلسي قد تميز بالرقة ولطافة الأسلوب وركوب المبالغة في التعبير والمناجاة البعيدة كل البعد عما خشن من الوصف والتمثيل مع الإبداع في نقل صورة التماثل والتشابه بين المشبه والمشبه به من حيث التعطف واللين والرقة والعذوبة.

وأقرب ما أنقله من صورة لهذا الفارق الذي يمتاز به شعراء الأندلس عن غيرهم من الشعراء في ترقيق العبارة فقط لا في المبالغة وجزالة التعبير؛ لأن هذه الأشياء يكون الاشتراك فيها مرتكزاً على مقدرة الشاعر في أي بيئة كان، وهذه أبيات قد اخترتها من قصيدة لابن شهيد الأندلسي، وفيها ما يغني عن التعليق على إثبات تميز أسلوب الشعر الأندلسي عن غيره خاصة في مجال الغزل والتغزل الذي يمس المشاعر

بلطف متناهي كمس الماء للجلد، يقول ابن شهيد: واسمه أحمد بن أبي مروان بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد الأشجعي:

أَصُبَيْحٌ شيمَ أم برق بدا
أم سنا المحبوب أورى أزندا

هب من مرقده منكسراً
مسبلاً للكم مرخ للردا

ثم يوجه الخطاب مباشرة فيقول:

قُلت هب لي يا حبيبي قبلة
تشف من غمك تبريح الصدى

فانثنى يهتز من منكبه
قائلاً: لا، ثم أعطاني اليدا

كلما كلمني قبلته
فهو إما قال قولاً رددا

كاد أن يرجع من لثمي له
وارتشافي الثغر منه أدردا

ثم ينتقل إلى رسم صورة أخرى من هذا اللون الغزلي الرقيق فيقول:

أحرحت من عضتي في نهدها
ثم عَضّت حُرّ وجهي عَمَدَا

فأنا المجروح من عضتها
لا شفاني الله منها أبدا

○○○○○

شعراء الغزل يحرجون أمام أزواجهم

وإذا لم تأخذ نساء شعراء الغزل بمفهوم الآيات الكريمة الواردة في سورة الشعراء: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾، فإنهنَّ سيصبحن في ظن وشك بأزواجهن وذلك عندما يَقْرَأْنَ قصائدهم الغزلية التي يشحنونها بالوصف الدقيق المتمثل في تحديد مناطق الفتنة من الجسم وما يتخلل عبارات وصف الجمال من تأوه وتوله، واستعطاف وتلطف بمن يشببون به ويتغزلون في فائق جماله تغزلاً يوهم من يغيب عن ذهنه مفهوم الآية المتقدمة ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ ولهذا فإنه يجب على أزواج الشعراء أن يكون لديهنّ يقيناً ثابتاً بأن التخيل لدى أزواجهن قد ساهم في إبراز صورة الوصف بالشكل الذي يوهم بأنه كان منادماً ومعايشاً حقيقياً لمن كان يتغزل به.

قال صاحب كتاب «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط»: إن الشاعر سيدي عبد الله بن أحمد قد صنع قصيدة غزلية منها قوله:

ما سَفَّه الحلم واستقصى أخا كبر
كالكاعب الرود لم تَعْدُ اثنتي عشره

كأنها فنن طوع الرياح فما
تنفك مسفرةً طوراً ومختمره

عجلى القيام ضحوك عن مؤشرة:
تنسى ملاحتها ذا لؤلؤ درره

يخال ذو الجهل أن الخود ليس لها

لب ويعجبه من ذاك ما اختبره

فغضبت امرأته من هذه الأبيات، وخرجت من بيته، وقالت له: ابن بيتاً من الشعر، فقال:

من يهجر الشعر جَرّا عاذل زجره

أم من يطيق صدود الحب إن هجره

أضحت صفية عن لقياك معرضة

والشعر يعرض من مكنونه درره

لم أدر أيهما أدهى مفارقة

كل يحن فؤادي دائماً أثره

قد كنت يا ذي إلى نفسي محببة

وربما صدقت حال امرئ خبره

ooooo

رثاء ضرس!!

وتساقط الأسنان التي هي عدة الإنسان وعتاده، أو خلعها لعدم صلاحيتها، ماذا يعني بالنسبة لصاحبها من الناحية النفسية خاصة إذا كان في العقد الخامس أو السادس من عمره، وأصبحت معدته تتطلب تدقيق وطحن ما يلقى فيها من أطعمة حيث بدأت حركتها تضعف، ونشاطها يقل بفعل عاملِ الزمن!!؟

إنه (وأعني بذلك سقوط الأسنان أو خلعها) يعني البدء في بداية الرد إلى أرذل العمر، بل هو المؤشر الحقيقي لذلك، وهو الذي يسطر عبارة تقول: «من هنا تبدأ سن الشيخوخة والعودة من الرحلة»، ومن هنا يبدأ الرجوع بالقلم من أعلى خط لرسم بياني بلغت شدة الحيوية فيه نهايتها وأقصى عنفوانها.

والأضراس لها في الأدب عبارة ومكانة كما أن لها معنى يدرك مفهومه من تساقطت أسنانه بسبب بداية الدخول في المرحلة المتقدمة من العمر.

وبما أن الضرس جزء من جسم الإنسان، فإنه من الطبيعي أن يحصل تأثر من خلعه أو سقوطه، وربما بلغ ذلك التأثر درجة الحزن عليه.

والشعراء يكون لهم تعبيرات شعرية وملاحظات قوية يذكرون خلالها ما تتعرض له بعض أجزاء الجسم من تلف أو تعطل أو انفصال أو موت، بل إنهم ليرثون ذلك الجزء رثاء حاراً وصادقاً.

ولا نذهب بعيداً في البحث عن الاستدلال على رثاء بعض أجزاء



الجسم فهذا الشاعر البابي يقول قصيدة في رثاء ضرسه الذي خلعه، ومطلعها:

أي طود من الرواسي العظام
فجعتنا به يد الأيام

وفيها يصف فعل ضرسه بقوله:

كاسر طاحن إذا اصطدم الصفا
ن ماضي الشبا ألد الخصام

ضعضعت ركنه الخطوب وثلت
عرش سلطانه المنيع السامي

ثم يذكر مناقبه وماله معه من صحبة منذ سن الطفولة، وماذا يعني خلعه:

يا رفيقي مذ كنت طفلاً إلى أن
جلل الشيب مفرقي بالثغام

وصديقي الذي تخولت من جد
واه موتي وقوتي وقوامي

من يروض الصعاب بعدك؟ من للبط
ش؟ من للقراع؟ من للصدام؟

رب قشر مَحّضْتَه عن لباب
ولحوم عرقتها عن عظام

ما قدرناك حق قدرك حتى
بنت فاذهب ممتعاً بسلام

○○○○○

شاعر يفتدي الحمامة بماله ويفك أسرها!!!

وإذا تجاوزنا في التعبير وقلنا في وصف نوح الحمام إنه موسيقى ذات ألوان فإن أكثر من يترجم مفهومها من الناس، هم الشعراء وذلك لأنهم يعزون إلى أنفسهم في كل مناسبة معرفة نوح الحمام.. أهو سجع ينم عن طرب وارتياح ضمير؟ أو هو ترنم بعثه أريج الورد وتفتح الأزهار وتمايل الأغصان؟ أو أنه تغريد فيه استعراض للذكريات واستجلاب للأحلام؟ أو هو نوح يبث ألم الفراق، وخلو الديار من العشاق؟ أو أنه بكاء على انقطاع نصيب، ونكد حياة وحرقة وتولّه على فقد حبيب؟!!

وإذا ما أردنا أن نستدل على العلاقة المنبثقة عن الشعور والإحساس المتبادل بين الشاعر والحمامة، فإن حصيلة ذلك الاستشهاد تتطلب صفحات ربما تشكل في مجموعها سفراً.. لأننا قلما نقرأ شعراً رقيقاً أو حماسياً إلا ونجد فيه تناوحاً رمزياً أو صريحاً مع شدو الحمامة وسجعها.

ولهذا فإن نموذجاً واحداً أدرجه هنا يكفي للاستدلال على تجانس الشعور بين الشاعر والحمامة متى رآها داخل قفص تردد لحن الأسى وتبث في نوحها الحزن والشكوى. يروى أن أحد الشعراء، ولعله البندبيجي، اجتاز سوق الطاق ببغداد حيث تباع الطيور فسمع حمامة تلحن في قفص فاشتراها وأطلق سراحها؛ لأنه يرى أنها تشكله فيما به من شوق ووله وحنين.. ثم قال بعدما أطلقها قصيدة وصف فيها شعورها وترجم لغتها.. ثم ختمها بأبيات أثبت أن ما بها من شوق

وحنين هو ما به.. وطلب إليها أن تسأل أن يحل وثاقه مثل ما أحل وثاقها، يقول:

ناحت مطوقة بباب الطاق
فجرى سوابق مدمعي المهراق
حنت إلى أرض الحجاز بحرقة
تشجي فؤاد الهائم المشتاق
إن الحمائم لم تزل بحنينها
قد ما تبكي أعين العشاق
تعس الفراق وجذ حبل وتينه
وسقاه من سم الأساود ساقي
يا ويحه ما باله قمرية
لم تدر ما بغداد في الآفاق
فأتى الفراق بها العراق فأصبحت
بعد الأراك تنوح في الأسواق
فشريتها لما سمعت حنينها
وعلى الحمامة عدت بالإطلاق
بي مثل ما بك يا حمامة فاسألي
من فكَّ أسرك أن يحلَّ وثاقي

○○○○○

الخيال الفكه.. والتخيل المضحك!!

وتظهر مسحة الإبداع وفنية اللفظ في أسلوب الفكاهة إذا أصاب واقعها مقتلاً ممن يجيد صنعها.

ويبرز حسن التصوير المضحك إذا وقع الإنسان الفكه في مصيدة الفكاهة سواء كان متعمداً له ذلك، أو هو وقع فيها عن جهل بها أو من باب الصدفة.

ويمكن معرفة الفكاهة أو النادرة إن كانت وليدة معاناة حقيقية، أو إنتاج واقع، أو أنها جاءت من صنع تصور وتخيل تفرغ له فكر كاتب أو شاعر فكاهي، فصاغها صياغة كأنما هي تحكي واقعاً حقيقياً.

ومن الفكاهة التي تجعل قارئها يغرق في الضحك تلك الفكاهة التي ضمنها الشاعر الفكه ابن سودون الذي عاش في العصر المملوكي قصيدة طويلة صوّر فيها حاله، وهو متزوج امرأة أصغر منه عقلاً وأكبر منه سناً، بل إنها بلغت من الكبر مبلغاً تساقطت بسببه أسنانها مما جعله لا يخشى ولا يخاف من عضها، يقول من تلك القصيدة:

وكنت عند زواجي قد وصلت إلى
حد الأشد وعقلي في الورى اشتهرا

هذا وعقل عروسي كان أصغر من
عقلي ولكن حوت في عمرها كبرا

تعضّ لا أختشي من عضها ألما
إذ نظم أسنانها من ثغرها انتثرا



ثم ينطلق ابن سودون في وصف عروسه وصفاً مضحكاً للغاية وينهيه بالتمني بموتها وقبرها، يقول:

في لونها نمشٌ في أذنها طرش
في عينها عمش للجفن قد سترا

في بطنها بعج في رجلها عرج
في كفها فلج ما ضر لو كسرا

في ظهرها حدب في حلقها كبب
في عمرها نوب كم قد رأت عبرا

يا حسن قامتها العرجاء إذا خطرت
يوماً وقد سبسبت في جيدها شعرا

تقول قدّي يحاكي الغصن منطوياً
أواه لو حاشها موت لها قبرا

إنه الخيال الفكه، والتخيل المضحك، الذي جمع هذه الأوصاف في جسد واحد صار عروساً للشاعر ابن سودون.

○ ○ ○ ○ ○

النار موعدهم!!

ولقد ورد في الوعيد بالنار آيات كثيرة من القرآن الكريم، منها ما هو تخويف للأحياء وتذكير بعذاب الله، ومنها ما هو تقرير لما آل إليه من مات على الكفر، ومن تلك الآيات الكريمات قوله تعالى في سورة الحج الآيات ١٩ ـ ٢٢: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾.

وقوله تعالى في سورة المؤمنون الآية ١٠٤: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾، وقوله تعالى في سورة غافر الآيات ٧١ ـ ٧٣: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

وقوله تعالى في سورة فاطر الآيتان ٣٦، ٣٧: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾، وقوله تعالى في سورة النساء الآية ١٤٥: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾، وقوله في سورة آل عمران الآية ١٠: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾. وورد ذكر النار في عدد كثير من الأحاديث الشريفة، ففي صحيح مسلم، قال رسول الله ﷺ: «ناركم هذه التي يوقدها ابن آدم جزء من سبعين جزءاً

من نار جهنم»، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها».

وروى الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة».

وفي صحيح مسلم أن سمرة بن جندب سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن منهم من تأخذ النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذ إلى حنجرته، ومنهم من تأخذ إلى عنقه».

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون، ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم». قال بعض الشعراء:

أيا عاملاً للنار جسمك لين
فجَرِّبه لتمرينا بحرِّ الظهيرة

ودربه في لسع الزنابير تجتري
على نهش حيات هناك عظيمة

فإن كنت لا تقوى فويلك ما الذي
دعاك إلى إسخاط رب البرية

تبارز بالمنكرات عشية
وتصبح في أثواب نسك وعفة

فأنت عليه منك أجرى من الورى
بما فيك من جهل وخبث طوية

تقول مع العصيان ربي غافر
صدقت ولكن غافر بالمشيئة



وربــك رزاق كـــمـــا هـــو غـــافـــر
فـلـم لـم تـصـدق فـيـهـمـا بـالـسـويـة

فـإنـك تـرجـو العـفـو مـن غـيـر تـوبـة
ولـســت تـرجـى الـرزق إلا بـحـيـلـة

○○○○○

بناء القبر أهم من بناء القصر!!

وبناء القبر بالمعنى الإيماني، هو أن يعمل الإنسان في حياته أعمالاً تقيه من عذاب القبر وتكون له جنة من فتنته، أما مادة بناء القبر فهي تذكر الموت تذكراً يحمل النفس على ترك المعاصي واجتراح السيئات، ويرتفع بها إلى التمسك بأهداب الدين وسلوك الصراط المستقيم.

قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله تعالى يقول: ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإن لم تفعل ملأت يدك شغلاً ولم أسد فقرك»، والاستعداد للموت لا يعني الانقطاع عن طلب الرزق الذي يكون عند الأتقياء والصلحاء وسيلة إلى حث النفس وتقويتها على التفكير فيما هي فيه من أمر وما ستؤول إليه عندما تفارقها الروح.

قال زين الدين بن علي المعبري، وهو من علماء القرن العاشر الهجري في كتابه «الاستعداد للموت»..

اعلم أن مما يعينك على ذكر الموت أن تذكر من مضى من أقاربك وإخوانك وأصحابك وأترابك الذين مضوا قبلك، كانوا يحرصون حرصك ويسعون سعيك ويعملون في الدنيا عملك، فقصفت المنون أعناقهم، وقلعت أعراقهم وقصمت أصلابهم، وفجعت فيهم أحبابهم فأفردوا في قبور موحشة، وصاروا جيفاً مدهشة، والأحداق سالت والألوان حالت، والفصاحة زالت والرؤوس تغيرت ومالت، ثم مع سائل يقعدهم ويسألهم عما كانوا يعتقدون، ثم يكشف لهم من الجنة والنار مقعدهم إلى يوم يبعثون، فيرون أرضاً مبدلة وسماء مشققة وشمساً



مكورة، ونجوماً منكدرة، وملائكة منزلة، وأهوالاً مذعرة، وصحفاً منشرة، وناراً زفرة، وجنة مزخرفة، فعد نفسك منهم، ولا تغفل عن زاد معادك، ولا تهمل نفسك سدى ؛كالبهائم ترتع ولا تدري.

شعراً:

يا باني القصر الكبير
بين الدساكر والقصور

ومجرد الجيش الذي
ملأ البسيطة والصدور

ومدوخ الأرض التي
أعيت على مر الدهور

أما فرغت فلا تدع
بنيان قبرك في القبور

وانظر إليه تراه كيف
إليك معترضاً يشير

واذكر رقادك وسطه
تحت الجنادل والصخور

قد بددت تلك الجيوش
وغيرت تلك الأمور

واعتضت من بين الحرير
خشونة الحجر الكبير

○○○○○

حديث النسيم

قال ابن غانم (واسمه عز الدين بن عبد السلام بن أحمد بن غانم المتوفى سنة ٨٧٦هـ تقريباً) في كتابه «كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار»، وهو كتاب شبيه بكتب المقامات من حيث المنهج التعبيري.

أقول: قال ابن غانم على لسانه «النسيم»: أنا رسول كل محب إلى حبيبه، وحامل شكوى العليل إلى طبيبه، وإن استودعت سراً أديته كما استودعته وإن حملت نشراً رويته كما سمعته، وإن صحبت مصحوباً لاطفته بلطائف إيناسي، ومازحته بصفاء أنفاسي، وإن طاب طبت، وإن خبث خبثت، ثم إني إن اعتللت صح بي العليل، وحيث ظللت طاب بي المقيل، وإن تنفست تنفس المشتاق، وإن ترنمت توسوس العشاق، فأنا لين الأعطاف، ولولا وجودي في الجو لجاف.

ولا تظن أن اختلاف أهوائي سبب إغوائي، بل أختلف في الفصول الأربع، لما هو أصلح لك وأنفع، فأهب في الربيع شمالاً فألقح الأشجار، وأعدل فصل الليل والنهار وأهب في الصيف صبا فأنمي الثمار وأصفي الأشجار وأهب في الخريف جنوباً، فتأخذه كل ثمرة حد طيبها، وتستوفي حق تركيبها وأهب في الشتاء دبوراً، ليخف عن كل شجرة حملها، ويجف ورقها ويبقى أصلها، فأنا الذي تنمو بي الأثمار، وتزهو بي الأزهار وتسلسل بي الأنهار، وتلقح الأشجار، وتروح الأسرار، وتستبشر الزوار بقرب المزار.

وقد ختم ابن غانم هذه المقطوعة النثرية الجميلة التي بيّن فيها ما للنسيم من دور في إصلاح معائش الناس وأحوالهم، بأبيات لم



يذكر قائلها مما يعطي الدليل القاطع على أنه هو الذي نظمها، وذلك لموافقتها لنص المقطوعة النثرية، من تلك الأبيات قوله:

يا طيب ما نقل النسيم بمسمعي
عن طيب ذياك المحل الأرفع

وافى لينشر ما انطوى من نشره
فسكرت من طيب الشذا المتضوع

ولربما اعتل النسيم إذا بدت
أنفاس وجدي المستكن بأضلعي

هب الصبا سحراً لتبرد علتي
فأثار نار تحرّقي وتوجعي

ما ذاك إلا أنها لما سرتْ
مرّت على تلك الرياح الأربع

وتحمّلت عرف الشذا من طيبها
فسكرت حتى لا أفيق ولا أعي

وفهمت ما لم تفهم العشاق من
سرّ الهوى وسمعتُ ما لم تسمع

وافت تبشرني بليل أنّها
في حسنها سفرتْ ولم تتبرقع

○○○○○

يخاف من الموت اثنان!!

ومهما يطل بالحي دهره فإنه إلى حوض المنيّة وارد لا محالة، ولكأس الحمام شارب، والصلحاء والأتقياء هم الذين يخافون عذاب الله ويرجون رحمته، وهم الذين لا يخافون الموت، كخيفتهم مما بعد الموت.

قال القشيري: سمعت أبا علي الدقاق يقول: دخلت على الإمام أبي بكر ابن فورك عائداً، فلما رآني دمعت عيناه فقلت له: إن الله يعافيك ويشفيك. فقال لي: تراني أخاف من الموت، إنما أخاف مما وراء الموت.

ويروى أن رجلاً دخل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فرآه قد تغير لونه من كثرة العبادة فجعل يتعجب من تغير لونه واستحالة صفته، فقال له عمر: يا ابن أخي، وما يعجبك مني؟ فكيف لو رأيتني بعد دخول قبري بثلاث، وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين، وتقلصت الشفتان على الأسنان، وخرج الصديد والدود من المناخر والفم، وانتفخ البطن فعلا على الصدر وخرج الدبر من الصلب، لرأيت إذ ذاك شيئاً أعجب مما رأيته الآن.

وكان بكر العابد يقول لأمّه: ليتك كنت بي عقيماً، إن لابنك في القبر حبساً طويلاً، وإنّ له من بعد ذلك رحيلاً.

أما الكفرة والفجرة والطغاة المردة الذين لا يرجون من الله ما يرجوه المؤمن من ربه فإنهم يخافون الموت خوفاً شديداً؛ لأن جحدانهم وكفرهم بالبعث قد ألقى في نفوسهم الرعب من الموت فاقتصر تفكيرهم



على أن الموت وسيلة الانقطاع الكلي من الملذات، وأنه موت ما بعده حياة ولا نشور.

ومما يناسب هذا الموضوع من الشعر ما أورده زين الدين بن علي المعبري في كتابه «الاستعداد للموت»، ومنه:

هو الدهر فاصبر ما على الدهر معتب
وليس لنا من خطة الموت مهرب

ولا بدّ من كأس الحمام ضرورة
ومن ذا الذي من كأسه ليس يشرب

وإن علياً ذمّها في كلامه
وطلقها والجاهل الغر يخطب

ولما أتى بالكوز والناس حضر
فقال لهم يا للرجال تعجبوا

ألا إن هذا الكوز فيه مواعظ
لمتعظ من ظلمة القبر يرهب[1]

فكم فيه من ثغر وعين كحيلة
وخدٍ أسيل كان يهوى ويطلب

وكم من عظيم القدر صارت عظامه
إناء ومنه الماء يا قوم يشرب

وينقل من أرض لأخرى هدية
فواعجباً بعد البلاء يتغرب

---

(١) هذا البيت وما بعده فيه إشارة واضحة إلى أن أي مصنوع طيني لا بد وأن يكون فيه شيء من رفات الإنسان الذي امتلأت الأرض بمقابره وامتزج ترابها برفاته.

من أشراط الساعة

روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل، ويكثر الزنى، ويكثر شرب الخمر، ويقلّ الرجال، ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم».

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اتُخذ الفيء دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وتُعلم لغير دين الله، وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وأدنى صديقه، وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القبيلة أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور، ولعن آخر هذه الأمة أولها؛ فارتقبوا ريحاً حمراء، وزلزلة، وخسفاً، وقذفاً، وآيات تتابع كنظام قُطع سلكه فتتابع».

وجاء في صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «ما تذاكرون»؟، قالوا: نذكر الساعة، قال: «إنها لن تقوم قبل أن تروا قبلها عشر آيات»، فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف خسفٌ بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

قال تعالى في سورة التكوير الآيات ١ ـ ٩: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾.

وقد نظم بعض الشعراء شيئاً من أشراط الساعة مقتبساً بذلك مفهوم هذه الآيات الكريمات، وغيرها مما يشير إلى أشراط الساعة وأهوال القيامة، فقال:

مثل لقلبك أيها المغرور
يوم القيامة والسماء تمور
قد كورت شمس النهار وأضعفت
حرّاً على رأس العباد تفور
وإذا الجبال تقلعت بأصولها
فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا العشار تعطلت عن أهلها
خلت الديار فما بها مغرور
وإذا الوحوش لدى القيامة أحضرت
وتقول للأملاك أين نسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت
وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا الجنين بأمه متعلق
خوف الحساب وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف لهوله
كيف المقيم على الذنوب دهور

ooooo

الندم على الغفلة وعض اليد على التسويف!!

والغفلة التي يندم عليها الإنسان ندامة ما بعدها ندامة هي تلك التي يواجهها في موقف لا يمكن الرجوع منه لتصحيح الخطأ الذي أوقعه في الغفلة، وكذلك التسويف في مجال العبادة فإن الإنسان يندم ندامة يعض يده عليها، وذلك حينما يرى تفريطه قد مثل أمامه من زاوية التسويف في زمن المُهلة والكسب والعمل، والغفلة والتسويف هما من الأسباب التي يظلم بهما المرء نفسه ظلماً يحاسب عليه ويعاقب في يوم توضع فيه الموازين، وتنشر فيه الصحف، وينصب فيه الصراط فيعرف الغافل ما أغفل ويرى المسوّف ما سوّف فيه.

خصوم مدعمة بالشهود تقطع كل احتجاج وترفض أي اعتراض. قال الله تعالى في سورة النساء الآية ٤٠: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

قيل: إنه لما حضرت لقمان الحكيم الوفاة بكى، فقال له ابنه: ما يبكيك يا أبت؟ فقال: يا بنيّ لست أبكي على الدنيا ولا على نعيمها، ولكن على ما أمامي من الشقة البعيدة والمفازة السحيقة والعقبة الكؤود، والزاد القليل، والحمل الثقيل، ولا أدري أيحط عني ذلك الحمل حتى أبلغ الغاية، أم أثقل حتى أساق إلى النار فلهذا أبكي.. ومات رحمه الله.

وتحت هذه الحكاية التي أوردها زين الدين بن علي المعبري، ساق أبياتاً من الشعر لم ينسبها إلى أحد من الشعراء، وإنما قال: وأنشد بعضهم، منها:

أراني إذا حدثت نفسي بتوبة

تعرض لي من دون ذلك عائق



قضيت حياتي في اشتغال وغفلة
وأعمال سوء كلها لا توافق

طردت وغيري بالصلاح مقرب
ودون بلوغي مسلك متضايق

وكيف وزلات المسيء كثيرة
أيقرب عبد من مواليه آبق

إلى اللّه أشكو قلب سوء قد احتوى
عليه الهوى واستأصلته العلائق

ولِلّه حزن زاد في كل لحظة
ودمع جفون للبكاء يسابق

فإن تغفر الذنب الذي قد أتيته
فذاك رجائي والظنون توافق

علامة ما يولي من الفضل إن أنا
هجرت الدنا أو قلت إنك طالق

○ ○ ○ ○ ○

الإنسان وليد ساعته ومقاله يوافق حاله!!

وإذا ما أردنا أن نعرف أحوال شخص ما فلا بدّ لنا من أن نستدرجه في الحديث من زاوية بعيدة، نوعاً ما عن الإدراك بما نقصده وما نريده منه حتى يجر الكلامَ، ويتصل الحديث بالحديث ويجري اللسان بما في الأفهام فيظهر كل متكلم حقيقة ما تنطوي عليه نفسه وبذلك يُعْلَم ما هو عليه من طبع وما يعانيه من أمر وما هو عليه من حال. وهذا الأسلوب يتخذ لكشف أحوال من يتحفظون على البوح بما هم عليه من واقع، وربما استخدمه المحققون الجنائيون مع المتهمين.

وأما الصرحاء الذين مقالهم في كل وقت يوافق ما هم عليه من حال ويكشف عن طبيعة أخلاقهم ويصف حياتهم ومنهاج تعاملهم فإنهم لا يحتاجون إلى استدراج، فصراحتهم قد كفت غيرهم مؤنة معرفة حالهم.

والذي أريد أن أصل إليه من خلال هذه التوطئة هو القول بأن اللسان يعدُ مغرافاً للقلب، وأنه يظهر ما يكنّه أو يكتمه.

والذي يراقب الناس أو ينفرد بدراسة شخص ما فيتحدث إليه عندما يرى الحياة ضاحكة له ثم يرصد عبوسها في وجهه ليتحدث إليه مرة أخرى، فإنه سيجد فرقاً كبيراً قد لا يخضع لنسبة القياس بين ما سمعه منه والدنيا ضاحكة له، وما سمعه منه وهي عابسة في وجهه، ولهذا فإن الإنسان وليد ساعته.

وبهذا المنظار نستطيع تمييز حالة الشاعر من خلال ما نقرؤه من قصائد له؛ لأننا نجد بعضها يتسم بطابع الرضا والارتياح، وبعضها يتسم



بطابع السخط والضجر وفي ذلك دليل واضح على أن المقال يوافق واقع الحال.

وينقل لنا الحريري في مقامته قول أبي زيد السروجي الذي كابد تقلبات الدهر وما ناله من: يسر، وعسر، ونفع، وضر، وأمن، وخوف، واستقرار، وتشرّد في قصيدة طويلة، منها قوله:

أنا من ساكني سرو
ج ذوي الدين والهدى
كنتُ ذا ثروة بها
ومُطاعاً مسوّدا
مُرْبَعي مألف الضيو
ف ومالي لهم سدى
قضى اللّه أن يُغَيِّـ
ـر ما كان عوّدا
بَوّأ الروم أرضنا
بعد ضغن تولّدا
فتطوّحت في البلا
د طريداً مشردا
والبلاء الذي به
شَمْلُ أنسي تبددا
استباء ابنتي التي
أسروها لتفتدى

○○○○○

دعوة الأم لا تتجاوز اللسان

ونحن نسمع الأمهات وهن يدعين على أولادهن بمجرد قيامهم بأي حركة غير مقبولة نوعاً ما، لكن هل دعاؤهن لفظي فقط؟ أو هو نابع من القلب وتدفعه أمنيات بالاستجابة؟ والجواب بالطبع وبلا أدنى شك: أنه لفظي بحت ولا يتجاوز طرف اللسان، وليس له في القلب مكان على الإطلاق.. بل هو كلام دارج على ألسنة بعضهن بدليل أنه يأتي في كثير من الأحيان منطلقاً من اللسان بلا سبب ولكنها العادة اعتادها اللسان وصار يطلقها بلا داعي ودونما سبب.

والذي يجهل معنى هذه السطحية في الدعاء، يحمل ما يسمعه من الأمهات من دعاء على أولادهنّ على أنهنّ صادقات فيما يدعين به؛ يشمئز وينكر ذلك ويعدّ تلك الأمهات من اللائي قد فرغت أفئدتهن من العطف والحب والحنان لأولادهن.

وما يوافق هذا الموضوع من الحكايات.. حكاية النعجة التي دعت على ابنها بأن يأكله الذئب، فترامى دعاؤها إلى أسماع ذئب قريب منها، فظنها موافقةً على أكل حملها، فهجم عليه فصاحت النعجة صيحة لَمّتِ الرجال والكلاب فأخبرهم الذئب أنه ما أقدم على افتراس الحمل إلّا بعد سماعه دعاء أمه عليه لكنهم طردوه وخلصوا الحمل من بين براثنه، أما النعجة فقد قالت للذئب: حتى وإن سمعتني أدعو فإن قلبي يقول: يا رب لا تقبل ما جرى على لساني من دعاء على ابني، وقد رصد أحد الشعراء هذه الحكاية في قصيدة طويلة ذكرها مؤلف كتاب «علم الأدب» جاء من ضمنها أن النعجة نادت حملها يوماً وهددته إن هو لم يجبها فإنها ستنادي الذئب ليأكله:



والأمُ لـــلـــوقـــت صـــاحـــت
عـــلـــى ابـــنـــهـــا.. قـــم.. تـــعـــالـــى

لأَجـــلـــب الـــذئـــب عـــنـــدي
يـــأكـــلـــك الـــيـــوم حـــالا

والـــذئـــب مـــذ ســـمـــع الـــقـــو
ل طـــاب نـــفـــســـاً وقـــالا

لا بـــدّ مـــن أكـــل هـــذا
وانـــقـــضّـــى فـــوراً وصـــالا

فـــصـــاحـــت الأم صـــوتـــاً
فـــي الـــدار لـــمّ الـــرجـــالا

حـــتـــى الـــكـــلاب أتـــتـــه
وجـــرّعـــتـــه الـــقـــتـــالا

ثم خاطبت النعجة الذئب قائلة له:

يـــا طـــامـــعـــاً فـــي الـــثـــريـــا
قـــد زدتّ مـــنـــهـــا ضـــلالا

أدعـــو عـــلـــى ابـــنـــي وقـــلـــبـــي
يـــقـــول: يـــا رب لا، لا

○ ○ ○ ○ ○

دور الحمار في النادرة

والحمار كثيراً ما يكون موضع تندر ونادرة.. فهو إما أن يقال على لسانه. وإما أن يجعل دابة الرجل الفكه.. وجحا هو الذي كثيراً ما يروى عن صحبته للحمار.. من ذلك قولهم في النوادر الجحوية:

وضاع حمار جحا فأقسم ليبيعنّه إن وجده بدينار واحد، ثم وجده وندم على حلفه، ولم يشأ أن يحنث في قسمه فاحتال عليه ليبر اليمين ويحفظ على نفسه ثمن الحمار.. وعرض الحمار في السوق وقد ربط إلى عنقه حذاء قديماً فجعل ينادي عليه: «الحمار بدينار والحذاء بعشرة دنانير ولا يباعانِ على انفراد» ويقال: إن أحد جيران جحا طلب إليه أن يعيره حماره، فاعتذر له بذهابه إلى الغيط.. ثم نهق الحمار وهو يكلمه، فعاتبه جاره قائلاً له: «أليس هذا حمارك ينهق في الدار؟ وأنت تزعم أنه ذهب إلى الغيط»!! قال جحا: «سبحان الله، تكذبني وتصدق الحمار؟»، ويقال: إنه ضاع حمار جحا فطفق يصيح وهو يسأل الناس عنه، ضاع الحمار والحمد لله، قيل له: فهل تحمد الله على ضياعه؟ قال: نعم لو أنني كنتُ راكبه لضعتُ معه ولم أجد نفسي.

ويروى أن جحا اشترى حماراً واقتاده بزمام طويل، فتغفله لصان، ذهب أحدهما وربط الآخر نفسه مكانه.. والتفت جحا فرأى إنساناً في مكان الحمار فاستعاذ بالله، وسأل أين الحمار قال: أنا الحمار، أعادني الله إنساناً ببركتك كما كنتُ بعد أن مسخني حماراً لدعاء والدتي علي.. فبارك له جحا وأطلقه وهو يوصيه بطاعة أمه ويحذره من العودة إلى إغضابها.. ثم عاد إلى السوق بعد برهة ليشتري حماراً غير الإنسان

الممسوخ، فرأى الحمار بعينه في يد الدلال، فمال على أذنه وهمس فيها قائلاً: لن تنفعك بركتي بعد مسختين، ولن أشتريك وأنت بهذا العصيان.

ويقال: إنه كان للأستاذ عثمان لبيب حمار يركبه فسرقه اللصوص، وبلغ الخبر محمود سلامة صاحب جريدة «الواعظ» فرثى الحمار المسروق وواسى صاحبه بقصيدة منها قوله:

قف بسوق الحمير وانظر مليّا
هل ترى أدهماً أغَرّ المحيّا

خلسته يد اللصوص صباحاً
موكفاً ملجماً معداً مهيا

فخلا اصطبله وأصبح قاعاً
صفصفاً خاوي العروش خيّا

كان (يا حسرتا عليه) صبوراً
قانع النفس راضياً مرضيا

كما ليالي على الطوّى قد طواها
حامداً شاكراً ولم يشك شيا

لا لفقر وضيق عيش ولكن
كان في الزهد راغباً وتقيا

ليت شعري أين الأمان وهذا
جحش عثمان قد عدمناه حيّاً

كان عوناً له إذا رام ظعنا
وخليلاً لدى المقام صفيا

○ ○ ○ ○ ○



المداعبة. والخروف الهزيل!!

والناس في جملتهم يحبون المداعبات ويميلون إلى قراءة ما هو مدون منها خاصة إذا كانت المداعبة متبادلة بين شخصين متكافئين في صنعها.

والمداعبة إذا جاءت عفوية وغير متصنعة، فإنه يكون لها معنى وجاذبية متميزة ومن أجل رغبة القارئ وتذوقه لفن المداعبة التي تمثل أدباً رفيعاً اهتم المؤلفون القدامى والحداثيون اهتماماً بالغاً فراحوا يتصيدونها ويسجلونها في مؤلفاتهم. وذلك يقيناً منهم بأن القارئ يعدّ وجود المداعبة الطريفة، والفكاهة، والنادرة، فيما يقرأه من كتب وسيلة من الوسائل المشهية للقراءة.. بل ربما حسبها أحدهم محطة استراحة ينتهي إليها بعد عناء من القراءة المتعمقة.. ومنطلقاً لقراءة جادة ذات تمعن وتدبر.

والباحث في معرفة من يميل إلى المداعبة من أصحاب الصناعة الأدبية.. أهم الشعراء، أم الكتاب والأدباء؟.. لا يخرج بنتيجة تمثل فارقاً في المقارنة بينهم لأن كلاً منهم قد ضرب بسهم في ذلك الفن.. ولعل تفوق الشعر الذي نلحظه يأتي من باب أن الشعر يفرض نفسه في البقاء في أذهان الرواة، أكثر من النثر وبالتالي فهو أكثر حضوراً في المؤلَّفات الأدبية.

ومن صور المداعبات ذات الأدب الرفيع ما يروى: أن السيد برهان الدين الكحال أهدى إلى صديقه ابن عنين خروفاً وهما يومئذٍ بمصر فوجده ابن عنين ضعيفاً هزيلاً، فكتب إلى الكحال هذه الأبيات:

أتـتـنـي أيـاديـك الـتـي لا أعـدهـا
لـكـثـرتـهـا لا كـفـر نـعـمـى ولا جـهـل

ولـكـنـنـي أنـبـيـك عـنـهـا بـطـرفـة
تـروقـك مـا واتـى لـهـا قـبـلـهـا مـثـل

أتـانـي خـروف مـا شـكـكـت بـأنـه
حليف هوى قد شفه الهجر والعذل

إذا قـام في شـمـس الـظـهـيـرة خـلـتـه
خـيـالاً سـرى في ظـلـمـة مـا لـه ظـل

فـنـاشـدتـه. مـا تـشـتـهـي. قـال قـتـة
وسـاءلـتـه. مـاشـفـه؟ قـال لـي. الأكـل

فأحضرتها خضراء مجاجة الثرى
مـسـلـمـة مـا خـص أوراقـهـا الـفـتـل

فـظـل يـراعـيـهـا بـعـيـن ضـعـيـفـة
وينشدها والدمع في العين منهلل

أتت وحياض الموت بيني وبينها
وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

○ ○ ○ ○ ○

ماذا يعني عيد الفطر.. ومن الذي يحتفي به؟!!

ويحل رمضان المبارك سيد الشهور، ومزرعة الأعمال الصالحة فينقسم الناس في آدابه وعباداته إلى قسمين: (وأعني بالناس الذين يوجبون صيامه) فقسم يصومه عادة أو مجاملة مع من يعايشه أو استحياء من مجتمعه الذي يراه صائماً.

أما القسم الثاني من الناس الذين يصومون رمضان.. فإنهم يصومونه إيماناً بفرضيته واحتساباً لأجره. وتحرّياً لنفحات فارضه جل شأنه، يقطعون نهاره بالعبادات وقراءة القرآن: وليله بالقيام والتهجد التماساً للرحمة وخوفاً من العذاب.. وهذا القسم من الناس ينتظر العيد بلهف وشوق ليواسي فيه الفقراء بما يستطيعه من صدقة يقرضها ربه ويختم بها صيامه إيماناً منه، واعتقاداً بأن الله سيدخرها له ويجزيه بها يوم تنشر الصحائف وتوزن فيه الأعمال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾. أما الذي يصوم رمضان صيام عادة لا عبادة فإن شهر رمضان شهر يكون طويلاً عليه فتراه يفرح بقدوم العيد ليبدأ منه إطلاق شهوته في ملذات الدنيا علناً، فكأنما هو قد أدخل نفسه بفعله هذا في مجموعة الشياطين الذين يكبلون في شهر رمضان.

ولقد وصف بعض الشعراء هذين النوعين من الناس في قصائد يصعب حصرها وذلك لأن رمضان مناسبة روحية كريمة تتكرر كل سنة.. والشعراء يغتنمون حلوله فتراهم (وأعني بذلك الشعراء الإسلاميين) يعربون عن فرحتهم بقدومه ويحثون الناس على اغتنام نفحاته والتماس



المثوبة والأجر من الله بصيامه وقيامه والصدقة فيه. يقول الشاعر التونسي حسين الجزيري في قصيدة له عنوانها: «اختر لنفسك»:

سبع وعشرون ولّتْ من لياليه
شهر الصّيام وهذا العيد تاليه

أراك يا صاح في لهو وفي نرح
هل أنت تزهو بغرضٍ كدتَ تنهيه

أم تحتفي بوداع الصوم مبتهجاً
تودّ أن ينقضي في التّوّ باقيه

تقول إن صيام الشهر أرهقني
وكنتُ في حرج قَسراً أعانيه

أم أنت ترقب عيد الفطر محتفلاً
بما له من ضروب البرّ تنويه

فإن نسيت بشهر الصوم ما أمرت
به الشريعة من إحساننا فيه

فاذكر متى حلّ يوم العيد بائسة
لها يتيم بما يعطى تمنيه

واذكر كئيباً يرى عيداً وليس له
في يومه غير دمع العين يذريه

○ ○ ○ ○ ○

خادمة بين عطف مستخدمها وحنينها إلى أولادها!!

وكثيراً ما يتحسس الشعراء مشاعر الناس، ويلتمسون بوسائلهم الفكرية التي تشبه في فعلها ما تفعله مؤشرات الاستشعار لما يخالج نفوس الناس من حولهم. فيرسمون الصورة التي تمثل حقيقة الانفعالات النفسية التي تظهر من خلال تصرفات الأشخاص الذين تتجه نحوهم مؤشرات الاستشعار التي يسجلون بها واقع الأشياء التي تشير إليها أثناء تذبذبها إشارة فيها دلالة على أن تلك الأشياء تنطوي على شيء غير عادي، فيحددون موقع الخطر في عبارة صادقة.

والذي جلب هذه الخاطرة التي أدعو فيها كل من لديه أجير أن يحسن إليه ويعطف عليه عطفاً ينبع عن إدراك بأن لهذا الأجير نفساً ومشاعراً وأن له أحاسيس يجب أن يؤخذ لها اعتبار يزيد من حبه للعمل والإخلاص في ممارسته بنفس تطمئن إلى أن هناك من يقدر حقها تقديراً قائماً على مبادئ الإسلام الذي يحث الناس على حسن التعامل. أقول: إن الذي جلب تلك الخاطرة هي تلك القصيدة التي نشرتها جريدة «المسائية» في عددها ٢٧٣١، الثلاثاء ١٥/٦/١٤١١هـ، للشاعر السعودي خالد بن سعود الحليبي تحت عنوان: «رسالة خادمة إلى أولادها» وهي قصيدة طويلة تنيف على ثلاثين بيتاً. وفيها أفصح عن مشاعر خادمة مستقدمة من بلاد بعيدة كانت تناجي أولادها وتقرر بأنها ما تركتهم إلا من أجل العمل والحصول على لقمة عيش لهم. وتعترف في نفس الوقت لمستخدمها بحسن المعاملة، ويقول في مستهل تلك القصيدة:

هجرت مهد الصبا والموطن الحاني

وعفت من أجلكم روحي وريحاني



مضيت والشوق حاد في ركائبه

وحبكم زورق في نهر شرياني

ثم ينقل صورة لحال تلك الخادمة، حيث لا تدري ما الذي ستواجهه في البيت الذي ستعمل فيه:

وسرت أجهل دربي نحو صاحبة

أم نحو زنزانة في ظل سجّان؟

لكنها وهي توجه الخطاب إلى أولادها، تطمئنهم بأنها قد وفّقت إلى العمل في بيت يفيض بالحنان عليها، وقد شبهته ببيتها:

لكن رحمة ربي وهي غالبة

آوت حبيبتكم في بيتها الثاني

فضمني منزل طابت سرائره

في كل قلب له للخير نبعان

يذيب خوفي نبع من سماحتهم

وترتوي غلتي من نبع تحنان

ثم تصف المعاملة التي تعامل بها وكأنما هي بنت لربي البيت وأخت لأبنائهما:

فالأم أمي ورب البيت تشملني

منه الرعاية شان الوالد الحاني

أحسست أني كبنت من بناتهم

وأن فتيتهم صاروا كإخواني

○○○○○

حديث الطاووس برواية ابن غانم!!

لقد حاور الشيخ عز الدين بن عبد السلام بن أحمد بن غانم؛ الطاووس في قطعة نثرية جميلة غلب على أسلوبها طابع السجع حيث قال: رأيت الطاووس وقد شرب من الخمر كؤوساً، وقد لبس من ملابس التلبيس، وهو الذي عاد عليه شؤم إبليس، قد زين ريشه ألوان، وفنن عيشه أفنان لا يلوي إلى الجنان، والله أعلم ما في الجنان. فقلت له: ويحك، كم بينك وبين البوم في الحظ المقسوم. أنت أيها العاني نظرت في الصور وهو نظر في المعاني. واغتررت بالأماني، وفرحت بالفاني. فقال لي: يا عاني، يا من هو بالشماتة نعاني، لا تظهر لي الشماتة، ولا تذكر الحزين ما فاته.

فقد قيل في الخبر: «ارحموا عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر» أين كنت وأنا بالجنان أطوف بين الجداول والقطوف، وأدُور دورها، وأدخل قصورها، وأزور ولدانها وحورها. شرابي التسبيح، وطعامي التقديس. حتى ساق القدر المقدور إليّ إبليس. فألبسني ملابس التلبيس، وعوّضني بالخسيس عن النفيس. هذا وأنا لمراده كاره، ولكن القدر يوقع في المكاره، ويُنفّر الطير عن أوكاره. ولقد كان إبليس يرفل في حُلل قربه. فما تركه شؤم رأيه. حتى تاه على آدم بعجبه. وكانت لي معه في تلك القضية. قصة غير مرضية. فأوقعني في الخطيّة. وما أطلعني على ما له من خبث الطوية. غير أني كنت له دلالة. وكانت الحيّة في دخوله الجنة محتالة. فأخرجت معه من ديار العز إلى ديار الإذلال، وقبل هذه أجرة الدلال، وجزاء من عاشر الأنذال، ثم أُبْقَيِتْ على زينة ريشي، أتذكر بها ما كان من صفو عيشي، فيزيدني ذلك تحرقاً وتشوقاً وإلى الجنة

تلهفاً وتتوقاً. ثم جُعلتْ علامة السخط في ساقي، لأنظرها كل حين بأحداقي، وينادي عليّ تنقض ميثاقي. ثم ألفت من البقاع بقعة تشاكل ما أخرجتُ منه. وطردتُ بشقاوتي عنه. فأتذكر البساتين مرابع ربوعي وأجري عليها سواكب دموعي. وألوم نفسي التي كانت سبب وقوعي. وأقول كلما تذكرت تفريق جموعي:

يا دار هل يقضى لنا برجوعي
ويعود لي يا عين طيب هجوعي

يا سادة كاد المشوق لبينهم
يقضي أساً في ساعة التوديع

قلبي ليوم فراقكم متوجع
وارحمتاه لقلبي الموجوع

فرّقتمو ما بين جفني والكرى
ووصلتمو بين الأسا وضلوعي

جسمي معي والقلب بين خيامكم
ما ضركم لو كان ثم جميعي

وإذا ذكرت ليالياً سلفت لنا
في وصل أحبابي وظل ربوعي

فأكاد من حزني أذوب صبابة
لولا تجود عليّ فيض دموعي

ووعدتموني في الخيال بزورةٍ
فتضاعفت حُرَقي وزاد ولوعي

○○○○○

شباب.. وشباب!!

ويكاد الشباب ينقسم على نفسه في كثير من المجتمعات إلى قسمين: قسم يلتزم بصفات التخنث والميوعة، والتكسّر في المشية والحديث، فتراه من خلال هيئته وتصرفه يحاول الاتصاف بصفات الأنوثة فسمح للكسل أن يبيت في عظامه فارتخت أعصابه بسبب الخلود إلى الراحة واستطابة العيش في كنف وليه ولم يكلف نفسه مشقة التعب في الحصول على لقمة العيش.. حتى إذا ما عاد إلى نفسه يخاصمها وهو واضع إصبعه في فمه يعضها ندامة وحسرة على الأيام التي فرطت منه في شبابه ولم يستغلها استغلالاً يمثل حجر الزاوية لمستقبل أيامه وسنى عمره، أخذ يكرر عبارات الأسى على فوات الأوان، وهذا النوع من الشباب يعد خسارة على أمته في الميزان الاجتماعي، بل ربما كان موضع إشارة ذل وانهزام لحياة أمته العملية التي لا تقوم في الأصل إلّا بسواعد الشباب، ولقد وصف الشاعر فؤاد حسن الخطيب هذا النوع من الشباب في أبيات من قصيدة له عنوانها «السهم الصائب»:

ويح الشباب فكم تأنق مترف
منهم فأصبح كالكعاب الرّود

ألف التّطرف في التّظرف ممعاً
صقلاً وتَطْريةً وحفّ خدود

غلبت رخاوته عليه فأصبحت
غُنجاً يميع بقدّه الأملود

خلع الرجولة عنه فهو كأنه
حسناء لم يعوزه غيرُ نهود

وقسم من الشباب تبدو عليه علامات الرجولة منذ نعومة أظفاره، فتراه يعشق الخشونة ويبتعد عن الميوعة في عزم وتصميم على مواجهة الحياة بأسلوب الرجال الذين يتمتعون بنتائج أفعالهم التي أهلتهم للمراكز القيادية، فصاروا رمزاً للمواقف التي ينثني دونها الأذلاء والاستسلاميون الذين أضاعوا شبابهم إضاعة جعلتهم جبناء لا يواجهون المواقف التي تتطلب مضاءة القلب وصدق العزيمة على مواجهة الحياة. وهؤلاء قد أشار إليهم الخطيب في قصيدته التي سبقت الإشارة إليها ووصفهم بأنهم رجال الغد وعماد حياة أوطانهم، وذلك بعكس الصورة التي رسمها في الأبيات السابقة، وذكر فيها صفة الشباب الذي خلع الرجولة ومال إلى الغنج والميوعة، يقول:

إن الشبيبة في الشباب أمانةُ
للّه فيه وفي الغد المنشود

أو يعقد الوطنُ الرجاء بمثله
ويخون عهد رجائه المعقود

إن الشباب هو الحياة بأسرها
إن البعيد عليه غيرُ بعيد

ومن البلية أن يجشمه الهوى
وزر التهتك بابنة العنقود

○○○○○

الاختلاط نار وفتنة!!

وواقعُ حال النساء أنهنَّ شقائق الرجال، وهذا هو سر بقاء الإنسان.. إذ لو لم يكن هناك توازن بين الرجال والنساء من حيث المفهوم العددي والتركيب الجنسي لانقرض الإنسان.. ولكنها إرادة الله في خلقه، فسبحانه من خالق جعل من كل شيء زوجين ذكراً وأنثى، وجعل القوامة في بني آدم للرجال على النساء، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ الآية [النساء: ٣٤].

ومن مفهوم هذه الآية الكريمة يتحقق أن للمرأة صلاحيات غير صلاحيات الرجل وأن لها أعمال تناسبها من حيث تركيبها الفطري، وتكوينها الجسمي. فكانت بحكم ذلك التكوين موضع العناية من قبل الرجل، وتحمّل بقوامته عليها أعباء الحياة التي من ضمنها المحافظة عليها وحمايتها والدفاع عنها وتأمين متطلباتها.

وإذا ما تمردت المرأة وعكست ذلك الواقع بخروجها عن الطاعة ورفض القوامة من الرجل عليها بكسر طوق مسؤوليته عن صيانتها، كسراً يجعلها تخرج من بيتها لتزاحم الرجال في الأسواق ولتخالطهم في ميادين العمل ومؤسسات التعليم وتقف إلى جانبهم في سوح الحياة دونما خجل يعتريها أو وجل ينتابها، بسبب تخليها أو خروجها بالأصح من دائرة اختصاصها فإن ذلك أمر ينذر بفشل الحياة الاجتماعية ويحقق تصدعاً في قاعدة الأسرة، وبروز هذه العكسيات لواقع المرأة التي جرفتها مظاهر الحياة المعاصرة التي أخذ التحلل الخُلقي فيها مركزاً رئيسياً ودوراً بارزاً فغرقت الفضيلة في ضحله وذابت الغيرة والشهامة في

وحله، حمل الأباة على إطلاق صفارات الإنذار وعبارات التحذير من سوء مغبة اختلاط النساء بالرجال.

ولعل أحدث ما قرأته من شعر حول هذا الموضوع، هي القصيدة المنشورة في «المجلة العربية» في عددها ١٥٤، ذو القعدة سنة ١٤١٠هـ، للشاعر محمد البلغمي من المغرب، والتي منها قوله:

ضل النساء سبيلهنّه
لما تُركن وشأنهنّه

وتفاقم الداء الوبيلُ
وساد بين جموعهنه

فتصدت الأقلام تنـ
شد بالكلام علاجهنه

ومنها قوله:

ليست مصيبتهن في
عمل ولا تعليمهنّه

أبداً ولا بلزومهن الـ
بيت أو بخروجهنّه

إن المصاب في الاختلا
ط فإنه نار وفتنة

ومنها قوله:

إن الحيَاء هو السيا
ج لحفظ سر جمالهنّه

فإذا أزيح فلا خلا
ص ولا سبيل لردهنّه

رفض معقول

ومسألة الزواج، مسألة طال البحث فيها والأخذ والرد، وتكاد تدور على محور واحد هو البحث في ظاهرة العنوسة من الجنسين.

وتشير بعض نتائج البحث في أسباب العنوسة إلى أنه لم يعد للتوافق مبدأ بين الجنسين، وذلك لوجود تخوف لدى كل منهما من الآخر خاصة إذا كان كل منهما يجهل صاحبه ولا يعلم عنه شيئاً حيث دبّ الضعف في الروح الأخلاقية، وامتهنت لدى البعض من الجنسين.. ولذا فإن البعض الذي تسمو به الأخلاق وترتفع النزاهة بنفسه من كليهما يخشى أن لا يجد هذه الصفات في صاحبه عندما يتم الزواج فتكون الندامة، وتحل الخسارة، وتمنى العلاقة الزوجية بالفشل وتحل الكارثة التي تفصم الرباط بالطلاق، والشاعر التونسي حسين الجزيري عالج هذه القضية في قصيدة ضمنها ديوانه «ديوان الجزيري»، بأسلوب قصصي بديع ارتكز على الحوار بين الأم التي حَضّت ابنها على الزواج حتى أبدى موافقته، وبين الأب الذي راح يخطب لابنه بنت صديقه، وصديقه الذي رفض الخطبة وطعن في المخطوب له. وبَيّن أسباب رفضه للخطبة، وأظهر معائب ولد صديقه التي تحول دونه ودون تأهيله للزواج من ابنته، من تلك القصيدة الاجتماعية التي يعايشها الجنسان من بعض شباب عصرنا قوله:

أم تحض على الزواج وحيدها
وتبين عائدة الزواج وتشرح

هلّا مللت بنيّ عيشاً موحشاً
هلّا أراك إلى اقتران تطمح؟





إنـي أودّ لـك الـهـنـاء وحـبـذا
يـوم أراك تـزفّ فـيـه وأفـرح

وقوله:

ما طال بينهما الحوار وقد بدا
منـه القبـول وقـال إنـي أسـمـح

ومضى أبوه إلى صديق خاطباً
بنتاً له في صيتها لا يقدح

لكن والدها تولى معرضاً
وأبى الإجابة شأن من لا يمنح

قال اتئد لا تغضبنّ وإن ترد
منيّ الصراحة ها إليك أصرح

قد لا تشرفني مصاهرة امرئ
ألقاه في وادي المحرم يسبح

وهذه الإجابة من أب البنت كانت مسكتة لصديقه لأن طعنه في ابن صديقه كان واقعياً ولا يمكن نفيه.. وهكذا تكون الإجابة إذا كان معيار التكافؤ مفقوداً من حيث الخلق أو الدين.

○ ○ ○ ○ ○

حدث مفزع

وفي مطلع عام ١٤١١هـ، كنت قد بدأت في إعداد الجزء الخامس من كتابي «الأدب المثمن»، والذي أشرت في مقدمته إلى أنه يضم موضوعات متنوعة.. ووصفت تنوعه وتعدد اتجاهاتي في كتابة موضوعاته بالبستان المختلف الأزهار.

والحدث المفزع الذي فرض علي ترك المراجع والمصادر التي أستقي منها مادة «الأدب المثمن»، وأتجه بكليتي إلى رصده هو ذلك الذي هزّ عالم الأرض هزة عنيفة تمخضت وبسرعة هائلة عن رفع صوت الاستنكار، وشجب ذلك التصرف العدواني المخالف لمبادئ وأحكام هيئة الأمم المتحدة الذي يحرم اعتداء دولة على أخرى، أو محاولة ضمّها إليها عن طريق القوة واستخدام السلاح.

ترى ما هو هذا الحدث الذي ضجت لوقوعه وشدة وقعه، وعنف تنفيذه دول العالم؟ إنه بغي صدام حسين رئيس الجمهورية العراقية على الكويت بانتهاك ميثاق الأمم المتحدة الذي يحرم ضم جزء من دولة إلى دولة أخرى عن طريق القوة فضلاً عن ابتلاع دولة كاملة لها سيادتها وعضويتها في مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة، وذات كيان وسيادة دولية، وموقع جغرافي من العالم.

والذي يلقي نظرة عابرة على خريطة العالم يتبين له أن الكويت بلد مجاور للعراق وأنها أصغر من العراق في الحجم المساحي والسكاني.. لكن الله حباها نعمة تدفق البترول فيها فكانت أكبر من العراق حجماً في الميزان التجاري والاقتصادي.. ومن أجل هذا بغى نظام الحكم القائم في العراق في هذا التاريخ على الكويت فكان الاحتلال الذي

استنكره العالم بجميع دوله ومنظماته ومؤسساته. وجماعاته وأفراده.. وقد كان لهذا الاستنكار صدىً مدوياً في عالم الدنيا استجابت له مشاعر أصحاب الأقلام بما فيهم من صحافيين وكتاب وأدباء وشعراء.

وكانت أول قصيدة مدوية تشجب هذا الظلم والعدوان، وتذكر بما للكويت من مواقف تتسم بالدعم المادي والمعنوي للعراق أثناء حربه مع إيران وقبلها وبعدها، هي قصيدة معالي الدكتور غازي عبد الرحمٰن القصيبي التي نشرت في أكثر من جريدة، منها قوله مخاطباً صدام:

عجباً كيف اتخذناك صديقاً
وحسبناك أخاً برّاً شفيقا

وأخذناك إلى أضلاعنا
وسقيناك من الحب رحيقا

واقتسمنا كسرة الخبز معاً
وكتبنا بالدما عهداً وثيقا

وزرعناك على أجفاننا
ونشرنا فوقك الهدب الوريقا

ومنها قوله:

جيشنا كنت!! أجب يا جيشنا
كيف ضيّعتَ إلى القدس الطريقا

ذلك العملاق ما أبشعه
في الدجى يغتال عصفوراً رقيقا

مُسخ الفارس لصاً قاتلاً
مسخ الفارس كذاباً صفيقا

رحمة اللّه عليه إنه
مات هل عاش الذي خان الرفيقا

اقرأ يا صدام مالك في الأمثال من مقام

يا صدام حسين: إن السباحة عكس مجرى النهر مشقة وعناء بالإضافة إلى إنها دليل على سخافة العقل ورداءة التفكير.. وتصرفك المنتهي بغزو الكويت واحتلاله، واستباحة مقدراته وفعل كل محرم على أرضه هو سباحة بعكس مجرى النهر الذي يمثل الإجماع الدولي يا صدام، إن الذبابة التي تقع على كفة الميزان والكفة الأخرى من الميزان تحوي صنجاً قوامها عشرات الكيلوات.. وتريد تلك الذبابة أن تشيل كفتها بالأخرى وذلك بالتثاقل عليها ظناً منها أنها سترجح بالكفة التي بها الصنج هو من الأشياء المضحكة، وهو في المقابل يمثل معاندتك للإجماع الدولي على انسحابك من الكويت بلا قيد أو شرط.. وترك الكويت للكويتيين حكومة وشعباً.

يا صدام حسين: يروى أن بعوضة أرادت أن تقع على عسيب نخلة فقالت في تعالٍ على النخلة: إني سأقع على عسيبك فاثبتي حتى لا يسبب وقوعي على عسيبك اختلالاً في توازنك فأكون سبباً في سقوطك، فضحكت النخلة من ذلك القول، وكاد القارئ لهذه الطرفة ذات المغزى أن ينساها، فجئت يا صدام لتقف من ذلك الإجماع الدولي على انسحابك من الكويت بلا قيد ولا شرط موقف تلك البعوضة من النخلة، فتكررت الضحكة الساخرة من استخفافك بالقوة الدولية بما فيها القوة العربية.

يا صدام حسين: لو أردنا أن نقرب الصورة التي أنت عليها الآن ونقارنها بنوع من أنواع الرياضة.. لكنت في لعبة شد الحبل.. كذلك الضعيف الذي أمسك بطرف الحبل بمفرده، وجميع من حوله أمسكوا

بالطرف الآخر وأخذت في عناد تشاددهم وتقاويهم فما هي النهاية التي تتصورها؟. لا شك أنك تتصور أنك لو أبقيت يديك ممسكة به فمصيرك إلى السحب والسحل لا محالة. وإن أطلقته فستندم على تحدّي الجميع دونما سند أو مبدأ يقيل عثرتك ويقبل توبتك.

يا صدام حسين: لقد جرى بسبب فعلك سباق في ميدان الشعر على ألسنة جميع شعراء العرب فهاك هذه الأبيات من قصيدة طويلة للشاعر علي حسين عامر، نشرتها جريدة «المدينة» في عددها ٨٥٢٩، يوم الجمعة ٢/٣/١٤١١هـ:

صدام لا تجزع فكم من ظالم
لقي المنية طائعاً مختارا

ماذا أقول وأنت أكبر ظالم
بل مجرمٌ حسب الظلام نهارا

هَتَكْتَ أعراضاً بنشوة عابثٍ
وذهبت تضرب يمنة ويسارا

بجحافل قد سقتها لكريهةٍ
بجهالة المجنون يشعل نارا

وظننت يا دجال أنك فاتح
والسيف في يمناك يقطر عارا

وزعمت يا مأمون أنك ملهم
ونسيت كونك فاجراً كفّارا

فتجرع الكأس المريرة واتعظ
وترقّب الزّلزال والإعصارا

وانزل مع الشيطان في نزعاته
واختر لنفسك في الجحيم قرارا

سيرة الضحاك تعيد نفسها في شخص صدام حسين!!

وإذا ما أردت البحث عن سيرة طاغية تنطبق على صدام حسين، فإن قصة الملك الفارسي (بيوراسب) الملقب بالضحاك، هي الموافقة له من حيث الظلم وتصفية الأجساد بغير ما أنزل الله.

وخلاصة تلك القصة هي أن (أفريدون بن ثفيان من ذوي خمشيد وأحد ملوك العجم) اتفق مع كابي الأصبهاني على قتل الملك (بيوراسب) الملقب بالضحاك، والسبب أن الضحاك هذا كان ساحراً ظالماً جائراً معتدياً مستبداً، وكان كل يوم يذبح رجلين ليطلي بدمائهما لحمتي منكبيه الناتئتين اللتين كانتا تضربانه، ولا تسكتان بدون ذلك (كان يظهر للشعب أنهما حيتان على سبيل التهويل) وما هما إلا لحمتان طويلتان.. فما زال على هذا الظلم الفاحش حتى وصل إلى قتل أخوين في يوم واحد هما: ولدا كابي الأصبهان، فهاج الأمر كابي والدهما فنشر جرابه على هراوته ودعا الآخرين إلى إنقاذ الرعية من ذلك الذئب الضاري، فلبى دعوته أناس كثيرون يتمنون ما يربحهم من الضحاك وكان أفريدون بن ثفيان في ذلك الحين مختفياً من وجه الضحاك فأتى كابي أفريدون واتفق معه على قتل ذلك الظالم، فهرب الضحاك من أمامهما وتولى أفريدون على أملاكه، وما زالا يبحثان عنه حتى قتلاه.

فلما كان الظفر لكابي تفَاءلوا بجرابه الذي نشره كالعلم فعظموه حتى صار علم ملوك العجم الأكبر وكانوا يتبركون به ويسمونه (در فشن كابيان). ولم يأت الضحاك في كل مدة ملكه التي امتدت نحواً من ستين سنة، بحسنة واحدة وأعجب من ذلك أن أمه كان تغريه بالظلم

وإذا أراد عمل حسنة منعته ووبخته، ولما استقل أفريدون بالملك ولى وعزل وحكم بالعدل والإنصاف حتى أجمعت رعيته على حبه وإخلاص طاعتها، لأنه رد لهم ما غصبه منهم الضحاك، وأزال المظالم ووطد العدل وهو أول من ذلل الفيلة وامتطاها، وعمل الترياق ونظر في علم الطب وكان له ثلاثة أولاد: قسم عليهم ملكه قبل موته، وأعطى تاجه وسريره إلى أصغرهم لأنه كان يحبه أكثر من إخوته. ومن أقواله: الأيام صحائف أعمالكم فخلدوها أحسن أعمالكم.

ويقول: المحسن معان، والمسيء مستوحش، والحريص محروم. من كتاب «الإعجاز والإيجاز» للثعالبي.. فهل من شبيه لكابي وفريدون في بغداد اليوم فيريح الإسلام والمسلمين من فتنة هذا الطاغية الذي أجمع العلماء على مروقه من الدين وإباحة قتله!!؟ إننا ننتظر من البغداديين الشرفاء الذين عرفوا برفض الظلم وردع ذلك الظالم..

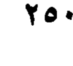
(شعراً) ومما قيل في صدام حسين من أشعار هذه الأبيات من قصيدة نشرتها جريدة «الجزيرة» في عددها (٦٦١٠)، وتاريخ ١٦/٤/١٤١١هـ، للشاعر عبد الحليم بن إبراهيم العبد اللطيف:

صدام أبشر بالهزيمة صاغراً
والظلم مشؤوم العواقب مذ بدا

صدام لا تعدم وقيعة شانئ
سماك أهل الفضل جلفا مفسدا

تكريت لم تنجب ليوثاً في الوغى
بل أفرزت هذا الزنيم الملحدا

تكريت لا ترجون سقطاً ملحداً
جمع النذالة والسفالة والردى





يا مجرماً في الحرب أسوأ قائد
في الرافدين مدمراً ومعربدا

علج العلوج وداعر ومجاهر
بالفسق أخبث من نرى متردداً

قتل المروءة والديانة عنوة
وأباح دار العز كلباً أجردا

تالله ما عمل الصليب كفعله
أبداً وهذا القزم دكا المسجدا

○○○○○

صدام ضمير ميت في هيكل حي!!

قيل: إن الحكيم زينون بن طالو طاغورس كان يقول: لا تخف موت البدن ولكن خف موت النفس. فقيل له: لم قلت ذلك والنفس لا تموت؟ فقال: إذا انتقلت النفس الناطقة من حد النطق إلى حد بهيمي وإن كانت جوهراً لا يبطل، فإنها قد ماتت من العيش العقلي. ومن هذا المنطلق يكون من الجائز لنا تشريح شخصية صدام حسين وهيكله، لنرى ما الحي منه وما الميت.

وقد يقول قائل: ولكن كيف تعرفون ذلك، وهو مختبئ الآن داخل سراديبه؟ والإجابة على ذلك لا تحتاج إلى بحث طويل؛ فالعرب تقول: البعرة تدل على البعير، ولهذا فإن العمل الذي يقوم به صدام حسين والأوامر التي يصدرها ونسمعها بين الحين والآخر، والتصرفات غير المعقولة التي نشهدها، هي بعينها تشريح واضح يبين لنا أن داخله ميت قد عدم الإحساس بكل شيء له علاقة بالإنسانية، فلا رأفة، ولا عطف ولا حرمة، ولا حنان، ولا أخوة، ولا صداقة، ولا كرامة، ولا أنفة، ولا نخوة، ولا خلقاً، ولا ديناً؛ يتمتع به شخصه، ومصداق انتفاء هذه الخصال من نفسه يتمثل فيما فعله برفاقه وما فعله بالمسلمين في حلبجة حيث جرّب فيهم المواد الكيماوية فجعلهم صرعى في الشوارع والميادين والحقول وداخل البيوت وفي كل مكان من حلبجة. وتسأل لماذا؟ فلا تجد إجابة إلّا لأنهم ينتمون للإسلام ولأنهم كانوا يطالبون بالعدل في الحكم ويندِّدون بالظلم المتمثل في الجرائم التي ارتكبها في جميع السياسيين الذين كانوا قد فرّوا من العراق وطلب إليهم الرجوع وأعطاهم المواثيق والأمان على أنفسهم فغدر بهم وألقى بجثثهم في براميل القمامة.

وختم صدام حسين مؤتَةَ ضميره بغزوه للكويت واحتلاله له وإباحة

كل محرم على أرضه وفي شعبه حيث أعطى أوامره الصبيانية بالسطو والسرقة والهتك وامتهان الكرامة، ولا أخال أحداً عرف رئيس النظام العراقي صدام حسين تمام المعرفة وأراد أن يصفه وصفاً يطابق تصرفاته إلا بالكلب المسعور الذي يركض، وهو فاغر فاه لينهش كل من يصادفه ولقد أجمع الشعراء على ذم صدام حسين وهجائه من واقع فعله بلا مبالغة أو تصور.. فمن أولئك الشعراء الذي ترجموا جزءاً من الأفعال القذرة التي مارسها صدام حسين الشاعر السوداني، خليفة الصادق عبد الرحيم الذي رسم جانباً من واقع صدام في قصيدة طويلة نشرتها جريدة «الجزيرة» في عددها ٦٥٧٧، يوم الاثنين ٢/٣/١٤١١هـ، منها قوله:

ما بال (هدام) العراق
يختال في دمنا المراقْ

ما باله لا يرعوي
ولا يكف عن الشقاق

ويدس خنجر غدره
في ظهرنا عند العناق

أودى بكل تضامن
وقضى على كل اتفاق

صدام ما معنى النذا
لة والخساسة والنفاق

كدرت صفو شرابنا
وجعلته مرّ المذاق

بغداد هبّي واصفعي
هذا المدنس للعراق

صدام جاوز حدّه
بدنيء فعل لا يطاق

نوافق على أن صداماً زعيماً أوحداً!!

والزعيم الأوحد هو أحد الأسماء التسعة التي سمّى بها حاكم العراق صدام حسين نفسه.. مضاهاة لله ومكابرة، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، أما تسميته نفسه بالزعيم الأوحد، فنحن نوافقه عليه. ونقول للذي يعترض على موافقتنا على تلك التسمية: تَعالَ لنقف وقفة نتناقش خلالها في مفهوم هذا الاسم بالنسبة لصدام.

فنقول: إن اعتراضك من حيث المفهوم العام لمعنى الزعيم الأوحد وارد ومقبول كملاحظة تبدو منك عند سماعك هذا الاسم لأول وهلة. وقد تتساءل فتقول: كيف يكون زعيماً أوحداً وهو الذي مسح من سجله وبمحض إرادته جميع المبادئ الأخلاقية بيده الملطخة بدماء أبناء وطنه؟ فنقول لك: إننا حينما نقر هذا الاسم ونوافق صداماً على أن يسمي به نفسه فإن إقرارنا مبنيّ على أنه زعيم.. ولكن.. زعيم عصابة سطو وقتل ونهب.. وأنه أوحد، ولكنها وحدوية في الأنانية، وفي فعل المنكر، وفي الخروج عن الصف، وفي المروق من الدين، وفي حبه الخيانة والغدر، وفي تدبير المؤامرات والتدخل في شؤون الغير إلى آخر ما في قاموس الغطرسة والعنجهية والجبروت من صفات يرفضها العقل ويأباها الضمير، كالتي تشتق منها اللئامة.

أقول: اللئامة لأنه تَفَنّن في تطبيقها تفنناً ينطبق عليه الشطر الأخير من بيت المتنبي تمام الانطباق:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا



ووالله لكأنما المتنبي يشير بذلك إلى صدام الذي ناله كرم الدولتين (الكويتية والسعودية) فقابل كرمهما وموقفهما إلى جانبه أيام محنته وحربه مع إيران بكل ما تملكانه من قدرات مادية وطاقات عسكرية. بالتمرد الذي تمثل في غزوه للكويت واحتلاله، وتهديده السعودية.

وفي ردود الفعل العالمية الممزوجة بشتم صدام وتقبيح أفعاله ما يجعل المرء يقف متسائلاً: هل أراد صدام أن يكون عالماً وحده يقف في وجه دول العالم؟ أم هو الخبث والحقد والغدر وفساد العقيدة؟ والإجابة على ذلك قد غصت بها وسائل الإعلام في العالم، وقد أخذ الكتّاب والشعراء على عاتقهم تعرية صدام وإظهاره على حقيقته، وهذه أبيات للشاعر خالد مصباح مظلوم نشرتها جريدة «الجزيرة» في العدد ٦٥٩٤، وتاريخ ٢٩/٣/١٤١١هـ فيها شيء من واقع صدام وصفته:

راوغ وواصل خبثك المعهودا
عما قريب لا ترى لك جيدا

ما ضر أمة يعرب بعصورها
أحد كما أضررتها عربيدا

تبت يداك فقد تفوقت على
كل الطغاة تفوقاً مشهودا

رقماً قياسياً جديداً حزته
من مسّ ظلك يغتدي مفقودا

الغدر عندك شيمة معروفة
والحقد عندك أصبح المعبودا

يا أحقر البشر اللئام قتلتنا
يتمت أشبالاً.. قتلت أسودا

وموارد العرب الكرام أضعتها
فغدا العدو مرفهاً مسعودا

التخبط السياسي

والتخبط في السياسة يأتي بالعجائب المضحكة ويأتي بالبلايا المحزنة، والصورة التي سأعرضها للتخبط السياسي الذي يدوس على قيم المناهج والقوانين الدولية التي سُنّت ليطبقها أصحاب العقول الأسوياء، لا المردة والمجانين الذين لا يرتاح لهم ضمير ولا يهدأ لهم بال إلّا على رؤية الدماء التي يسفحونها بأيديهم ظلماً وعدواناً.

ورئيس النظام العراقي صدام حسين هو المثال القائم والشاهد البارز الذي يمكن أن نسوقه كرجل تخبط في السياسة فجاء بما يبكي وبما يضحك في آن واحد. أمّا ما يبكي فهو غزوه للكويت، بل سطوه على الكويت بعقل ليس سوي، وإرادة صبيانة تعشّق بها لؤلؤة الخليج ظناً منه أنها ستستقر في قبضة كفه.. أما ما يضحك فهو التعليلات المتعددة التي أخذ صدام حسين في سردها ظناً منه أنها ستكون وسيلة إقناع يبرر بها سطوه على الكويت، واحتلاله وإباحة كل محرم على أرضه.

ولما تساءل الرأي العام العالمي بأسره صبيحة يوم الخميس الثاني من شهر آب، عام ١٩٩٠م قائلاً: لماذا سطا صدام حسين على الكويت واحتله؟ برزت إجابة صدام حسين في ترسل مضحك يوحي لأي محلل سياسي بأن صدام يقول لرفاقه: هل قبل تعليلنا بأن سطونا على الكويت جاء بناء على دعوة من حركة مناهضة لحكومة الكويت أم نبحث عن تعليل آخر؛ كأن نقول مثلاً: سطونا على الكويت بحق تاريخي يبيح لنا احتلال الكويت وضمه إلى العراق، أو نقول: جئنا للكويت لنبطل مؤامرة كانت تحاك ضدنا من قبل الكويت وأمريكا.. وكل هذه التعليلات الفاسدة

لم تجد أذناً مصغية له، لأنها في جملتها تعليلاً لا تنداح لها رؤية في الأفق السياسي البعيد المدى وذلك لعدم احتمال وجودها، لا حقيقة ولا افتراضاً، وهذا النهج هو ما نستطيع تسميته بالتخبط السياسي الذي قاد صدام حسين إلى ما يشبه الزنزانة حيث أدب بالحضر الاقتصادي الذي سيكون عدم جدواه منطلقاً للتأديب العسكري لا محالة.

ولو تساءلنا وقلنا: إلى أي مدى انتهى مفعول ذلك التخبط من ذلك الطاغية بالنسبة للعراق؟ فإن الإجابة المرة هي: أن العراق أصبح بذلك التخبط الدولة الوحيدة من بين دول العالم التي جُرّب فيها الإجماع على تطبيق قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالجزاءات. وهذا ما سيسجله التاريخ لدولة عربية تسيرها زمرة لا تعرف القيم ولا تحكم العقل.. وإنما هي أشبه ما تكون بالعصابة المتمردة الخارجة على القانون، والمعطلة للدين، وهذه أبيات من قصيدة نشرتها جريدة «الرياض» في عددها ٨١٢٤ وتاريخ ٢/ ٣/ ١٤١١هـ، للشاعر محمد بن عبد الله المعلمي:

ويك صدام كيف أصبحت شيطا
نـاً مـريـداً مـعـربـداً جـبـاراً

وتـنـكـرتَ لـلـفـضـائـل والـحـق
وأمـسـيـت فـاجـراً كـفـاراً

كيف مرّغت أنف شعبك في الوحـ
ـل وسـلـمـت لـلـمـجـوس الأسـارى

تطعن الأهل في الصميم وتحني الـ
ـهـام لـلـفـرس ذلـة وصـغـارا

يا بني العرب في العراق سلاماً
قـد عـهـدنـاكـم أبـاة غـيـارى

لم ترضون أن يقوم دعيّ
ينشر الشر بينكم والدمارا

يا بني الرافدين كيف رضيتم
لشقي طغى عليكم وجارا

يا بني الرافدين هبوا سراعاً
حطموا القيد واهدموا الأسوارا

○○○○○

رسالة إلى أهل بغداد!!

يا أهل بغداد، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: إني وكل مسلم على وجه الأرض ندعوكم إلى الحذر مما يجركم إليه صدام الطاغية.. ولا أخالكم الآن إلّا متذمرين من تصرفاته، ومفكرين في سوء عاقبة ما تجترحه يداه من مخالفات دولية قد تسددون (فاتورة) حسابها الجزائي عندما ينفذ بجلده من العراق وتصبحون بعده هدفاً لكل قوة طائرة وسائرة وزاحفة.

وحتى لا تقولوا ما قاله صاحب المثل: (رمتني بدائها وانسلت)، عندما يقلع بطائرته هو وزمرته عند سماعه وقع أول قذيفة اتفق دولياً على إطلاقها انتصاراً لغزو الكويت واحتلاله دونما أي مبرر له؛ فإن تدبر أمر تنحيته ومحاكمته على ما اقترفه من جرائم داخل العراق وخارجها شيء يعد من شجاعتكم المعهودة.

يا أهل بغداد، ألستم أهل غيرة على أي عرض يمتهن، وعلى أي جار يخان.. وعلى أي صديق يضطهد.. وعلى أي عهد ينقض؟ ألستم يا أهل بغداد من الأشداء على إقامة حدود الله وشرعه. فإلى متى وأنتم تمارسون الصبر على ظلم الطاغية صدام وغطرسته.

يا أهل بغداد، إن السؤال الذي يفرض نفسه في هذا الموضوع هو... كيف يمكن تخليص المسلمين من شره؟ وأنتم بالإجابة على هذا السؤال أحق لأنه بين ظهرانيكم واصطياده بأي وسيلة.. أنتم بها أجدر، وأنتم عليها أقدر، فالثورة الثورة يا أهل بغداد.. قوضوا أركان هذا الطاغية، وانسفوه هو ومخططاته ومؤامراته، قبل أن يلقي بكم لهوة بين طبقتي الرحى الدولية التي تتفرق بينها مسؤولية تدمير بغداد، فالثورة يا أهل بغداد قبل أن يفوت الأوان.



يا أهل بغداد، باسم الإسلام رصوا صفوفكم، وباسم الإسلام تدبروا أمركم، وبالله أكبر اقلبوا نظامه ومزقوا زمرته فدماؤهم مباحة؛ لأنهم قتلة ومفسدون في الأرض.

يا أهل بغداد، إننا نخشى أن يردد لسان حالكم عندما تضرب بغداد قول النابغة:

وكلفتني ذنب امرئ وتركته
كذى العُرّ يكوى غيره وهو راتع

(شعر) وهذه أبيات من قصيدة للشاعر محمد إبراهيم العبد اللطيف نشرتها جريدة «الجزيرة» في عددها ٦٥٦٦، الخميس ١/٣/١٤١١هـ:

أصدام ما هذا الذي قد جلبته
على دولة الإسلام ما كان أشنع

أفي دفنك الأكراد أحياء نصرة
لدين رسول اللّه أو كان ينفع

أفي غدرك الجيران فخر وعزة
أجب أيها اللص الخبيث المقنع

بني العرب في بغداد مهلاً فإنكم
إلى حرب أبناء العروبة تدفع

متى أشعلت نار المعارك بيننا
فهدام بغداد من الحي ينزع

مضى أرباً إذ أشعل الحرب بيننا
وليس له غير التناحر مطمع

تجاوزت أحكام الشريعة كلها
بقتل وسلب وانتهاك مشنّع

من يكتشف أنه شبيه بصدام فهو معرض للقتل!

وتتناقل الأخبار كل ما يجد على حياة رئيس النظام العراقي صدام حسين.. وما تفرزه أفكاره التي أخذت تسبح به في لجة من الخوف والحذر ممن كان قد جرعهم العذاب، وسقاهم الأحزان بقتل آبائهم أو إخوانهم أو أبنائهم أو عشائرهم، فتصورت جثثهم أشباحاً تزحف نحوه لتغتاله.

وحتى يجلب لنفسه شيئاً من الأمن بشيء من الخداع المعروف عنه عَمّد زبانيته بأن يبحثوا في كل مدن العراق ونواحيه عن شبيه له في الجسم والصورة والصوت ويأتون بهم طوعاً أو كرهاً.. وتقول الأخبار: إن صداماً حصل على مجموعة لا بأس بها من الذين يشبهونه أو يقتربون منه في الشّبه.. وأنه قرّبهم إليه وأعطاهم شارات عسكرية كشاراته العسكرية وألبسهم بذلاً كبذلاته.. وجعل كل واحد منهم ينتقل في موكب رسمي مثل موكبه بين ثكنات الجيش وفي كل مكان عرف بأنه يرتاده ليوهم الذين أذاقهم عذاباً لا يبرد غليله من صدورهم إلّا باغتياله.

وتلك هي حيل الذين يعرفون أنهم قد أجرموا وخانوا خيانة عقابها التعذيب والتعزير، ثم القتل.

ويبقى أن نقول لصدام: وطالما أنك قد ارتكبت من جرائم القتل ما جعلك تعيش نهارك في ذعر وهلع وليلك بين أشباح تتعاقبك. فما ذنب أولئك الذين كان لهم وجه شبه من شخصك فتجعلهم وقاية لك من أصحاب الثأر، وتنصبهم هدفاً للاغتيال.



وتفيد الأخبار الدائرة حول هذا الخداع والتوهيم بأن صداماً قد أصدر أمره بإلزام الشخص الذي كان يطابقه في الشبه بأن يطل على الجماهير من المنصة الرسمية، وفي جيبه آلة تسجيل قد سجل عليها خطاباً موجهاً للشعب وقد درب على تحريك شفتيه ويديه وفقاً لما تعنيه كل عبارة في الخطاب.. وهذا الخداع يدل على أن صداماً يعرف أنه كان مستهدفاً من قبل عامة الشعب العراقي عدا زمرته البعثية.. ولهذا بحث عن وسيلة يشغل بها الشعب العراقي عن التفكير في طرده فغزا الكويت واحتله وجعل من احتلاله له مشكلة يحتمي خلفها.

ولكن هذه الحركة أوقعته في شرك دولي تمثل في الحصار الاقتصادي الذي أضَر بالشعب العراقي.. وصدام بتصرفه هذا قد دعا الناس إلى سبه فأخذوا يكيلون له ما يستحقه من سب وشتم.. بل عقدت ندوات أدبية جرى فيها السباق لنزع القناع عن وجهه الكالح.. ففي «نادي الشرقية الأدبي» بالمملكة العربية السعودية أقيمت ندوة عنوانها: «الشعر العربي وقضية الكويت»، وكان من بين القصائد والكلمات التي ألقيت: قصيدة للشاعر السعودي عبد اللطيف يوسف أبو سعد، منها قوله:

نعوذ برب الخلق من شر حاقد
ومن شر معدوم الضمير معاند

تمطى به من مارج الجن مارد
وحف به مليون أرعن مارد

غزا جاره ليلاً فجرّ جيوشه
على غرّة والناس فوق المراقد

فأشبعها فتكاً وشرّد أهلها
وأدمى أمانيها. بخنجر حاقد





وراح يسوق الجيش نحو حدودنا
وينصب للأسمى شباك المكايد

بذلنا له حين الملمات عسجداً
فأمسى لهذا البذل أنكر جاحد

سقيناه في الجلي رحيق حياتنا
وخلناه للأوطان أخلص رائد

فخابت به الآمال قبل بزوغها
وهل ترتجي الآمال عند الجلامد

○ ○ ○ ○ ○

صدام طبعه طبع اللئام..

إن أحسنت إليه أساء إليك!!!

وبعد أن كان صدام حسين صديقاً حميماً لدول الخليج العربي ينعم بخيراتها انقلب عدواً شرساً فغزا الكويت واحتلها آخذاً بذلك مبدأ جرو الذئب الذي رباه أحدهم فلما قوي واشتدّ نابه أكل نعجة صاحبه الذي كان يسقيه من لبنها.. أو أنه تأسى بالضبع الذي حماه أحدهم، فلما أمن ونبت شحمه بفعل ما يسقيه من اللبن ويطعمه من اللحم عدا عليه وهو نائم فبقر بطنه وتركه في خيمته جثة هامدة.

ولهذا فإن لسان حال كل خليجي يخاطب طاغية بغداد وحاكم نظامها صدام حسين ببيت عمرو بن معد يكرب بن قيس بن مكشوح المرادي:

أريـد حـيـاتـه ويـريـد قـتـلـي

عـذيـرك مـن خـلـيـلـك مـن مـراد

وإذا تخيلنا سفاهة صدام حسين لسماع هذا البيت، فإن ذلك يعد جحداناً وكفراً منه لفضل ذلك اللسان، ولهذا فإنه لا بد أن يسمع عاجلاً أو آجلاً، وهو تحت سوط التأديب قول أبي دلامة لأبي مجرم مسلم الخراساني عندما أراد المنصور قتله:

أبـا مـجـرم مـا غـيـر الـلّـه نـعـمـة

عـلـى عـبـده حـتـى يـغـيـرهـا الـعـبـد

أفـي دولـة الـمـنـصـور حـاولـت غـدره

إلا أنّ أهـل الـغـدر أبـاءك الـكـرد



أبا مجرم خوفتني القتل فانتحى

عليك بما خوفتني الأسد الورد

وقد روي أن المنصور لما قتله قام فخطب الناس فذكر أن أبا مسلم أحسن أولاً وأساء آخراً ثم قال في آخر خطبته: وما أحسن ما قاله النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر:

فمن أطاعك فانفعه لطاعته

كما أطاعك وادْلِلْهُ على الرشد

ومن عصاك فعاقبه معاقبة

تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

والضمد بفتح الضاد المعجمة والميم (الحقد) وكان مقتل أبي مسلم في شعبان سنة ١٣٧هـ، ومن ظُلْمِ أبي مسلم أنه خطب يوماً فقام إليه رجل، فقال: ما هذا السواد الذي أراه عليك، فقال أبو مسلم: حدثني أبو الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء وهذه ثياب الهيبة وثياب الدولة.. يا غلام اضرب عنقه. وقد قيل: إنه أحصى من قتله أبو مسلم صبراً وفي حروبه فكانوا ستمائة ألف.

وأعود إلى صدام حسين الذي استبدل الكتّاب والشعراء اسمه بـ(هدام) ليطابقوا به فعله في الكويت المتمثل في غزوه لها واحتلاله، لأشير إلى أن ما من كاتب ولا شاعر إلا أدلى بدلوه في تخطئة صدام. وتأسف على مدح كان قد صدر منه إلى صدام.. ومن ذلك ما قاله الشاعر عبد اللطيف يوسف أبو سعد في عرض قصيدة له تبلغ نحواً من خمسين بيتاً ألقاها في ندوة أقيمت في نادي الشرقية الأدبي، تحت عنوان «الشعر العربي وقضية الكويت»:

مدحناه في طول البلاد وعرضها

وصغنا لهذا الوغد أحلى القصائد

فضاعت ثياب الشعر في مدح أحمق

تغنت به في مهرجان المرابد



عافاكم الله

أيها الكتّاب والشعراء الأعزاء في بلادنا الغالية، ماذا تتوقعون أن أقوله تحت هذا العنوان، وأنتم ما زلتم تخوضون معركة إعلامية هدفكم فيها إعلاء كلمة الحق، وإثبات المواطنة الحقة غير الإشادة الصادقة بوقفتكم الجميلة؟.. ثم القول لكم: بأن الذي يتابع نشاطكم الفكري الممزوج بالحماس الوطني الذي فجرته الأحداث المؤلمة التي يمر بها وطننا الغالي واكتوت بنارها الكويت الغريزة، قد أطمئن إلى أنكم على مستوى الدفاع عن الوطن وأنكم تملكون أناملاً تصرف الأقلام فيما يفرزه الفكر وتمليه العقيدة ويبثه الإحساس والإخلاص، للدفاع عن المكاسب المادية والأدبية والمنجزات العلمية والثقافية.

ولا أريد أن أذكر أسماء معينة كان لأصحابها كلمة ذات عمق خاص وتأثير بالغ. ولكن الذي أودُّ أن أشير إليه هو أن الذي يكتب شعراً أو نثراً ممتازاً ومواكباً للأزمة إنما هو يكتب ذلك عن ثبات وعمق إخلاص للوطن. وهذا مع شكر ناله نريد منه المزيد من مواصلة الكلمة حتى تنكشف الغمة.

أما الذين يكتبون كتابات أقل مستوى مما عرفوا به سابقاً فهذا يعطينا دليلاً قاطعاً على أن مفاجأة الصدمة التي لم يكن لها مثيل في التاريخ القديم والحديث، قد أثرت على مستواهم الكتابي.. ولا غرو ولا غرابة من تأثرهم فالعَالَم بأسره قد ذهل حينما تلقى نبأ احتلال صدام للكويت وممارسته لكل محرم على أرضه وفي أهله. ومحاولة زحفه إلى المملكة العربية السعودية.



والحقيقة التي أود أن أقولها لكم أيها الكتّاب والشعراء، هي أن هذه الأزمة التي نبتهل إلى الله تعالى أن يمدنا بالقوة على ردع من تسبب في وجودها. قد كانت محكاً حقيقياً لثبات كلمتنا وتراص صفوفنا وبث فكرنا وشجاعة أقلامنا فعافاكم الله، وألهمكم الرشد وأعانكم على التصدي للأعلام الضالة المضلة التي تريد أن تتطاول علينا بالكلمة والرأي والسياسة. فلا تضعوا الأقلام حتى تضع الحرب أوزارها ثم سطروا بعد ذلك تاريخ مجدنا واعتزازنا بعقيدتنا والتحام محكومنا بحاكمنا.

(شعر) وهذه أبيات من قصيدة طويلة للشاعر معالي الدكتور غازي القصيبي الذي أبلى بلاءً حسناً في الميدانين: الشعر والنثر.. ونشرتها جريدة «الشرق الأوسط» في عددها ٤٣٨٣ الأربعاء ١١/٥/١٤١١هـ، الموافق ٢٨/١١/١٩٩٠م:

أكويت تسألني الحسان تعجبا
(شغفتك حبا) قلت: هل أنا أنكر؟

للفاتنات هوى بروحي أصغر
ولموطني في الروح حُب أكبر

فإذا شدوت فللخليج ملاحني
وإذا كتبت فللخليج أسطر

وإذا بكيت فللخليج مدامعي
وإذا شردت ففي الخليج أفكر

أنا طفل هذي البيد لوني لونها
قدماي من جمر ووجهي أغبر

أنا طفل كثبان الرمال أخالني
من شوكها، تدمى عليه الأعصر

وأنا ابن هذا البحر يصخب موجه

في أضلعي ويغيب فيّ ويبحر

ما زلت في ماء الخليج مسافراً

كالمد.. أو كالجزر شعراً يهدر

○○○○○

وصف صدام بصفات الله. كفر وزيغ وتعالٍ على الله!!

وللتاريخ أقول: تولى نظام الحكم في العراق في زمننا.. وبالتحديد في الربع الأخير من القرن العشرين للميلاد طاغية يسمى صدام حسين ليس له عهد ولا مبدأ ولا ذمة؛ فهو يتلبس بالدين حيناً ويعلن الكفر الصريح أحياناً.. أما فعله فأقل ما فيه من الشناعة والجبروتية والطغيان تصفية أجساد من يعارض أمره ولا ينساق لرأيه أو يستمسك بالدين الحنيف.

والذين يخشون عذابه وبطشه ولا يخافون عذاب الله يتقربون إليه ويتزلفون بكل الأساليب التي يرون فيها ما يضمن وده لهم ويصرف عنهم سوء غضبه عليهم.. وقد بلغ من خشية بعضهم أن اختار له تسعة وتسعين اسماً معظمها من صفات الله، وقد قرأت تلك الأسماء تحت مقدمة سطرها الدكتور علي إبراهيم النملة ونشرتها جريدة «الجزيرة» في عددها ٦٦٠١، وتاريخ ٧/ ٤/ ١٤١١هـ، جاء فيها قوله:

طبعت وزارة الثقافة والإعلام بالعراق صفحة فيها تسعة وتسعون اسماً للحاكم في العراق.. ولا بأس من ذكرها حسبما جاءت في ترتيب الصفحة، ويعين على ذكرها قاعدة أصولية من القواعد العظيمة في الإسلام وهي أن ناقل الكفر ليس بكافر.. والاحتياط مرغوب في عدم نقل الكفر إن لم يكن هناك قصد إلى الاعتبار في موضوعها الذي تستحقه، والأسماء كالتالي:

١ ـ صدام حسين القائد العظيم.

٢ ـ صدام حصين القائد التاريخي.

٣ ـ صدام حسين القائد المنقذ.

٤ ـ صدام حسين منزل النصر.

ـ وهذا الاسم كتب بخط يختلف عن الأسماء الأخرى للتنبيه.

٥ ـ صدام حسين القائد الملهم.

٦ ـ صدام حسين القائد الفذ.

٧ ـ صدام حسين القائد الضرورة.

٨ ـ صدام حسين القائد الرمز.

٩ ـ صدام حسين القائد المحنك.

١٠ ـ صدام حسين القائد المنتصر.

١١ ـ صدام حسين القائد الأمين.

١٢ ـ صدام حسين القائد المظفر.

١٣ ـ صدام حسين القائد المنصور.

١٤ ـ صدام حسين القائد المفدّى.

١٥ ـ صدام حسين القائد الشجاع.

١٦ ـ صدام حسين القائد المفكر.

١٧ ـ صدام حسين القائد المبدع.

١٨ ـ صدام حسين القائد الحكيم.

١٩ ـ صدام حسين المعلم والقدوة.

٢٠ ـ صدام حسين حبيب الشعب.

٢١ ـ صدام حسين ضمير الأمة.

٢٢ ـ صدام حسين أبو العراقيين.

٢٣ ـ صدام حسين فارس الأمة.

٢٤ ـ صدام حسين حبيب العراقيين.

٢٥ ـ صدام حسين رجل التاريخ.

٢٦ ـ صدام حسين عز العرب.

٢٧ ـ صدام حسين خيمة العرب.

٢٨ ـ صدام حسين فخر العراقيين.

٢٩ ـ صدام حسين مهندس التأميم.

٣٠ ـ صدام حسين ملهم الإبداع.

٣١ ـ صدام حسين راعي الطفولة.

٣٢ ـ صدام حسين رائد الديمقراطية.

٣٣ ـ صدام حسين راعي الثقافة.

٣٤ ـ صدام حسين المحرر الباني.

٣٥ ـ صدام حسين رجل الانتصارات.

٣٦ ـ صدام حسين راعي الإبداع.

٣٧ ـ صدام حسين هدية الله للعراق.

٣٨ ـ صدام حسين رجل العدالة.

٣٩ ـ صدام حسين قائد العراق الموهوب.

٤٠ ـ صدام حسين باني العراق الجديد.

٤١ ـ صدام حسين بطل النصر والسلام.

٤٢ ـ صدام حسين رمز شموخ العراقيين.

٤٣ ـ صدام حسين قائد النصر والتحرير.

٤٤ ـ صدام حسين قرة عين العراقيين.

٤٥ ـ صدام حسين رمز العزة والكرامة.

٤٦ ـ صدام حسين قائد النصر والبناء.

٤٧ ـ صدام حسين هبة البعث للعراق.

٤٨ ـ صدام حسين هبة العراق للأمة.

٤٩ ـ صدام حسين عمق التاريخ العربي.

٥٠ ـ صدام حسين مهندس الانتصارات.

٥١ ـ صدام حسين رمز الرجولة والشجاعة.
٥٢ ـ صدام حسين ضمانة النصر والتقدم.
٥٣ ـ صدام حسين قائد المسيرة.
٥٤ ـ صدام حسين صانع المجد العربي.
٥٥ ـ صدام حسين محرر الفاو وبانيها.
٥٦ ـ صدام حسين باعث النهضة العربية.
٥٧ ـ صدام حسين قائد المستقبل الزاهر.
٥٨ ـ صدام حسين رجل الحاضر والمستقبل.
٥٩ ـ صدام حسين رجل الديمقراطية الأول.
٦٠ ـ صدام حسين رجل المجد والتاريخ.
٦١ ـ صدام حسين ابن العراق الفذ.
٦٢ ـ صدام حسين حامي البصرة وبانيها.
٦٣ ـ صدام حسين النخوة والعز والتحدي.
٦٤ ـ صدام حسين هبة السماء في الزمن الصعب.
٦٥ ـ صدام حسين قائد وحبيب الكل.
٦٦ ـ صدام حسين رمز العراق وباني مجده.
٦٧ ـ صدام حسين خير قائد وأعظم بطل.
٦٨ ـ صدام حسين خلاصة عبقرية الأمة.
٦٩ ـ صدام حسين ربان سفينة النصر.
٧٠ ـ صدام حسين ذخر العراق والأمة العربية.
٧١ ـ صدام حسين هبة السماء إلى هذه الأمة.
٧٢ ـ صدام حسين القائد النادر بين القادة.
٧٣ ـ صدام حسين قائدنا نحو العز والمجد.
٧٤ ـ صدام حسين رمز الشموخ والعز والكرامة.
٧٥ ـ صدام حسين العبقرية الفذّة والفكر النيّر.
٧٦ ـ صدام حسين حامل لواء نهضة الفكر.
٧٧ ـ صدام حسين الزهو العربي في زمن الخلود.
٧٨ ـ صدام حسين قائد الثورة وإنجازاتها العظيمة.
٧٩ ـ صدام حسين قائد الأمة وباني مجدها التليد.
٨٠ ـ صدام حسين فارس الأمة وحامل لواء النصر.
٨١ ـ صدام حسين بطل النصر ورمزه وصانعه.
٨٢ ـ صدام حسين ابن القيم والمبادئ العربية.
٨٣ ـ صدام حسين الحلم المنشود للعراق والعراقيين.
٨٤ ـ صدام حسين ابن الشعب البار.
٨٥ ـ صدام حسين رائد المسيرة وعز العراق.
٨٦ ـ صدام حسين العقيدة المخلصة والوطنية الشريفة.
٨٧ ـ صدام حسين الرمز الذي يمثل طموحات العراقيين.
٨٨ ـ صدام حسين بطل الشعب وقائد معاركه النضالية.

٨٩ ـ صدام حسين قائد التنمية والتطوير الاقتصادي.

٩٠ ـ صدام حسين مفخرة قومية لأمة العرب والإنسانية.

٩١ ـ صدام حسين الإشعاع الخالد في الضمائر والنفوس.

٩٢ ـ صدام حسين رمز العقل العربي الحديث.

٩٣ ـ صدام حسين قمة الانسجام بين العبقرية والقيادة.

٩٤ ـ صدام حسين الشخصية الحضارية للإنسان العربي.

٩٥ ـ صدام حسين النموذج الأمثل للعلاقة بين القائد والشعب.

٩٦ ـ صدام حسين رمز السيادة والكرامة الوطنية.

٩٧ ـ صدام حسين قائد الحياة في عراقنا الناهض.

٩٨ ـ صدام حسين الوفاء المهيب للشهداء.

٩٩ ـ صدام حسين رب الأسرة العراقية.

وإذا كان صدام حسين قد طرب من تلك الصفات التي ألحقت باسمه فإنّ علماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يرفضون ذلك رفضاً باتاً حيث يعدونها محاربة لله ومضاهاة للّه في أسمائه وصفاته فتعالى الله علواً كبيراً.. ويرون (وأعني بذلك علماء المسلمين) أن الرد عليها فرض على كل مسلم لأنها كفر وزيغ وإلحاد وتعال على الله، ولهذا فإن مجموعة من كبار العلماء والمفكرين في العالم الإسلامي أصدرت بياناً ردت فيه على علماء السوء الذين ألحقوا تلك الصفات باسم صدام الطاغية، نشرت منه جريدة «الظهيرة» عدد ١٨ وتاريخ ١٤١١/٢/٩هـ، والظهيرة هي عبارة عن ملحق لجريدة «الشرق الأوسط»، وفي ذلك البيان استنكر العلماء والمفكرون في العالم الإسلامي الفتوى الباطلة الصادرة من قبل علماء السوء التابعين لحزب البعث العراقي والتي جاء فيها أن الرئيس العراقي صدام حسين هو الرجل الوحيد الذي يحمل صفات الله الحسنى، والتي يبلغ عددها تسعة وتسعين اسماً، كما استنكر العلماء والمفكرون جرأة المجرم بإصدار فتوى أخرى يدعي فيها بأنه الابن الوحيد لنبي الإسلام محمد ﷺ، ومن صلبه ومجدد دينه الحنيف، وأقرّ العلماء والمفكرون الذين يمثلون مختلف المذاهب الإسلامية ما يلي:

أولاً: أن (صدام) ليست له علاقة بصفات الله الحسنى ولا برسوله الأمين ودينه الحنيف.

ثانياً: الصفات الحقيقية لهذا المجرم الجاثم على صدر الأمة الإسلامية تستوجب كلها إقامة الحد عليه.

ثالثاً: على المسلمين كافة أن يرددوا صفات صدام الحقيقية، وأن يقولوا: «اللهم العن صدام»، وهذه هي الصفات الحقيقية كما أقروها:

١ ـ اللقيط	٢ ـ الهارب	٣ ـ القاتل	٤ ـ العميل
٥ ـ الكافر	٦ ـ المجرم	٧ ـ السافل	٨ ـ المأجور
٩ ـ المنحط	١٠ ـ الظالم	١١ ـ الدعي	١٢ ـ الغاصب
١٣ ـ السارق	١٤ ـ الدني	١٥ ـ الغافل	١٦ ـ اللعين
١٧ ـ الزاني	١٨ ـ المعتدي	١٩ ـ الطاغي	٢٠ ـ المرتد
٢١ ـ الضال	٢٢ ـ المنافق	٢٣ ـ المريب	٢٤ ـ الطاغوت
٢٥ ـ المرائي	٢٦ ـ المنحرف	٢٧ ـ الغاوي	٢٨ ـ السفاح
٢٩ ـ النمام	٣٠ ـ الجبت	٣١ ـ الفاسد	٣٢ ـ الفاسق
٣٣ ـ المرهب	٣٤ ـ الآمر بالمنكر	٣٥ ـ الجاحد المعروف	٣٦ ـ الباطل
٣٧ ـ المستهتر	٣٨ ـ السفيه	٣٩ ـ الشيطان	٤٠ ـ الغادر
٤١ ـ الفاجر	٤٢ ـ الباغي	٤٣ ـ الجبان	٤٤ ـ المشرك
٤٥ ـ الذليل	٤٦ ـ الحقير	٤٧ ـ المستكبر	٤٨ ـ الملحد
٤٩ ـ النمرود	٥٠ ـ العاصي	٥١ ـ الكذاب	٥٢ ـ الغوي
٥٣ ـ المجنون	٥٤ ـ الراشي	٥٥ ـ المرتشي	٥٦ ـ المرابي
٥٧ ـ المستبد	٥٨ ـ الخسيس	٥٩ ـ المسموم	٦٠ ـ الماكر
٦١ ـ المتمرد	٦٢ ـ الخائن	٦٣ ـ الأحمق	٦٤ ـ الجاهل
٦٥ ـ المغرور	٦٦ ـ الهالك	٦٧ ـ المحتال	٦٨ ـ الخاسر
٦٩ ـ البائر	٧٠ ـ المفتري	٧١ ـ الدجال	٧٢ ـ الجاني
٧٣ ـ الساقط	٧٤ ـ المسيء	٧٥ ـ المارق	٧٦ ـ الغاشم

٧٧ ـ العنيد	٧٨ ـ المتهستر	٧٩ ـ الساذج	٨٠ ـ المذنب
٨١ ـ المدمر	٨٢ ـ المخرب	٨٣ ـ المراوغ	٨٤ ـ التافه
٨٥ ـ الرديء	٨٦ ـ البذيء	٨٧ ـ الخناس	٨٨ ـ الأرعن
٨٩ ـ الناقص	٩٠ ـ الشاذ	٩١ ـ المشؤوم	٩٢ ـ الساخر
٩٣ ـ النازي	٩٤ ـ الدكتاتور	٩٥ ـ المخادع	٩٦ ـ الناكث

٩٧ ـ الوضيع ٩٨ ـ المحلل لحرام الله ٩٩ ـ المحرم لحلال الله

وهذه الصفات لا أحد يعترض عليها لأنها مطابقة لأفعاله وتصرفاته وجرائمه وأخلاقياته وسلوكه ومعتقداته ونواياه.. وظاهره وباطنه، وللشعراء في ذكر بعض جوانب الخسة والدناءة وقفات.. فهذا الشاعر الكبير محمد حسن فقي يقول في قصيدة طويلة قوامها ٥٥ بيتاً عنوانها «الصديق اللدود»، نشرتها جريدة «الرياض» في عددها ٨٠٩٤، يوم الأربعاء ٢/ ٢/ ١٤١١هـ، منها هذه الأبيات:

صدام لم تصدم سوى معشر
لولاه ما صرت به قيصرا

لا الدين كرّمت ولست الذي
يكرّم الدين ولا المعشرا

فقد تنكرت له جافياً
وقد تنكرتَ لهم منذرا

أسفرتَ عن لؤم وعن خسة
عادا بهذي الأمة القهقرا

فكيف لا نُشْمِتُ في خاسر
يظن أن الربح فيما شرى

وما اشترى غير الذي ينتهي
به لأنْ يسقط أو يقبرا

ما أطول الدرب على سائر
ما عرف الدرب ولا استخبرا

وأبعد المجد على واغلٍ
ما طاب نفساً.. وسما عنصرا

○○○○○

هل علمتم بلص أعاد سرقته بنفسه؟!!

لو أردت أن أكتب مقالاً صحافياً أتحدث فيه إلى الهيئات الدولية التي يكون لإجماعها على أمر من الأمور أثراً وفعلاً ظاهراً، لقلت لهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن فيها: هل علمتم بلص كصدام حسين رئيس النظام العراقي أعاد سرقته بنفسه؟ والجواب ربما يكون منهم بالإجماع عدا الذين عرفنا تلونهم ولعبتهم على الحبال السياسية.. بكلا ما علمنا بذلك، ومن هذه الإجابة نطرح سؤالاً نصه: ألا تقرون بالإجماع على أن صداماً قد تحقق لديكم عنه أنه سرق الكويت من هيئة الأمم المتحدة، وغالط في كيانها وشرعية دولتها الممثلة في جميع الهيئات والمنظمات الدولية؟. والإجابة من هيئة الأمم ستكون بالطبع بهذه الصيغة: نعم لقد تحقق لدينا ذلك. ومن هذه الإجابة نقول لأمين عام الأمم المتحدة: ماذا تنتظر؟ أليس لك حق دعوة الأعضاء جميعاً وعرض القضية على أنها سرقة وإهانة لقرار هيئة الأمم المتحدة، ومن ثم إعداد مشروع قرار يعيد السرقة بالقوة الدولية، ويجازي السارق بما تنص عليه أحكام البلد المسروق التي تصل في عقوباتها إلى التقتيل والصلب على اعتبار أنه من المفسدين في الأرض.

وإذا كان اللص بطبيعة الحال لا يعيد سرقته بنفسه فإنه من المفروض على هيئة الأمم المتحدة: يا دي كويلار[1] أن تعيد السرقة بالقوة وشجاعة التنفيذ، فهلا قرأت وسمعت وشاهدت بأم عينك أحداث

(١) دي كويلار: هو أمين عام هيئة الأمم المتحدة آنذاك.

السرقة التي اهتزت لها جميع وسائل الإعلام المختلفة في العالم وأشارت كلها بأصبع واحد إلى سياسة الحدث ووصفته بأنه الوحيد من نوعه في التاريخ المعاصر؟ إني لا أخالك إلّا متألماً من ذلك.

ولهذا فإن حض الأمم المتحدة على اتخاذ قرار صارم يكبح جماح هذا الطاغية ويعيد من قبضته سرقته قبل أن يتفاقم الأمر وتتكلم المدافع والصواريخ وجميع أسلحة الدمار، وتحل الكارثة بنا نحن شعوب الشرق الأوسط أراه أمراً ضرورياً لا مناص منه. كيف لا وأنت ترقب اهتمام الدول جميعاً بهذا الحادث بما فيها أمريكا وروسيا حيث عقد مؤتمر ثنائي عاجل بين الرئيس الأمريكي بوش والرئيس السوفيتي غورباتشوف في هلسنكي يوم الأحد ١٤١١/٢/٢٠ هجرية، بلا جدول أعمال ولكنها محادثات شفهية عاجلة.

ولقد ترقب العرب أن يسفر اجتماع الرئيسين عن اتخاذ قرار يردع الظالم عن ظلمه ويعيد الحق إلى نصابه، وابتهلوا إلى الله أن يجنبهم ويلات الحروب وأطماع الطامعين، حتى قال شاعرهم محمود عارف في قصيدة نشرتها جريدة «المدينة» في عددها ٨٥١٩، الثلاثاء ٢٢ صفر ١٤١١هـ، تحت عنوان «قمة هلسنكي» منها هذه الأبيات:

هلسنكي موعدُ حلٍّ للكويت أتَتْ
عقبى مبادرة جاءت على عجل

(بوش) يبادر (غورباتشيف) تدفعه
سياسة العدل في حق وفي أمل

كلاهما عايش الأحداث ماثلة
في غزو صدام.. رمز الشرّ والفشل

عقبى التفاهم يأتي الانفراجُ على
حجم السلامة في ميزان معتدل





هـذا (كـويـار) قـد أدى مـهـمـتـه
في أرض عمان مشحوناً من الزغل

مـنـدوب بـغـداد.. لـم يـخـرج بـفـائـدة
من الـحـوار.. بـرغـم الـواقـع الـجـلـل

فـخـاب إذ عـاد بـالأوراق مـعـتـمـداً
عـلـى مـؤيـده.. في الـهـدم والـخـلـل

شعب الكويت.. وكل الناس قد عرفوا
سياسة الغزو في تسويف منخذل

○○○○○

شرّ البلية ما يضحك يا صدام

ماذا بقي يا صدام حسين من الهيمنة على الشعب العراقي وتضليله والتعالي عليه والتصفية الجسدية لأحراره إلا أن تقول كما قال فرعون لقومه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ لكنك قبل أن تطلقها بين دجلة والفرات. وتضيف إليها: «أليست هذه الأنهار تجري من تحتي» فكرت في أن تأتي بمعجزة تؤيد بها ادعاءك، فكان تفكيرك الدني هو غزو الكويت واحتلالها، وفعلاً غزوت الكويت واستحللتها.

أما الشعب العراقي الأبي فقد انتظر منك سماع تبرير للغزو، بل طالبك بهذا فلما خشيت من غضبته رحت تتخبط في تزييف المبررات، إذ قلت أول ما قلت: إن الكويت جزء من العراق فرفض الشعب العراقي هذا التبرير؛ بدليل أن التاريخ لم يثبت أنه اقتطع من العراق قوة وعمدا فنادى الشعب العراقي بأن الكويت بلد مستقل ودولة قائمة ذات سيادة وغزوها واحتلالها ظلم وعدوان ظاهر ومكشوف.

ولما أخذ الشعب العراقي في تأنيبه خرج عليه بكذبة يبرر بها غزوه إذ قال: إن غزونا للكويت إنما هو بطلب جبهة في داخل الكويت تشكو من ظلم الأسرة الحاكمة في الكويت، وأردت رفع الظلم عن تلك الجبهة، فطلب منه الشعب العراقي تقديم بيان بأسماء المظلومين فلم يستطع أن يقدم اسماً واحداً، وخشي من غضبة الشعب العراقي الذي لا يرى أن يقع منه الظلم ولا عليه فاتقى ذلك بتشكيل حكومة جديدة في الكويت وحينما أعلنت أسماؤها انكشف القناع الأسود حيث تبين للشعب العراقي أن تلك الحكومة الصورية هي من (شلته) بدليل أن رئيسها صهره، إن صح ما جاء في التقارير عن تلك الحكومة.

ولما لم تجد تلك الأكاذيب ولم تنطلي على الشعب العراقي ألغاها جميعاً ثم خرج عليهم ليقول: إننا بادؤون زحفاً مقدساً لحماية الحرمين الشريفين، فتساءل الناس في العراق وهل الحرمين الشريفين غير محميين؟ فكان الجواب من بعضهم للبعض: ما بعد ما همّ فيه من حماية (حماية)؛ ثم رجعوا يتساءلون فيما بينهم: هل صدام هذا الذي ساق لنا الأكاذيب قد حج البيت أو ذهب قاصداً العمرة؟. فكان الجواب نافياً لذلك التساؤل.

ونحن نقول للشعب العراقي الكريم ـ وظلم صدام لم ينته بعد واحتلاله ما زال للكويت وإزاء هذه الأكاذيب التي ساقها له ـ: إن شر البلية ما يضحك، ونطلب إليه أن ينشد معنا أبياتاً من قصيدة نشرتها جريدة «المدينة» في عددها ٨٥٠٦، الأربعاء ٩/٢/١٤١١هـ، للشاعر السعودي، د. عبد الرحمٰن صالح العشماوي في نحو من ٥١ بيتاً، منها قوله:

يا أيها الباغي نكأت جراحنا
وكسوت وجه الشمس لوناً أصفرا

أحييت فيها فتنة وجعلتنا
في أعين الأعداء أسوأ منظرا

وجعلت أمتنا تمزق ثوبها
وتصك وجهاً بالتراب معفرا

ومنها قوله:

يا إخوة الإسلام في بغدادنا
كُشف الستار وقد عرفنا المخبرا

فإلى متى تستسلمون لظالم
نشر الغبار أمامكم وتهوّرا

ومضى يبث لكم دعايته التي
أعمى بها نظر الحكيم وخدّرا

وإلى متى يبقى يصبّ دماءكم
في كأس نزوته شراباً أحمرا

وإلى متى يرمي بكم إخوانكم
والقدس يفرك راحتيه تذمرا

○○○○○

السقوط من القمة!!

وماذا يعني السقوط من قمة السياسة والانتصار العسكري بالنسبة لصدام حسين رئيس الجمهورية العراقية؟ وما هي الوسائل التي وصل بواسطتها إلى القمة التي سقط منها؟

إن حكاية وصول صدام إلى القمة وسقوطه منها تتلخص في الآتي، لقد صنع العرب له سلماً مذهباً فراح يرقاه زلفة، زلفة بدفع عربي قوي، فتمثل وصوله إلى الزلفة الأخيرة في انتصاره على الفرس ومنها وقف على سطح قمة الانتصار السياسي والعسكري برهة قصيرة فصفقت له شعوب عالمنا العربي، وكانت تظن أنه سيستشرف من على تلك القمة إلى هدف يمثل عدواً مشتركاً للعرب جميعاً، وأنه سيملي على ذلك العدو شروط السلام في المنطقة العربية، ويفرض عليه التعايش السلمي الذي ينشده العرب عامة والفلسطينيون خاصة.

لكن القمة التي اعتلاها رأت أنه غير مؤهل لها؛ لأن نظرته نظرة المضمر للغدر بأهله وذويه وبمن صنعوا له ذلك السلم الذي رقى فيه إلى القمة التي رمت به من أعلى سطحها بعد أن تيقنت أنه ليس أهلاً لها.

وما أكثر القمم التي ترمي بمن لايصلها بنفسه وهمته وصدق عزيمته، أما صدام حسين فقد رمت به القمة وهو مدجج بالسلاح على أرض الكويت، فأطلق النار بصورة عشوائية ليخرج أهله منه ويضمه إلى العراق، ظناً منه أن تخبطه هذا في الكويت سيصنع له قاعدة ينطلق منها إلى قمة أخرى لم ترَ دنس أقدامه، ولكن أنى له ذلك، والسلم الذهبي

الذي صنعته له الدول العربية وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية والكويت قد سحب من تحت أقدامه؛ لذا نراه قد فقد توازنه، واختل عقله فراح يهذي وينفخ في بوق يرجع إليه صداه قائلاً له: اخسأ فلست الذي يصون الكرامة ويحفظ العهد ويبقى على الود.

أما ماذا يعني سقوط صدام؟.. فإن سقوطه يعني أنه ليس أهلاً للزعامة والوقوف على القمة الشماء، وفقاً للتحليل الذي تقدمت الإشارة إليه، أما كيفية سقوطه، فإن سقوطه كان على أم رأسه في أرض الكويت فدنسها تدنيساً سوف لايهمل تاريخ العرب ذكره، وتدوين فصوله.

ومن الأشعار التي ساهمت في كشف واقع صدام هذه الأبيات التي أقتطفها من قصيدة للشاعر محمد علي يوسف، وقد نشرتها جريدة «الشرق الأوسط» في عددها ٤٢٩٧، يوم الاثنين ١٤ صفر، عام ١٤١١هـ.

قد خذلت الإسلام صدام حقاً
وخذلت الجدود بين اللحود

وخذلت الوفاء والخلق السامي
وأصبحت في ضلال بعيد

وخذلت التاريخ تاريخنا السمح
بما جئت من صحائف سود

وطعنت الخل الوفي بظهر
كان يحميك من دمار أكيد

وقف النفس والنفيس جميعاً
لينجيك من عدو عتيد

وجعلت النكران للفضل دينا
وجعلت العرفان مثل الجحود



هكذا (البعث) مثلما علم الناس

مـضـلاً فـي ثـوب غـاو رشـيـد[1]

ملمس ناعم كما الحية الرقطا

ء شـان الـلـئـام شـأن الـعـبـيـد

ooooo

(١) البعث يعني حزب البعث الذي ينتمي إليه صدام حسين.

لا تأسوا على تسمية أولادكم باسم صدام!!

وإلى أولئك الذين سموا أولادهم باسم صدام نقول: لا تأسوا على ذلك فالنفس البشرية عطوفة تؤثر فيها الأحداث التي تعايشها.

وصدام حسين رئيس النظام العراقي الذي خاض بدعم غير محدود من الدول العربية وعلى رأسها دول الخليج حرباً شعواء مع الفرس وخرج من تلك الحرب منتصراً، قد أثر في نفوس العاطفيين من الناس فسارع بعضهم إلى تسمية مواليده إبان الانتصار باسم: صدام تمجيداً له وتخليداً لاسمه، لكنه سرعان (وأعني بذلك صدام) ما نكص على عقبه وعاد إلى طبعه الخؤون، فخان وخادع من كان سنداً له في حربه الطويلة مع إيران التي امتدت نحواً من ثماني سنوات، وانطوى على النوايا السيئة التي أثمرت بغزوه للكويت واحتلالها صبيحة يوم الخميس ١٤١١/١/١١هـ، ثم بتهديده لأمن المملكة العربية السعودية التي صنعت له الانتصار في حربه مع إيران.

وأعود بالحديث إلى الذين حركتهم العاطفة فأسرعوا في تسمية أولادهم باسم (صدام) لأقول لهم مرة ثانية: لا تأسوا على ذلك ولا تبتئسوا من ذلك طالما أن المفكرين ورجال السياسة وأصحاب الأقلام والخطباء والمتكلمين، قد أجمعوا الآن على أن صداماً يسير في نهج مخالف لمعنى اسمه ووصفوه بأنه هدام العرب لاصدامهم، فإن أسماء أبنائكم قد خالفت اسمه بطبيعة الحال التي آل إليها بطبعه الشرير.

وقد صح في الأذهان التي عايشت تصرفاته الهوجاء بأنه هدام، وليس صداماً، وللشعراء في تحرير اسمه من صدام إلى هدام أقوال

كثيرة وذلك بعدما تكشفت لهم نواياه الخبيثة.

فمن أولئك الشعراء الشاعر صالح بن سعود القميرة النتيفي الذي نظم قصيدة نشرتها جريدة «الجزيرة» في عددها ٦٥٤٨، يوم الأحد ١٣ صفر، عام ١٤١١هـ، منها قوله:

حقاً صدمت الدين يا صدام
وهدمت بيت العرب يا هدام

بحماقة مجنونة نفذتها
لا العرب تقبلها ولا الإسلام

كذب غدر وارتكاب خيانة
وجريمة ما بعدها إجرام

في معشر أمنتهم فأمنتهم
فغدرتهم إذ صدقوك وناموا

صبّحتهم صبحاً تبين بعده
أن الحروب السابقات سلام

شرّدت جاراً مسلماً من داره
وأقمت فيها لا هناك مقام

العرض يهتك والحقوق سليبة
والحر يقتل والضعيف يضام

هل هذه قومية العرب التي
قعد الرفاق لها الزمان وقام

○○○○○

خبر احتلال الكويت في الصحافة

ولقد كان لاحتلال الكويت في يوم الخميس ١١/١/١٤١١هـ، من قبل رئيس الجمهورية العراقية صدام حسين ردود فعل واسعة النطاق، إذ شملت صحافة العالم بأسره والتي أجمعت على تخطئة صدام ووصفه بالجنون، فمنذ أن شاع خبر غزوه للكويت واستيلائه عليها والصحافة العالمية والعربية آخذة في الاهتمام بمتابعة الأحداث التي تدور في الكويت، وما كان يخطط له صدام من غزو للمملكة العربية السعودية، كما أخذت الصحافة في رسم صورة للتحركات العربية التي حاولت عبثاً احتواء القضية وحلها عربياً إذ أن جهودها منيت بالفشل، وذلك لعدم تجاوب صدام حسين مع أي بادرة عربية وتصميمه على تنفيذ مخططاته العدوانية المبيتة.

وحيث لم تُجد الجهود الدبلوماسية فكّر عقلاء العرب وزعماؤهم؛ كالرئيس المصري حسني مبارك بعد ما تبين لهم أن في الأمر شيئاً، وأن خطراً يحف بدول الخليج المجاورة للعراق.. في أخذ زمام المبادرة لوقف أطماع صدام وكبح نواياه العدوانية.. وأيّدوا الحصار الدولي الذي فرضه مجلس الأمن على العراق، وعززوا القوات السعودية بقوات عربية، واتخذوا موقفاً شجاعاً وبطولياً حمدتهم عليه دول العالم فضلاً عن المملكة العربية السعودية.

والحقيقة أن قضية احتلال الكويت أوجدت مادة دسمة للصحافة العالمية وجميع وسائل الإعلام واستنطقت أقلاماً سياسية ذهبت كل مذهب في تحليل الموقف وشخصية صدام حسين، فهناك من يصب لعناته على صدام، وهناك من يفضح نزقه وطيشه وبطشه وسوء أدبه وقبح

تصرفه، فلا تكاد تقرأ إلا عنوانات صارخة كلها تنديد وتحذير.. ففي العدد ١٠٠٤٦، من جريدة «الحياة» الصادر يوم الجمعة ٣ آب أغسطس ١٩٩٠م، الموافق ١٢ محرم ١٤١١هـ، جاءت هذه العناوين: «العراق يغزو الكويت، واتصال لعقد قمة طارئة».. «الدول الكبرى تطالب العراق بالانسحاب فوراً، وخطوات أمريكية غربية لفرض حصار على بغداد». «القوات العراقية تجتاح الكويت ومقتل فهد الأحمد شقيق الأمير». «مجلس الأمن يدين الغزو ويدعو إلى الانسحاب فوراً». «الإذاعة الكويتية لبوا نداءنا لمقاومة الغزو». وفي جريدة «الرياض» العدد ٨٠٩١، يوم الأحد محرم ١٤١١هـ، جاءت هذه العنوانات: «لا خيار إلا بعودة الكويت إلى الكويتيين»، و«صدام يتخبط تحت وطأة الحصار الاقتصادي»، و«الجيش العراقي في الكويت يحارب تحت ضغط ـ كتيبة الإعدام ـ» و«اللئيم»، وهو عنوان قصيدة للشاعرة والأديب المعروف عبد الله بن دريس، منها قوله:

حسبوك شهماً تعرف الأعرافا
وتقيم وزناً للجوار معافى

حسبوك تعرف للمروءة حقها
فترد بعض جميلهم ألطافا

وتقول شكراً يا كرام فإنني
بكم انتخيت وفضلكم قد وافا

حسبوك فارس أمة مطعونة
تتألف الفرسان لا الأجلافا

ومنها قوله:

لص تسربل بالظلام خديعة
يغزو (الكويت) الوادع الميلافا

ويسلط الغوغاء من أجناده
قتلاً ونهباً ملحفاً إلحافا

أفَلَسْت يا رمز اللئام، تكشفت
عنك الحقائق وانجلت أصنافا

سوّدت وجهك بعد طول تلون
شأن المنافق غادراً حيّافا

○○○○○

كاد صدام أن يكون زعيماً!!

ولقد أخذ رئيس الجمهورية العراقية صدام حسين في بداية أمره ينادي باسترجاع ما اغتصب من أراضي عربية، وأبدى للعرب استعداده لخوض المعارك، وتوثب لقمع الفرس الذين لهم مع العرب تاريخ طويل حافل بالخلافات التي ولّد فيهم كراهية العرب وتعهد رئيس جمهورية العراق صدام حسين باسترجاع ما للعرب عند الفرس من أراضي وسواحل، فاتفق العرب جميعاً على مساندته مادياً وعسكرياً.. وفعلاً أشعل فتيل الحرب مع بداية القرن الرابع عشر الهجري مدعوماً بكل ما تتطلبه الحرب التي دارت رحاها ثمان سنوات متواصلة، وقد حقق صدام بما يقدم له من عدة وعتاد وجند انتصارات باهرة، وصارت في يده بعد أن وضعت الحرب أوزارها جميع أوراق المساومة المتمثلة في التمركز داخل العمق الإيراني بالقوة التي خضعت لهيبتها إيران، فأعلنت عن قبولها لوقف إطلاق النار على لسان أمين هيئة الأمم المتحدة وقبول المفاوضات المشتملة على تنازلات فرضتها قوة العرب.

وحينما وضعت الحرب مع إيران أوزارها بالصفة التي ذكرتها كاد صدام حسين الذي كان يتخذ القرارات أثناء الحرب أن يكون زعيماً عربياً بلا منازع، واتجهت إليه الأنظار وحصل التفكير في مواجهة إسرائيل بهذا الزعيم القائد الذي لم يُعرف (بضم الياء) ما تنطوي عليه نفسه بعد من سلوكيات.. وما هي إلا فترة لا تقدر بأكثر من سنة بعد رضوخ إيران وإذا به يطمع في جارة بلده الكويت، ويصبحها بمائة وعشرين ألف جندي أو يزيدون، ويحتلها احتلالاً عسكرياً، وهي البلد

التي كانت من الدول العربية التي قدمت له الدعم المادي غير المحدود خلال سنوات الحرب مع إيران.

وبهذا التصرف الأهوج من صدام انبهرت الدول العربية، ولم يكن أحد يصدق نبأ احتلال العراق للكويت، فاستحالة الزعامة الصدامية إلى دناءة، وصح فيه قولهم: استنوق الجمل، وقد أخذت الأقلام في تحليل شخصيته وسيرة حياته فوجدته راجعاً إلى طبعه المتمثل في الغدر.. وكان لي تعبير عن هذا الموقف في أبيات، منها قولي:

صدام كيف بعد ما
كنت الرجاء والأملْ

أصبحت لا هذا ولا
أصبحت ذاك في المثلْ

وصحّ فيك قول من
قد قال: استنوق الجمل

هل يقظة الحلم بدت
أم ذاك مسّ من خبل

جَزَيْتَ يا صدام من
أولاك براً بالسمل

وخنت مَن عاهدت من
أهل الوفاء بالحيل

أيقظت شعباً آمناً
ما ظن فيك بالخطل

على دَويّ مدفع
نصبته وقت الغسل

عنوانات تحكي مفاهيمها غزو صدام للكويت

ومنذ أن غزا رئيس النظام العراقي صدام حسين الكويت واحتله صبيحة يوم الخميس ١١/١/١٤١١هـ، وجميع أجهزة وسائل الإعلام في العالم تندد وتشجب وتطالب بالانسحاب الفوري من الكويت بلا قيد ولا شرط.. لكن هذا التنديد من العالم يقابل من صدام بالعناد والتجاهل والإصرار على الاحتلال.. ومن نماذج التنديد الإعلامي المقروء هذه العنوانات التي تحلل موضوعاتها المفاهيم السيئة لغزو الكويت واحتلاله، فلقد جاء في جريدة «عكاظ» العدد ٨٨٠٠٩، الجمعة ١١ صفر ١٤١١هـ: «الشيخ ابن باز، في جامع ابن عباس بالطائف: صدام فاسق فاجر ضال، خائن». وعنوان آخر: (كفر افتراءات وهمية يا مسيلمة العراق. لم يعد عندك يا صدام ما تبرر به أفعالك الشنيعة تنادي بالإسلام وتسفك دماء أبنائه في وضح النهار)، وعنوان آخر «أيها النازي انسحب من الكويت وأطلق سراح الأبرياء».

وفي جريدة «الشرق الأوسط» العدد ٤٢٩٣، الخميس ١٠ صفر ١٤١١هـ، هذا العنوان: «المخطط الصدامي يهدف إلى هدم اقتصاديات العرب»، وعنوان بيان أعضاء المجلس الإسلامي العالمي في بريطانيا: «ما اقترفه نظام صدام في الكويت من جرائم يندى لها الجبين تضيف استهانة جديدة بالدم الإسلامي».

وفي جريدة «الندوة» العدد ٩٦١٦ الأحد ١٢ صفر ١٤١١هـ، برز هذا العنوان «جريمة صدام أساءت للمواقف العربية وأتاحت لتل أبيب الحصول على أسلحة جديدة» وعنوان آخر يقول: «الصحف المصرية

تواصل تعرية صدام، فأكتوبر تقول: صدام آخر رجل يصلح أن يكون حاكم دولة». والأخبار تقول: «صدام نسي أن مصر لا تشترى بالمال. والأهرام تقول: «صدام فرعون والجيش العراقي يشاركه الطغيان».

وفي جريدة «الجزيرة» العدد ٦٥٤٠، السبت صفر ١٤١١هـ، جاء هذا العنوان: «صدام فضل حكم الشيطان على حكم الله»، وعنوان آخر: «اجتياح صدام للكويت يمثل سلوكاً فردياً بحتاً» وعنوان آخر: «صدام الأمس هدام اليوم»، وعنوان آخر: «أي مهزلة تلك يا كارثة العرب»، وعنوان آخر: «صدام بين جاذبية الأقوال ووحشية الأفعال».

وفي جريدة «الرياض» العدد ٨١٠٢، الخميس ١٠ صفر ١٤١١هـ، جاء هذا العنوان: «صدام حاول شراء صمت مصر عن غزو الكويت بوضع مبلغ ٢٥ مليون دولار باسم الرئيس حسني مبارك». «صدام حكم بالإعدام على من يسرق شيئاً من الكويت بعد ما انتهى كل شيء، وقد سرق وطناً بأكمله فبمادا يحكم على نفسه؟» وعنوان آخر يقول: «لص العروبة»، وهو عنوان قصيدة للشيخ عقيل بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عقيل، منها قوله:

تجاذب السهد والآهات أشجاني
وهيج الخطب آلامي وأحزاني

قالوا فما الأمر أخبر زدتنا شغفاً
قلت اسمعوا ما جرى من هتلر الثاني

أسموك أهلك صداماً لجهلهم
فأنت هدام أمجادي وأوطاني

كنا نعدك رمز العرب فانكشفت
لنا نواياك في أعماق وجداني

سلاحك الغدر والتقتيل شيمتكم
لكم قتلت بدعوى الدين إخواني

على الكويت سطا واللؤم يدفعه
في ظلمة الليل غدراً طبع خوان
كنا له المجد في أيام محنته
مع الكويت بأفياء وتحنان
لكن تنكر للأحباب فانقشعت
سحائب الود صارت كهف أضغان

○○○○○

تحديد مسؤولية العنجهية في الكويت

«في عين العاصفة» هذا هو عنوان لكلمات موجزة لمعالي الدكتور غازي القصيبي، نشرتها جريدة «الشرق الأوسط» في عددها ٤٢٩١، يوم الثلاثاء ٨ صفر ١٤١١هـ، وقد شحنها بالأحلاف بالله أن غزو الكويت واحتلاله ليس لأي فرد من الشعب العراقي فيه يد وإنما هو نتيجة قرارات صدام حسين المتعطش لرؤية الدماء وشم رائحتها.. اسمعه وأعني بذلك القصيبي وهو يحبّر الأيمان القاطعة بأن صدام هو المسؤول وحده عن العنجهية التي مني بها الكويت، ويقول:

لا، والله، لم يكن جيش العراق هو الذي اتخذ القرار باحتلال الكويت في جنح الظلام.. جيش العراق أصدق عروبة وأعظم شرفاً من أن يطعن جارة عربية صغيرة صديقة من الخلف.. الذي اتخذ القرار مجرم حرب اتخذه بمفرده.

ولا، والله، لم يكن أبناء شعب العراق هم الذين اقتحموا منازل الكويت يبحثون عن شيئين، الذهب والنساء.

أبناء العراق أكثر غيرة وأصدق إسلاماً من أن يغتصبوا امرأة أو ينهبوا بيتاً.. الذي فعل ذلك شرذمة من قطاع الطرق، يأتمرون بأوامر قاطع طريق واحد.

ولا، والله، لم يكن العراق هو الذي أرسل إلى رئيس النظام الإيراني برقية يقول فيها بالحرف الواحد، إنه حقق كل رغباته ورضخ لكل طلباته.. شعب العراق أشد إباء وأشمخ نخوة من أن يخضع هذا الخضوع العلني المقزز، الذي فعل هذا (مهين) ركن واحد.



ولا، والله، لم تكن جماهير العراق هي التي احتشدت على حدود المملكة العربية السعودية بكل ترسانة الدمار، جماهير العراق أغزر وفاء وأكرم عهداً من أن تخون الجارة التي وقفت معها ساعة المحنة.. الذي فعل ذلك جاحد غادر واحد.

ولا، والله، لم يكن المواطن العادي في العراق ابن البصرة الشهم وابن بغداد الكريم وهو الذي ساق طفلة ضعيفة لتحمي بجسمها الضئيل مصنعاً من مصانع السموم المعدة لإبادة الأطفال، المواطن العادي في العراق أعرق فروسية وأنبل شجاعة من الاستتار وراء طفلة أو امرأة، الذي فعل ذلك جبان رعديد واحد.

ولا، والله، ليست معركتنا مع بغداد إنها مع لص بغداد وحده، انتهى.

وأنا أقول: ليس القصيبي وحده الذي حدد مسؤولية غزو الكويت واحتلاله في شخص صدام حسين، ولكن مئات الأقلام داخل الوطن العربي وخارجه كلها تحقق ذلك وتثبته، ومن الشخصيات المرموقة التي عبرت عن ذلك بلغة الشعر معالي الدكتور الشاعر إبراهيم محمد العواجي الذي نظم قصيدة طويلة بلغت نحواً من ٣٥ بيتاً نشرتها جريدة «الرياض» في عددها ٨٠٩٣، الثلاثاء ١/٢/١٤١١هـ، منها قوله:

أقسمت بالله ما هذا من العرب
ولا من الدين عن بعد ومقترب

بل من بقايا تتار ضل عودته
واندسّ في رحمنا ضرباً من الجرب

وراح يبطش في أهليه مفترساً
للأقربين وأهل الدار والنسب

لا فرق في عرفه إن كان ذا رحم
أو من ذوي الجار أو من أقرب الصحب

سفاح بغداد درب الظلم مقبرة
للظالمين وسوط القسر من حطب

يا مشعل النار والأطماع غايته
خذها بكفك أرتالاً من اللهب

ماذا تقول الثكالى؟ لست تسمعها
مليون روح وأعوام من السغب

ماذا سيكتبه التاريخ؟ ترجمة
كانت هي الحرب أم شيء من اللعب

○ ○ ○ ○ ○

عقوق صدام

واحتلال صدام حسين للكويت لا يعني إلّا العقوق والإساءة أما واقعه فقد كان السلب والنهب والامتهان.

وفضلاً عن أن هذا الاحتلال قد شرّد شعب الكويت، فإنه قد أخذ مساراً دولياً حيث صحب الشجب الدولي لذلك الاعتداء الغاشم اتخاذ خطوات عمليّة تتفق ومبادئ الميثاق الدولي الذي يحرم ضم دولة إلى أخرى عن طريق القوة، فكانت أولى تلك الخطوات وما زالت حتى تحريري لهذه المذكرة في السابع من صفر عام ١٤١١هـ، فرض الحصار الاقتصادي على العراق كوسيلة من وسائل التأديب الدولي، وقد باشرت بعض الدول في تطبيق ذلك الحصار، واستمر حتى مراجعتي لهذه الورقة في صفر عام ١٤١٦هـ، وما كان من صدام حسين إلّا أن أخذ يتهم تلك الدول التي فرضت الحصار المشروع عليه.. ويصفها بالتدخل حينما قررت الانتصار للكويت بأي أسلوب ترضاه المجموعة الدولية فوا عجباً من نزقه وطيشه يصف تلك الدول بالهيمنة وينسى أنه بغزوه واحتلاله للكويت قد فاق معنى الهيمنة، وتعدّى معنى الإنسانية في السلب وهتك الأعراض.

ومن الطبيعي أن تمتلئ نفوس شعوب دول الخليج العربي الذين هم موضع إشارة صدام في دفع عجلة الغزو صوب المملكة العربية السعودية وباقي دول الخليج بالكراهية والبغضاء لشخصه.

أما المملكة العربية السعودية فكان الرد منها عليه مسكتاً وذلك لتمثله في التأهب والتوثت للرد عليه وردعه بلغة المدفع وصفير الطائرة



وأزيز الصاروخ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لالتفاف الرأي العربي والعالمي حولها.

ولقد عبّر عن كراهية صدام حسين شخصياً رجل الشارع العربي فضلاً عن صاحب القلم والرأي والفكر الذي أخذ يكيل له من الشتائم ما هو أهل له.. وتتمثل نماذج طبيعة هذه الكراهية فيما ينشر في الصحف والمجلات من مقالات وقصائد، منها قصيدة للأستاذ عبد العزيز محمد النقيدان عنوانها: «يا أهل بغداد» نشرتها جريدة «الجزيرة» في عددها ٦٥٣٦، يوم الثلاثاء ١ صفر، سنة ١٤١١هـ، منها قوله:

يا خائناً سخرت من صنعك الأمم
ماذا سيكتبه التاريخ والقلم

قد كنت تاجاً على بغداد نرمقه
واليوم تاجك فيه الدم يرتسم

كل القلوب إلى التوحيد وامقة
يسودها الود والإحسان والكرم

ففي الدماء أمانينا مهددة
وفي الخيانة ما تشقى به الأمم

إن العروبة تبني سر نهضتها
على الوفاء وما تقضي به الشيم

حتى أتيت بنار الحرب معلنة
على (الكويت) وما خانوا وما ظلموا

نشرت فيها رعاع القوم فاندفعوا
تحت الظلام جياع قادهم صنم

السلب والنهب آمال مجسدة
وكم تسير إلى فعل الخنا قدم

صدام حسين في مرآة الرأي العام

وبرز رئيس الجمهورية العراقية صدام حسين كشخصية عسكرية حققت انتصاراً رائعاً في حربه مع إيران، تلك الحرب التي دامت ثمان سنوات تمتع فيها بمعنويات عالية وذلك بسبب ما يتلقاه من دعم عربي غير محدود، ذلك الدعم الذي جهله كثير من سياسيي العالم الذين تحدثوا عن انتصارات صدام ولم يشيروا إلى أسبابها ولا إلى من يقف وراءها بكل ثقله المادي والسياسي والمعنوي والعسكري.

أقول: لقد برز صدام حسين لفترة زمنية تقاس بحمال القطة، ثم ما لبث أن تصرف التصرفات الجنونية التي تمثلت في غزوه الكويت واحتلالها.. فتحولت بذلك نظرة العالم عنه كزعيم وقائد عسكري مظفر إلى النظر إليه، كطائش لا تستقر نفسه إلا على الظلم والبغي والعدوان. ولا يهدأ له بال إلا على رؤية الدم المسفوح ظلماً.. وراحوا يقتربون منه ليستنبطوا من قسمات وجهه وضحكاته الصفراء ما يصلون به إلى أبعاد شخصيته.. وبتصويب النظرات الفاحصة نحوه تحققت الفراسة فيه بأنه عاشق للظلم وهاوٍ للاعتداء وليس للسلم في نفسه موضع، وبذلك تيقنوا أنه ركوب للخداع، ومتلهفاً للعناد، ومتعطشاً للدماء.. ولقد وصفه بعضهم بأنه هو (هولاكو) عصره، ولما أدرك صدام حسين أن العالم من حوله يحاول اكتشاف عقليته وقياس تفكيره، ومعرفة سلوكه، وواقع أخلاقه الذي تأذى به جيرانه من العرب قبل غيرهم حاول أن يحصن نفسه من الوصول إلى دراسة سيكلوجيته النفسية فباشر العمل في تصرف جنوني كان حصاده غزو الكويت واحتلاله، وما علم أن هذا التصرف قد زاد في الرغبة من معرفة طبعه الذي مزق قناع التطبع الذي كان يتلبس به في المؤتمرات العربية واللقاءات الصحفية.

أما بطشه بالكويت فقد أثار مشاعر المفكرين وأعطى الشعراء مجالاً لسياق اللعنات، وكيل الشتائم وتمزيق القناع المزيف، فمن أولئك الشعراء الشاعر معالي الأستاذ حسين عرب الذي نشرت له جريدة «الرياض» في عددها ٨٠٩٢، وتاريخ ١٤١١/١/٢٩هـ، قصيدة عنوانها: «هدّام العراق»، منها قوله:

أمن العروبة يا فتى الفتيان
الغدر بالجيران والإخوان؟

أمن الشهامة والكرامة أن تُرى
متبجحاً بالإثم والعدوان

أمن الشجاعة أن تسوق جحافلاً
للفتك بالأطفال والنسوان

ومنها قوله:

هلّا ذكرتَ نَدى الكويت وعونها
إذ أنت رهن كريهة وطعان

هلّا تذكرت البلايين التي
هدرت عليك وأنت حلس هوان

هلّا تذكرت العروبة تفتدى
بغداد بالأموال والأخذان

ومنها قوله:

خل الكويت فلست صاحب أمرها
فرجالها الأبرار من عدنان

- آل الصباح - ولست من أقرانهم
في سابق التاريخ والأزمان

يقظة الحلم

من الناس من يفعل في حلمه مثل ما يفعل في يقظته، فتراه ينفذ كل ما دار في مخيلته ويقوم بأفعال حركية وهو ما زال في حلمه.. وهذه الأفعال والأعمال التي يؤديها النائم تنفيذاً لحلمه العميق.. تسمى يقظة الحلم.. ورئيس الجمهورية العراقية صدام حسين حلم في ليلة الخميس الموافق ١٤١١/١/١١هـ، للهجرة أنه سيضم الكويت إلى العراق، ثم المملكة العربية السعودية ثم بقية دول الخليج العربي، فأصدر أوامره في يقظة حلمه هذه إلى قواد جيشه بأن يهجموا على الكويت، ونفذ القادة الأمر ظناً منهم أنه في رشده ثم وضع خده على الوسادة ليستمتع ببقية حلمه على صوت المدافع التي تدمر كل شيء في الكويت، وليخيل إليه أنه بذلك سيصبح إمبراطور العرب، لكنه حينما استيقظ من يقظة حلمه رأى نفسه على حدود المملكة العربية السعودية مع الكويت وفي عزلة من العالم فعاد نومه أملاً في أن تعاوده يقظة الحلم ليفعل بالمملكة ما فعله بالكويت لكنه وجد نفسه في هذه المرة أمام من يعرف تفسير حلم اليقظة.. ويقظة الحلم.. فماذا فعل يا ترى؟ لقد كان طبعه المتمثل في الغدر والخيانة يحثه على احتلال المملكة العربية السعودية لكن قوته وعدته وعتاده تصطدم في قوة.. الإيمان ركيزتها، والدفاع عن الوطن مبدؤها.. والوقوف في وجه الظلم طبعها، فيقف وقفة الوحش الذي وجد نفسه في زنزانة حديدية لا يعرف كيف دخلها.. ولا يحسد عليها.

والتف العالم العربي بل العالم كله حول المملكة العربية السعودية، وكلهم يتمنى منها إشارة بطلب مساعدتها ليظهر لها صدق الصداقة.

أما عن يقظة حلم صدام التي راح ضحيتها الكويت وشعبه فإن التاريخ لن يهملها بل سيسجلها تحت عنوانات متنوعة اللهجات، وسيترك للشعراء مجالاً يتحدثون فيه عن يقظة حلم هذا الرجل الغريب في تصرفاته المتسمة بالعداء.

كيف لا وهذا الشاعر السعودي الدكتور محمد بن سعد آل حسين يسكب مشاعره في قصيدة طويلة نشرتها جريدة «الجزيرة» في عددها ٦٥٣٩، الجمعة ١٤١١/٢/٤هـ تحت عنوان: «بغداد» منها قوله:

بغداد هل نامت عيون
المجد في دار الرشيد

هل أفلست فيك العقول
فسُوّد الباغي الحقود

هل غاب عنك الرشد يا
دار الرشيد فلا رشيد

عبث الغواة بمجدك الـ
ـماضي فألبسك القيود

مجنون هذا العصر مر
تد العقيدة ذو الجحود

بغداد هبي للجها
د ومزقي قيد العنيدِ

فسفاهة الغاوي تنا
هت فيك حتى لا مزيد

داس المبادئ والعهو
د مدنساً كل الحدود

أطماع صدام

وصدام.. هو صدام حسين الذي انتهت به المغامرات إلى تولي رئاسة جمهورية العراق في السنوات العشر التي فوق الألف والأربعمائة للهجرة.

وصدام حسين هو من مواليد عام ١٩٣٧م، وقد ولد في بلدة تكريت بالعراق.. وقد قيل عنه: إنه فشل في الدراسة والتحصيل العلمي فاتجه إلى الالتحاق بالسلك العسكري، وفي هذا نجح وتنقل في الرتب العسكرية حتى وصل إلى رتبة قائد وقد خدمته الظروف فصار عضواً من أعضاء قيادة الثورة العراقية.. وقد وصف بأنه إنسان متعطش للدماء فسار على مبدأ تصفية زملائه وكل من لا يتفق معه في الرأي تصفية جسدية فأبادهم إبادة هيأته للوصول إلى سدة رئاسة الجمهورية بلا منازع.

ورجال السياسة والمحللون السياسيون، لديهم علم بذلك، وذلك من خلال متابعتهم لقراءة سيرته الذاتية، ولهذا فهم لم يظهروا استغراباً من سلوكه في تصفية أعضاء الثورة ولم يسألوا عن كيفية وصوله إلى الرئاسة؛ لأنهم يعرفون أن الرجل الذي يركب زورقاً في بحر من الدم ليصل إلى مبتغاه لا بد أن يكون بين أمرين لا ثالث لهما، فإما أن يصل إلى هدفه أو أن تلقي به أمواج الدم الذي سفحه في أثباجه وتكتب نهايته.

وصدام حسين ركب زورقه المخضب بالدم واتجه به نحو جيران بلده (الكويت) ليغتصبها ويجعلها لقمة سائغة في جوف العراق، وفعلاً



خاض بزورقه الملطخ بدم زملائه أرض الكويت وأرساه على حدودها مع المملكة العربية السعودية ليواصل الرحلة في بحر الدماء، واستيقظت منطقة الخليج في فجر يوم الخميس ١٤١١/١/١١هـ، الموافق ٢ أغسطس آب ١٩٩٠م، على صوت عويل النساء والأطفال في الكويت، حيث عمت الفوضى وخيم الرعب على جميع سكان الكويت الذين فكروا في الهرب إلى المملكة العربية السعودية ودول الخليج، ليأمنوا على أرواحهم وأعراضهم بعد أن سلبت أموالهم.. وهبت الصحافة لنقل تفاصيل ابتلاع صدام حسين للكويت.. وتحركت مشاعر الشعراء في كل مكان من عالمنا العربي.. فمن أولئك الشعراء الذين أذهلتهم هذه الحادثة، وخاطبوا صدام بلغة الشعر المتميزة الشاعر السعودي محمد كمال الخجا وفي قصيدته التي نشرتها جريدة «المدينة» في عددها ٨٥٠٢، يوم السبت ١٤١١/٢/٥، منها قوله:

صدام ريح المرجفين
طيوب عرسك والعطور

وسبيل هولاكو سبيـ
ـلك حين تقعد أو تسير

صدام حكم الظالميـ
ـن على تطاوله قصير

أشعلت نار الفتنة الـ
ـحمراء واحتدم السعير

قلت المحبة والسلام
عصير كرمي والسرور

والبحر بحري والخليـ
ـج وما يحط وما يطير

والـحـيـة الـرقـطـاء أسـ
حـق رأسـهـا وأنـا الـقـديـر

شـمـشـون عـزمـك فـي الـكـلا
م وسـر قـوتـك الـهـديـر

ooooo

أبعاد غزو الكويت

وغزو العراق بأمر صدام حسين للكويت واحتلالها وتشريد معظم الكويتيين الذين لحقهم أذى الاحتلال.. صار يأخذ أبعاداً دولية تتسع بشكل ترفضه دول العالم.

وإصرار صدام على ابتلاع الكويت وضمها إلى العراق أثار غضب دول العالم المنصفة والتي تربطها بالكويت صداقات وعلاقات سياسية وتجارية، فاحتدام الأمر بينها وبين صدام حسين الذي أخذ بعد ثلاثة أسابيع من احتلاله للكويت في ١١/١/١٤١١هـ، في الشروع في إزالة معالم دولة الكويت السياسية حيث أصدر أمراً بإغلاق السفارات وحذّر من أن أي سفارة لا تستجيب لأمره فإنها سوف تغلق بالقوة وضرب موعداً لذلك، هو صبيحة يوم الجمعة الموافق ٤ صفر ١٤١١هـ، فكان الرفض من ٢٥ سفارة من بينها سفارات أكبر دول العالم التي تدرك أبعاد هذه السياسة التي يسعى من ورائها صدام إلى طمس معالم دولة الكويت سياسياً.. وراح يحشد حول تلك السفارات الدبابات ويحيطها بالجنود؛ كوسيلة إرهابية ينصاع لها رجال السلك الدبلوماسي الموجودون داخل تلك السفارات فيغلقون سفاراتهم إغلاقاً يعدّ مؤشراً على عدم وجود دولة ذات سيادة يمثلون دولهم لديها.. وإزاء الرفض لأمر صدام بإغلاق السفارات راح صدام يرعد ويزبد ويتوعد في لهجة جنونية سخر منها المحللون السياسيون ورجال الصحافة العالمية.

ومن قبل هذا الأمر بإغلاق السفارات والذي جُوبه بالرفض كما تقدم كان قد نقل من الكويت إلى بغداد رعايا دول اختارها وجعلهم

رهائن يمثلون ورقة مساومة يطرحها على دولهم التي تحركت للحد من إرهابه وقطع شريط أحلامه التوسعية.

وفي أجواء هذه الأحداث المرعبة واصل الشعراء البوح بشعورهم وعما يخيم على أجواء منطقة الخليج العربي من بداية الغزو إلى هذا التاريخ ٥ صفر سنة ١٤١١هـ، الذي أحرر فيه هذه المذكرة.. ومن أولئك الشعراء الشاعر معالي الدكتور غازي عبد الرحمٰن القصيبي الذي نشرت له جريدة «الشرق الأوسط» في عددها ٤٢٨٨، السبت ٥ صفر ١٤١١هـ، قصيدة أخرى غير القصيدة التي اقتطفت منها أبياتاً في موضوع سابق عنوانه: «حدث مفزع»، ومما جاء في القصيدة الأخرى التي عنوانها: «بغداد» ومطلعها:

سترت وجهي يا بغداد من خجلي
وصحتُ قل يا فمي شعراً.. فلم يقل

قوله على لسان الكويت والرياض وهما تخاطبان بغداد التي بغت على الأولى منها وهددت الثانية في شخص صدام:

ردي على سؤال الجرح.. كيف غدت
تلك المحبة حقداً خائن الأسل

أنا الكويت التي جاءت بمهجتها
وهي الصغيرة لم تدبر من الوجل

أنا الرياض التي أعطتك ناظرها
يا للعطاء! وما منّت ولم تسلي

أنا الخليج الذي أهداك أضلعه
وقال نصرك يا بغداد أو أجلي

سترت وجهي يا بغداد فاستتري
عن العروبة عن تاريخك الجلل

فرّي من الشمس يا بغداد واختبئي
في الظل، واستغفري الغفّار وابتهلي

صبي الدموع على هذا الضريح فقد
دفـنـتِ تـحـت ثـراهُ جـثّـة الـمـثُـل

○○○○○

صدام يناجي صوتاً مجهولاً!!

أنصت صدام حسين وهو في خلوة في إحدى السراديب إلى صوت منشد يقول:

بغداد لا زلتِ والتاريخ بغداد
ولم يزل فيك للثارات إنشاد

ولم يزل من دماء الفاتحين على
سواد واديك أسفار وأبناد

ثوري على البغى يا بغداد وانتفضي
كما عُهدْتِ فبعض الصمت إلحاد

بغداد يا منجم الأحرار فاحشة
أن تهدئي وحسيب الشعب جلاد

ثوري على طغمة الشيطان وانتبهي
فقد تحكم في الأعناق أوغاد

شدي عليهم بكلتا القبضتين فما
للشر من هؤلاء الطلس أبعاد

ثوري على الظلم تنجو أمة أخذت
في غرة فإذا الأذناب أسياد

المجحفون لهم أصل ومعتقد
غير الذي ورثت في الأرض بغداد

فلم يتمالك المهيب صدام أعصابه.. فنزع مسدسه وصوبه نحو الصوت وهو يقول: إني أسمع نشيداً أنكره بل أكرهه.. فمن أنت أيها المنشد؟ ولمن يكون الشعر؟ قال الصوت: يا حضرةَ المهيب.. الشعر زفّته إلينا جريدة «الجزيرة» التي تصدر من الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية في عددها ٦٥٥٧، يوم الثلاثاء ٢٢ صفر ١٤١١هـ، والشاعر مواطن سعودي اسمه ميعض البخيتان، وقد فاتك سماع كثير من الأبيات وأنت منهمك في التفكير في مواجهة الحصار العالمي الذي فرض عليك، لكنه بقي من القصيدة أبيات كثيرة فهي طويلة وتبلغ نحواً من ٣١ بيتاً، أفلا تريد أن أسمعك البقية.. قال المهيب وهو غاضب مشمئز: ألم أصدر أمري بمنع صحف دول عربية ذكرت أسماءها ومنها السعودية؟ قال الصوت: أراك غاضباً ومنفعلاً أكثر من اللازم!!؟ المهيب: ولم لا أغضب وهو يطالب بغداد بالثورة عليَّ، وأخذ يردد هذه العبارة. قال الصوت: لقد ذكّرت ترديدك هذه العبارة بالعبارة التي رددها الحجاج بن يوسف وهو يحتضر، وهي قوله: ما لي وما لسعيد بن جبير. قال المهيب:

أتصفني بالحجاج أيها الصوت الأرعن؟ فأجابه الصوت: حاشا وكلا فالحجاج أشرف منك وأنبل وأطهر سريرة؛ لأنه سد ثغراً من أعظم الثغور تهديداً للمسلمين، أما أنت فقد فتحت عليهم جبهة عدائية اغتصبتَ بها الأرض والعرض والمال حتى لعنك كل عربي ينشد الأمن والأمان في وطنه، قال المهيب صدام: أراك أيها الصوت اللعين تتطاول علي بالكلام، فهلا قابلتني؟ لأراك وأعرف من تكون. قال الصوت: أتريد أن تسحقني كما فعلت بزملائك؟ والله لن تراني إلّا في واحد من موقفين، إما أمام قاضٍ دولي

يحاكمك على جرائمك الهتلرية، لا بل الهولاكية البشعة.

أو يوم يبعث الله العباد وينادي بكفرك وقتلك الأنفس البريئة ظلماً وعدواناً، على رؤوس الخلائق والأشهاد ليقتص منك كل مظلوم ظلمته وسرقت ماله وهتكت عرضه، وأزهقت نفسه.

○ ○ ○ ○ ○

التعدي على المفهوم الجغرافي والسياسي للدولة جريمة!!

ومنذ أن استقر موضوع الحدود الجغرافية لدول العالم في مفاهيم البشرية وعرفت كل دولة من دول العالم نصيبها من هذا الكوكب، والتاريخ المعاصر لهذا المفهوم الذي اتفق عليه سياسياً لم يشهد بل لم يسجل تعديات من دولة على أخرى تصل في فاعليتها إلى حد الابتلاع وإلغاء نصيبها المتفق عليه دولياً في خريطة العالم الجغرافية، مثل ما شهدت الكويت من غزو واحتلال، كان المدبر الوحيد له صدام حسين رئيس الجمهورية العراقية، ذلك الغزو الذي فتح له التاريخ المعاصر صفحة ملونة تمتاز عما سواها من الصفحات، بامتياز الحدث الذي يمثل ما ارتكبه صدام حسين من خرق للمعايير الدولية واستخفاف بمبادئ مجلس الأمن الدولي، بل استهتار بميثاق هيئة الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية، وامتهان للأعراف التي تقر سيادة كل بلد له شخصيته الجغرافية والسياسية من بين عالم الأرض والتاريخ، حينما يقرر تسجيل هذه المخالفة التي ترقى في وصفها إلى الجريمة التي يعاقب عليها القانون الدولي؛ فإنه يأخذ من واقع الاحتجاج الذي يظهره الرأي العام العالمي إزاء تصرفات صدام حسين الجنونية التي قوبلت باللعنات المدرجة في أساليب تعبيرية مختلفة.

وإذا ما أخذنا جانباً من ذلك الاحتجاج المنطلق من حناجر الشعراء، وجدنا الصحف مليئة بالقصائد التي تندد بفعلة صدام، ومن ذلك قصيدة الشاعر محمد جبر التي بلغت أربعين بيتاً نشرتها له جريدة

«الرياض» في عددها ٨٠٩٨، يوم الأحد ٦ صفر ١٤١١هـ، منها قوله:

يا فرخ تكريت لو طود بغى لهوت
منه الصخور وأمسى وهو منعفر

يا فرخ تكريت إن البغي ما حمدت
به الرجال ولا جاءت به السور

لم يحمد الغدر لا عرب ولا عجم
فقد تبرّأ منه اللّه والبشر

الهائمون على الصحراء روعهم
غلمان جيشك لا عفّوا ولا عذروا

أرضعتهم من حليب الحقد فارتكبوا
جرائماً ما تولى مثلها التتر

فروا من العار والصحراء تقذفهم
على المفاوز والرمضاء تستعر

ومنها قوله:

كتبت قصتك النكراء في صحف
مدادها القيح واللعنات تنهمر

هذا السقوط المدوي ما له بدل
إلا فجائع لا تبقي ولا تذر

○○○○○

نيروز صدام الأسود!!

لقد حاول رئيس النظام العراقي صدام حسين أن يجعل له نيروزاً يخلد ذكره كما فعل أسياده الفرس، ويكون مناسبة ترقى إلى مناسبة عيد النيروز الذي تلاشى الاهتمام به ولم تعد لحلوله فرحة ومظهر وطقوس، وتقديس عند الفرس كما كان في السابق، فظن صدام أن نيروزه الجديد هو تنبيه النُوّم في فجر يوم الخميس ١٢ آب أغسطس، في مدينة الكويت بأزيز الطائرات المقاتلة، ودوي المدافع المدمرة التي احتل بها دولة الكويت مع إشراقة ذلك اليوم، لكنه شتان بين النيروزين، فذاك القديم الذي انتهت طقوسه واضمحلت مظاهره ينبه الورد فيصحو من نومه وتتفتح أزهاره، فيعبق الجو بأريجها وتتعطر النسمات بروائحها كما قال البحتري:

وقد نبّه النوروز في غلس الدجى
أوائل ورد كن بالأمس نوّما[(١)]

يفتقها برد الندى فكأنه
يبثّ حديثاً كان أمسى مكتما

وبين نيروز صدام الذي نبّه النُوَّم في الكويت ليصحوا واجدين أنفسهم بين أيدٍ ناهبة للمال وهاتكة للعرض في عموم الكويت. . فكان نيروزاً صدامياً أسوداً ستذكره الشعوب ذكرى شؤم وخزي وخسة ودناءة

---

(١) والنيروز أو النوروز: هو أول يوم من السنة الشمسية الإيرانية. وهو يوافق اليوم الحادي والعشرين من شهر مارس ـ أي مطلع الربيع ـ وهو يعد من أكبر أعياد الفرس، ومعناه بالفارسية: اليوم الجديد، هكذا ورد في شرح البيت.

وعار، كلما دارت الأيام دورتها وانتهت إلى ٢ آب أغسطس من كل عام.

ولقد كان للشعراء في وصف احتلال صدام للكويت وقفات معبرة عن الأسى والألم الذي حل بشعب الكويت، فمن أولئك الشعراء الذين كان لهم نصيب في التعبير عن إدانة صدام على شناعة فعله الشاعر عبد الله بن محمد بن إبراهيم اليحيى، إذ يقول من قصيدة طويلة نشرتها له جريدة «الجزيرة» في عددها ٦٥٤٠، يوم السبت ٥ صفر، عام ١٤١١هـ:

صدام بالأمس كان الشعر يمدحه
للشعر فيمدحه دور وإسهام

واليوم صدام قد باتت حقيقته
سفاح طاغية ظلم وإظلام

ومنها قوله:

ما كان صدام ينوي عزّ أمته
إذا أشعل النار فيمن حوله ناموا

ناموا يظنون صداماً سيحرسهم
من بطش أعدائهم في السلم قد هاموا

ومنها قوله:

صدام في الغدر رأس لا ينافسه
إلا الشياطين أخوال وأعمام

ومنها قوله:

صدام بالأمس أما اليوم جد له
اسم من الفعل هدّام وشتام

○○○○○

صدام يحاول صرف أنظار العالم
عن احتلال الكويت

ولقد حاول صدام حسين حينما احتل الكويت وأعلن ضمها إلى العراق أن يصرف أنظار العالم عن هذه الجريمة النكراء، فأظهر نواياه بغزو المملكة العربية السعودية، ظناً منه بأن إبقاء الظروف مشحونة باحتمال وقوع حرب تقوم بينه وبين المملكة العربية السعودية سيجعل احتلاله للكويت أمراً ثانوياً، ويصرف الأنظار إلى احتدام الموقف بينه وبين المملكة العربية السعودية، ليكون احتلاله للكويت أمراً مسلّماً به، وما علم أنه قد تورط بانتهاجه هذه السياسة الخرقاء، فلقد انفتحت عليه عدة أبواب سياسية لا يستطيع إغلاقها، وسلطت عليه الأضواء على كشف واقع حاله في الكويت الذي وصف باستهتاره للشعوب وسخريته بالقيم الإنسانية وجحدانه للمعروف، وانتهاكه لحق الجوار، وامتهانه للكرامة.

ولقد توهم صدام حسين أن حشد قواته على حدود المملكة العربية السعودية وبناء قواعد الصواريخ الموجهة إليها، سينسي الشعب العربي السعودي جريمة احتلاله للكويت، وما علم أن ذلك يزيد من تأكيده للشعب الكويتي على التصميم على مساعدته على تحرير الكويت من قبضته الملطخة بالدماء.. كما أن هذه السياسة الرعناء لن تنطلي على الرأي العام العالمي فضلاً عن الرأي العام العربي الذي ما زال يصف صداماً بالخسة والدناءةِ.

والذي عايش أحداث احتلال صدام للكويت وتابع ما يكتب عنها

من تقارير سياسية فلا بدّ أنه قد انكشف له القناع الأسود الذي تقنع به صدام.

ولقد كان للشعراء في رصد أحداث الاحتلال، وتوبيخ صدام بلغة الشعر مجالاً فسيحاً ومنطلقاً واسعاً جرت فيه ألسنتهم بصدق الوصف.. فمن أولئك الشعراء الذين هجوا صداماً ووبخوه بما هو أهلٌ له الشاعر محمد ضيف الله الوقداني، الذي نشرت له جريدة «الجزيرة» في عددها ٦٥٣٩، الصادر في يوم الجمعة ٤ صفر ١٤١١هـ، قصيدة عنوانها: «لم تعتد وتقول أنك مسلم»، منها قوله:

لم تعتد وتقول إنك مسلم
وتبيح ما لا يستباح وتظلم

أتظن قتلك للبريء شجاعة
تسمو بها فيقال أنك ضيغم

ومنها قوله:

وأراك تخبط خبط عشواء سرت
لا تهتدي والليل داج مظلم

وذممت من ظلم البريء إذا اعتدى
وصنعت ما صنع الذميم المجرم

ومنها قوله:

تغزو الكويت وتزدري بكيانها
لا ترعوي حتى ولو سال الدم

يا نسل هولاكو وهدام العلا
لا يرحم اللّه الذي لا يرحم

أرض الكويت سقتك شهداً صافياً
فسقيتها كأساً وكأسك علقم
فالغدر شيمتك التي تزهو بها
هيهات أن يرضى الخيانة مسلم

○○○○○

سخرية عام ١٤١١ هجرية

والسخرية بمفهومها الحقيقي لا تظهر إلّا بوجود مسبب تكتمل عناصره في الشخص المستهزأ منه، كما أنها لا تخضع لكل لسان يريد أن يصوغها، فهي تأبى على لسان من لا يحسن سبكها، وتأبى أيضاً أن تصدر من الكريم إلّا إلى موضعها الحقيقي، كما أنها تتحول إلى أضحوكة ليست بذات تأثير إذا صدرت من لئيم يتخبط في سبكها.

ورئيس النظام العراقي صدام حسين قد رضي لنفسه في عامنا الهجري ١٤١١هـ، بأن يكون موضع الاستهزاء والسخرية، حيث شذّ عن مفهوم العقل القيادي والفكر الإيجابي وتحول إلى وحش ضار انقض على الكويت بقوته وعساكره فاحتلها في الحادي عشر من شهر محرم، عام ١٤١١هـ الموافق ٢ آب عام ١٩٩٠م، ثم أخذ يلتمس المبررات المضحكة لغزوه واحتلاله الكويت فكان بذلك موضع السخرية من جميع دول العالم، حيث فسرت دول العالم تصرفه إزاء الكويت بالصبيانية، وأنه يجب إمساك العصا من طرفها لا من وسطها بيد دولية لتكون الضربة التأديبية أقوى وأشد تأثيراً على نفسه، وقد أجمع أصحاب الفكر وأهل السياسة والأدباء والكتاب ورجال الصحافة في العالم في تحليل شخصية صدام حسين الشاذة، فأجمعوا على أنها شخصية دموية فأولوه النصح بالتراجع عن شذوذه المتمثل في غزوه للكويت فأعطاهم أذناً صماء، فكانت السخرية منه والاستهزاء به أولى من النصح له فمضوا في تشريح شخصه بالصور الكاريكاتيرية المضحكة التي تدعّم في بعض الأحيان بالعبارات الساخرة والكلمات المزرية.

ولم يقتصر أسلوب السخرية والاستهزاء منه على الصور الكاريكاتيرية، وإنما أخذ الشعراء دورهم في الاستهزاء به والسخرية منه، فهذا الشاعر السعودي محمد بن سعد المشعان ينشر أبياتاً ساخرة من فعل صدام وتصرفه في زاوية (غرابيل) بجريدة «الرياض» في عددها ٨١١٥، الأربعاء ٢٣ صفر، عام ١٤١١هـ، منها قوله:

أنا صدام، وصدام أنا
هل لدى الكون لصدام مثيلا

أنا من تكريت هجام الدجى
كل من آخيت فأحسبه قتيلا

أنا ربُّ الغدر كم من طعنة
في ظهور الصحب لم تُخط السبيلا

كيف أصبحتُ زعيماً مفرداً
جعل الشعب بلا عطف ذليلا

سوف تُنبيك دماء أهرقت
لا ناس قتّموا عندي (الجميلا)

كلهم عندي رؤوس أينعت
قد أزلناها لكي نلغي العقولا

فأنا اليوم (مهيب) غادر
ربما بعد غد أدعى رسولا

أنا في قوم إذا ما سقتهم
بالعصا ظنوك للمجد سليلا

○○○○○





الفهرس



